



دولة ليبيا

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الزاوية – الإدارة العامة للدراسات العليا

كلية الشريعة

قسم التفسير وعلوم الحديث

تصريف لفظ العظيم

في القرآن الكريم

أطروحة مقدّمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الإجازة

الدقيقة (الدكتوراه) في القرآن الكريم وعلومه

إعداد الطالب: محمد صالح سالم المقرحي

إشراف الأستاذ الدكتور: عبد الله محمد النقراط

العام الجامعي: 1447هـ - 2025م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: (وَكَذَلِكَ نُنْصِرُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ
وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (1)

(1) سورة الأنعام، الآية 105.

الإهداء

إلى والدي الكريمين...

إلى من علموني كيف يكون للعلم معنى، وللفهم قيمة...

إلى أستاذي الفاضل: الدكتور عبد الله النقراط، الذي كان له بعد الله الفضل في إتمام هذا العمل، وقبل ذلك في اختيار موضوعه...

إلى كل أستاذ بذل من وقته وجهده وعلمه؛ ليكون منارة تهدي الدارسين في دروب المعرفة...

إلى طلاب العلم السائرين في طريق النور، والباحثين عن الحقيقة بين صفحات الكتب، وفي عمق المعاني...

إلى عائلتي الحبيبة، سندي الأول، ومصدر صبري وطاقتي...

إلى كل من كان له أثر ولو بكلمة، بدعوة، بابتسامة، أو بصبر على غيابي...

أهدي ثواب ثمرة هذا الجهد المتواضع، سائلاً الله أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به قارئه، ويجعله لبنة في بناء صرح العلم والمعرفة.

الشكر والتقدير

الحمد لله أولاً وآخراً، ظاهراً وباطناً، على توفيقه وتيسيره، وفضله وامتنانه.

وبعد: فأني أتقدم بأسمى عبارات الشكر، وأصدق مشاعر الامتنان:

إلى والدي العزيز، الذي كان قدوتي في الصبر والاجتهاد، والداعم الأول لمسيرتي العلمية، بما غرسه في قلبي من قيم الإخلاص والثبات.

وإلى والدتي الغالية، التي لم تبخل عليّ بدعائها وحنانها، فكانت روعي في كل مراحل التعب والبذل.

وإلى زوجي الوفية، رفيقة دربي، ومصدر سكينتي، التي شاركتني هموم الطريق بصبرها، ودعمتني بفهمها واحتوائها.

وإلى إخوتي وأخواتي، الذين كانوا خير سند، وخير من شجعني على المضي في هذا الطريق العلمي بكل عزم وثقة.

وإلى أستاذي المشرف، الأستاذ الدكتور عبد الله النقراط، أتوجه إليه بخالص الشكر وعظيم التقدير؛ لما أبداه من توجيه سديد، ومتابعة حثيثة، وحرص صادق، وسرعة استجابة لكل استفسار أو استيضاح، فكان نعم المعلم والموجه.

وإلى جميع من ساندني ولو بكلمة واحدة، أو بجهد، أو بدعاء صادق، أو بكلمة طيبة.

كما أتوجه بالشكر والامتنان لأعضاء لجنة مناقشة الأطروحة، على ما سببذلونه من جهد علمي، في قراءتها، وعلى ما يقدمونه من نقد بناء، وتوجيه نافع، يسهم في تجويد هذه الأطروحة، والرقى بمستواها العلمي.

جزى الله الجميع عني خير الجزاء، وكتب أجرهم، وبارك فيهم، وجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، نافعا للدارسين والباحثين.

مُلخَص الأَطروحة

تناولت هذه الأطروحة موضوع تصاريف لفظ "العظيم" في القرآن الكريم، وسعت إلى بيان دقة اللفظ القرآني وإحكامه البلاغي، من خلال تتبع مواضع ورود هذا اللفظ في السياق القرآني، واستنباط دلالاته ومقاصده، وتم اختيار هذا الموضوع لما له من أهمية في تأصيل مصطلح "التصريف" بدلاً من "التكرار"؛ لكونه مصطلحاً قرآنياً يعكس غزارة المعنى وعمق الإعجاز، وتنتمي هذه الدراسة إلى منهج التفسير الموضوعي، وتستند إلى تحليل لغوي وبلاغي شامل، مدعوم بالمصادر التفسيرية، واللغوية، وكتب الوجوه والنظائر.

وقد اعتمدت الأطروحة على أربعة مناهج رئيسة: المنهج النقلي، والمنهج الوصفي التحليلي، والمنهج الاستقرائي، والمنهج المقارن، وتناولت بالدراسة جميع تصاريف لفظ "العظيم" ومشتقاته في القرآن الكريم، مع مقارنته بألفاظ مقاربة كـ"الكبير"، كما سعت الدراسة إلى إثبات أنّ اختلاف مواقع تصريف هذا اللفظ لا يدل على تكرار عديم الفائدة؛ بل على إعجاز بلاغي له مقصد دقيق في كل موضع.

وتوصّلت الأطروحة إلى أنّ التصاريف المختلفة لهذا اللفظ تُسهم في تعزيز البناء البلاغي للقرآن، وتكشف عن إعجازه البياني في توظيف الألفاظ وفقاً للمقام والمعنى.

Dissertation Abstract

This dissertation explores the morphological and contextual variations of the term "Al-‘Azīm" in the Holy Qur’an, with the aim of uncovering the rhetorical precision and semantic richness behind its usage. By examining its various occurrences and contexts, the study seeks to demonstrate that the repetition of such terms is not redundant, but rather serves specific .rhetorical and theological purposes

The research adopts a thematic exegesis methodology, supported by linguistic and rhetorical analysis, alongside reference to classical exegesis and works of semantics and synonymy. The study also highlights the importance of reinstating the concept of "Tasreef" (divine variation in word usage) as a Qur’anic term, in place of the term "repetition," to better .reflect the intended meaning and miraculous expression

The dissertation concludes that the term "Al-‘Azīm" is used with meticulous precision in every context, and its variations contribute significantly to the rhetorical structure of the Qur’an and reflect its .inimitable eloquence

الحمدُ لله أتمَّ الحمدِ
أحمدُهُ بفضلِهِ وأشكرُهُ
ثمَّ أصَلِّي والسَّلَامُ أُرْدِفَا
وآلِهِ وصحبِهِ الكرامِ
وبعدُ ذا الشكرُ معَ الثناءِ
لأهلِنَا جميعِهِم في الزَّاويَةِ
وأشكرُ الجامعةَ العريقةَ
وثنَّشُرُ العلومِ للطُّلابِ
وأشكرُ الكليَّةَ البديعةَ
وقسمْنَا أخصُّهُ بالشكرِ
والشكرَ يا لجنَّتِنَا أهدِيهِ
ثمَّ أخصُّ منكمُ بالشكرِ
أستاذِنَا المعروفَ بالنِّقراطِ
أشهدُكمُ وأشهدُ الحُضُورَا
في النَّصحِ والإرشادِ والتَّوجيهِ
وحرصِهِ وبذلِهِ الإحسانَا
جزاهُ ربِّي أحسنَ الجزاءِ
بحقِّهِ وفضلِهِ عَلَيْنَا
والحننُ بالحمدِ وبالصلاةِ
والشكرُ لله بغيرِ عدِّ
ومن ذنوبِ سَلَفَتِ أَسْتَغْفِرُهُ
على النَّبِيِّ الهاشِمِيِّ المُصْطَفَى
شُموسِنَا في حِنْدِسِ الظلامِ
أراهُ من لوازمِ الوفاءِ
مدينةَ لأهلِ علمِ حاويَةٍ
فإنَّ فيها تَنجَلِي الحقيقةَ
ويَهْتَدِي المُحْتَارُ للصَّوابِ
أعني بها كليَّةَ الشَّرِيعَةِ
دونَ تردُّدٍ ودونَ نُكْرِ
لُكمُ على الإرشادِ والتنبيهِ
وبالجميلِ واصفًا بشِعْري
هداهُ ربِّي أقومِ الصِّراطِ
أني عَدِمْتُ مِثْلَهُ نَظِيرَا
وحُسنِ أخلاقٍ وجدتُ فيهِ
وكُلُّ خيرٍ منه قَدْ أتانا
إذْ يَعْجِزُ القولُ عنِ الوفاءِ
وشُكرُهُ مُقَدَّمٌ لَدَيْنَا
على النَّبِيِّ وصحبِهِ الهداةِ

المقدمة

الحمد لله العلي العظيم، المدبّر الحكيم، أنزل كتابه الكريم تبييناً لكل شيء، وأودع فيه من أسرار حكمته ما تحير فيه الأفهام، وصرّف آياته وأحكمها غاية الأحكام، والصلاة والسلام على سيّدنا ونبينا محمد خير الأنبياء والمرسلين، والمبين ما نُزّل إليه من ربّ العالمين، وأعلم الخلق بمراد الله من كتابه، وأفقههم بمقاصده، وأساليبه، وغاياته، وعلى آله وصحبه، ومن اتّبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: فإنّ عجائب القرآن لا تنقضي، ومَعِين إجازته لا ينضب، ولا يزال العلماء يغمسون في أعماق ألفاظه؛ ليستخرجوا دقيق معانيه، في محاولة منهم لفهم مراد الله، وإبراز مظاهر العظمة في آياته، وبيان الأحكام في تصريف ألفاظه، وإيضاح أنّ تصريف اللفظ القرآني لا يخلو من نكتة في كلّ موضع ورد فيه، فلذلك انبرى فريق من العلماء قديماً وحديثاً لبيان دقة اللفظ القرآني وإحكامه، وتوضيح أنّ تصريف ألفاظه ليس تكراراً لا معنى له، أو حشوّاً لا طائل تحته، وإنما هو بناء متكامل، لا يستقيم بحذف لفظ من ألفاظه، فصنّفوا المصنّفات، ووضعوا المؤلفات، فمنهم من صنّف في تفسير معاني القرآن كله، ومنهم من صنّف في بيان مفرداته، ومنهم من صنّف في بيان الوجوه والنظائر، ومنهم من صنّف في تصريف ألفاظه، ومنهم من صنّف في المتشابه اللفظي، لنفي التكرار عن القرآن الكريم، وهم في ذلك ممتثلون لأمر الله - تعالى- في قوله: ﴿كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيُدَبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾⁽¹⁾ فإنّ من الوسائل المعينة على التدبّر، البحث في معاني الألفاظ، والنظر في تصريفها، وفهم أساليبها ومقاصدها.

ولما كانت العلوم تتفاضل بتفاضل المعلوم، كان أفضل العلوم هو علم التفسير؛ لتعلّقه بأشرف العلوم، وهو البحث في كتاب الله، «فِيهِ تَدْبِيرُ مَعَانِيهِ، وَالْعَمَلُ بِمَا فِيهِ، وَالْإِهْتِدَاءُ بِهَيْدِيهِ، وَالِاتِّمَارُ بِأَوَامِرِهِ، وَالْبَعْدُ عَنْ نَوَاهِيهِ، وَتَصْدِيقُ أَخْبَارِهِ، وَالِاعْتِبَارُ بِقِصَصِهِ»⁽²⁾، والاشتغال بعلم التفسير من أشرف الصناعات التي يتعاطاها الإنسان؛ بل هو أشرفها، ومن أعظم المهمات؛ بل هو أعظمها، فلذلك وغيره خُصّت هذا المضمار، وحاولت أن أضرب فيه بسهم، فمنذ انخراطي في مرحلة الدكتوراه في جامعة الزاوية، وعلم التفسير هو شغلي الشاغل، وزادني فيه رغبة ما لمستته وأقدته من أساتذتي الكرام - وفقهم الله ونفع بهم- في السنة التمهيدية.

(1) سورة ص، الآية 29.

(2) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، 1/ 5.

ثم لما قرأت مقدمة كتاب الأستاذ الدكتور عبد الله النقرات «بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم»، شدني هذا الموضوع، لا سيما وأن الأستاذ الدكتور النقرات - وفقه الله- أول من صدع بمصطلح التصريف، وبيّن أنه ينبغي أن يستخدم بدل مصطلح التكرار، وأوضح أنه مجال رحب للبحث في تصريف مصطلحات القرآن، فاستخرتُ الله - تعالى-، واستشرتُ فضيلته، فرحّب بالفكرة، ولم يبخل علي بالنصيحة جزاه الله عني خيراً، وأرشدني إلى البحث في تصريف لفظ العظيم، فكان هذا الموضوع الذي أتقدّم به لنيل درجة الدكتوراه، في مجال الدراسات القرآنية، وجعلت عنوان الأطروحة بعد استشارة فضيلته:

(تصاريف لفظ العظيم في القرآن الكريم)

أهمية الموضوع:

يُعدّ هذا الموضوع من الأهمية بمكان؛ وذلك لما فيه من إشاعة مصطلح قرآني، تركّه أكثر المصنفين والمؤلفين، واستعاضوا عنه بمصطلح التكرار والترداد، وهما مصطلحان فيهما ما لا يليق بالقرآن، فقد ذهب لكرهه وصف آيات القرآن بالتكرار جماعة من العلماء، منهم: ابن جماعة، حيث وجّه بعض الآيات المتشابهة بأنها: «للتفنن لكرهه التكرار؛ لما فيه من مَجّ النفوس»⁽¹⁾، وفي قول الله - تبارك وتعالى-: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾⁽²⁾، قال زكريا الأنصاري: «جاء المميّز الأول بلفظ (السنة)، والثاني بلفظ (العام)؛ لكرهه التكرار»⁽³⁾، أما مصطلح التصريف فقد ورد في آيات كثيرة من القرآن، منها قول الله - تعالى-: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾⁽⁴⁾، وقوله: ﴿كَذَلِكَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾⁽⁵⁾، وقوله: ﴿وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾⁽⁶⁾، إلى غير ذلك من الآيات، فالأولى بمن صَنّف كتاباً في التفسير أو علوم القرآن أن يستخدم مصطلح التصريف؛ لأنه مصطلح قرآني⁽⁷⁾.

(1) كشف المعاني في المتشابه من المثاني، ص 273.

(2) سورة العنكبوت، من الآية 14 م.

(3) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، 1/ 436.

(4) سورة الأنعام، من الآية 46.

(5) سورة الأعراف، من الآية 58.

(6) سورة الأحقاف، من الآية 27.

(7) ينظر: بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، للدكتور عبد الله النقرات - حفظه الله- ص 28.

ثم إنّ هذا الموضوع من موضوعات التفسير الموضوعي، الذي هو القسم الرابع من أقسام التفسير بحسب التأليف، وإنّ تتبّع لفظ «العظيم» لون من ألوانه، فقد عُرّف التفسير الموضوعي بأنه: «علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر»⁽¹⁾، والتفسير الموضوعي يتنوع لأنواع، منها: «أنّ ينتبج الباحث لفظة من كلمات القرآن الكريم، ثمّ يجمع الآيات التي ترد فيها اللفظة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية، وبعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها يحاول استنباط دلالات الكلمة، من خلال استعمال القرآن الكريم لها»⁽²⁾، وهذا ما سأسلكه في كتابة هذه الأطروحة – إن شاء الله- ولهذا اللون من التفسير أهمية بالغة، من حيث إنه يُظهر جوانب جديدة من وجوه الإعجاز القرآني⁽³⁾.

أسباب اختيار الموضوع:

تعدّدت الأسباب التي دعّنتي للكتابة في هذا الموضوع، غير أنّ أجّلها ما ألتمسه من تحقيق الغاية التي أنزل لأجلها القرآن، وهي تدبّر آياته، كما قال الله – سبحانه- في محكم تنزيله: ﴿كَتَبْنَا أَنْزِلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيُدَّبَرُواْ آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوْاْ الْأَلْبَابِ﴾⁽⁴⁾، ومن الأسباب أيضًا ما يأتي:

- 1- خدمة لكتاب الله العزيز، والنظر في آياته، واستخراج أسرارها، ونفي التكرار عنها.
- 2- قلّة المصنفات في هذا الموضوع، فإنّ البحث في تصريف الألفاظ القرآنية لا يزال مجالاً رحباً للبحث.
- 3- بيان دقة الاستعمال القرآني في التعبير عن المعاني المختلفة بلفظ واحد.
- 4- الإسهام في إثراء المكتبة القرآنية بتتبع مصطلح قرآني، وبيان معانيه المختلفة.
- 5- حاجة المكتبة العربية للتأليف في تصريف ألفاظ القرآن الكريم.
- 6- تكميل ما جاء من دراسات سابقة في هذا المجال الدقيق، وهو تصريف الألفاظ.
- 7- الإسهام بجهد في بيان تصريف لفظ "العظيم" في القرآن الكريم، وإيضاح مقاصده ودلالاته في المواضع التي ورد فيها.

لهذه الأسباب اخترت هذا الموضوع؛ ليكون عنواناً لأطروحتي لنيل درجة الدكتوراه، ومما زادني رغبة للكتابة عن هذا الموضوع توجيه أستاذي الدكتور: عبد الله النقرات - جزاه الله عني خيرًا- الذي اقترح عليّ بعد طلب مشورته الكتابة فيه؛ لما له من أهمية في مجال الدراسات القرآنية والبلاغية.

(1) مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ص 16.

(2) المصدر نفسه، 23.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص 31.

(4) سورة ص، الآية 29.

أهداف الدراسة:

إنّ مما تهدف إليه الدراسة بيان تصريف لفظ "العظيم" في القرآن الكريم، وبيان الأساليب القرآنية في استعمال هذا اللفظ، وإبراز المقاصد القرآنية في استعماله، وتوضيح أنّ استخدام مصطلح التصريف أولى من استعمال مصطلح التكرار؛ لأنّ الأوّل مصطلح ورد في القرآن الكريم، كما في قول الله - تعالى - : ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾⁽¹⁾، وقوله أيضاً: ﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾⁽²⁾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾⁽³⁾، ومن أهداف الدراسة أيضاً استخراج بعض كنوز القرآن الكريم، والوقوف عند بلاغته، وإعجازه، وتحقيق تدبيره.

حدود الدراسة:

أمّا حدود الدراسة، فتتجلى في تتبع التصريف القرآني للفظ "العظيم"، وما اشْتُقَّ منه، بصيغته المختلفة، وتسليط الضوء على الأساليب القرآنية لهذا اللفظ، والكشف عن مقاصده، وبناء على ذلك فلا تتناول الدراسة الأمور الآتية:

- تصريف غير لفظ "العظيم"، إلا ما كان معناه يُقارب لفظ العظيم.
- تصريف لفظ "العظيم" في غير القرآن، إلا ما كان له تعلق بتفسير القرآن، أو بيان معانيه.

إشكالية الدراسة:

لعلّ الإشكالية التي ستقوم بمعالجتها هذه الدراسة تكمن في إحياء مصطلح "التصريف" الذي هو مصطلح قرآني، ينبغي للباحثين في الدراسات القرآنية استخدامه، وهجر ما سواه، مما لم يأت في كتاب الله، كمصطلح "التكرار"، و"الترداد"، وغيرهما من المصطلحات التي لم ترد في القرآن الكريم، وإنما الذي ورد في القرآن هو لفظ التصريف، وتبيّن هذه الدراسة أنّ تصريف لفظ "العظيم" في القرآن الكريم ليس لمجرد تكرار اللفظ، وإنما لمقاصد وأغراض تنوّعت في استخدام تصاريف هذا اللفظ في القرآن الكريم، وسأحاول معالجة هذه الإشكالية - بعون الله - وفقاً لمنهج البحث المقترح.

(1) سورة الأنعام، من الآية 46.

(2) سورة الأعراف، من الآية 58.

(3) سورة الأحقاف، الآية 27.

أسئلة الدراسة:

من المتوقع أن تجيب هذه الدراسة عن التساؤلات الآتية:

ماذا نعني بتصريف اللفظ؟، وما المعاني القرآنية للفظ "العظيم" في القرآن الكريم؟، وما الفرق بين "العظيم" وغيره من الألفاظ؟ كلفظ "الكبير"، وما الألفاظ القرآنية التي فسرت بلفظ العظيم؟ وما أساليب القرآن في استعمال هذا اللفظ؟ وما مقاصده حيث ورد في القرآن الكريم؟ إنّ هذه التساؤلات هي ما تسعى هذه الدراسة للإجابة عنها في تمهيدها، وفصولها، ومباحثها المتنوعة.

الدراسات السابقة:

لم أجد بعد بحثي القاصر دراسة سابقة تتعلق بلفظ "العظيم"، وتصريفه في القرآن الكريم، وإن كنت وجدت دراسات مشابهة، مثل: تصريف لفظ "النشر" في القرآن الكريم، للأستاذة مرام أحمد الهادي، ولفظ "اللغو" في القرآن الكريم تصريفه ودلالاته، للأستاذة سارة العمري، من أسرار القرآن الكريم: لفظ "القضاء" تصريفه ودلالاته، للأستاذ محمد ناصف، وغيرها، وهي بحوث نُشرت في مجلتي الهدي الإسلامي، ومجلة كلية الدعوة الإسلامية.

منهج الدراسة:

لما كانت هذه الدراسة تدور في مجملها بين التفسير والبلاغة، وعلوم اللغة، تعددت مناهج الدراسة فيها؛ لأنّ المناهج العلمية يكمل بعضها بعضًا، والباحث الساعي لإجادة عمله لا يعتمد على منهج واحد يكون أسيره؛ بل يأخذ من المناهج ما يناسب طبيعة عمله العلمي، ولذلك اتبعت في هذه الدراسة المناهج الآتية:

- 1- المنهج النقلي.
- 2- المنهج الوصفي التحليلي.
- 3- المنهج الاستقرائي.
- 4- المنهج المقارن.

منهجية الدراسة:

تتمثل المنهجية التي اتبعتها في هذه الدراسة في عزو الآيات إلى سورها، برواية حفص عن عاصم، وتخريج الأحاديث من مصادرهما، ونقل الحكم على ما كان في غير الصحيحين،

وتوضيح المعاني اللغوية الغربية من كتب اللغة، وترجمة الأعلام الواردة أسماؤهم في الأطروحة، عدا الصحابة، والمعاصرين من العلماء.

واعتمدتُ في هذه الدراسة -إن شاء الله- في المقام الأول على كتاب الله - تعالى، تتبعًا لمواضع هذا اللفظ في القرآن الكريم، ثم الرجوع إلى أمات كتب التفسير؛ لبيان معاني هذا اللفظ، والرجوع إلى كتب اللغة لبيان المعاني التي يحتملها، وكذلك الرجوع إلى كتب الوجوه والنظائر، وكتب المفردات، وكتب السنة، وكتب التراجم، وكتب المتشابه اللفظي.

خطة الدراسة:

قمتُ بتقسيم هذه الأطروحة إلى مقدّمة، وفصل تمهيدي، وثلاثة فصول، تتخللها مباحث ومطالب، وخاتمة، وفهارس.

ففي المقدمة تناولتُ أهمية الموضوع، ودوافع اختياره، وأهداف الدراسة، وحدودها، وإشكالياتها، والدّراسات السابقة حولها، ومنهج الموضوع، ومنهجيته، والمصادر التي اعتمدتُ عليها، وهيكلية الأطروحة.

وأما الفصول فسلكتُ في تقسيمها المسلك الآتي:

أما الفصل التمهيدي فخصصته لتقديم فكرة مختصرة عن الوضع، والمشارك اللفظي، ومصطلح التصريف، وجعلته في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول- تطرقت فيه لقضية الوضع في اللغة، حيث ذكرت تعاريف الوضع في اللغة والاصطلاح، وانتقلت منه لبيان مذاهب العلماء في وضع اللغة.

والمبحث الثاني- جعلته في ظاهرة المشارك اللفظي، عرّفت فيه المشارك، وعرضت فيه لأقوال المجيزين لوقوعه والمانعين، كما تطرقت فيه لموقف المفسرين من المشارك.

وأما المبحث الثالث- فتكلّمت فيه عن موضوع مسميات المشارك في علوم القرآن، وذكرت فيه مصطلحات التكرار، والإعادة، والمتشابه، والتصريف.

وأما الفصل الأول- فتناولت فيه تأصيل لفظ "العظيم" في القرآن الكريم، وجعلتُ تحته أربعة مباحث:

المبحث الأول- ذكرت فيه معنى لفظ "العظيم" في اللغة، وفي الاصطلاح.

والمبحث الثاني- تناولت فيه إطلاق لفظ "عظيم" على الذوات في القرآن الكريم.

والمبحث الثالث- خصصته لإطلاق لفظ "العظيم" على الثواب في القرآن الكريم.

والمبحث الرابع- جعلته لإطلاق لفظ "العظيم" على العقاب في القرآن الكريم.

وأما الفصل الثاني- فجعلته لتصاريف لفظ "العظيم" في النظم القرآني، وتحتة ثلاثة

مباحث:

المبحث الأول- بيّنت فيه الأوجه الإعرابية للفظ "العظيم" في القرآن الكريم.

وأما المبحث الثاني- فجعلته لتصريف لفظ "العظيم" بالزيادة والنقصان.

والمبحث الثالث- خصّصته لتصريف لفظ "العظيم" بالتعريف والتكثير.

وأما الفصل الثالث- فتكلمت فيه عن البنية الصرفية والدلالية لمفردات العظمة في القرآن

الكريم، وجعلت تحتة ثلاثة مباحث:

المبحث الأول- خصصته لمشتقات لفظ "عظم" في القرآن الكريم.

المبحث الثاني- ذكرت فيه لفظ "الكبير" بين التصريف والدلالة، وقارنته بمصطلح

"العظيم".

المبحث الثالث- تكلمت فيه عن ألفاظ العظمة في القرآن الكريم وكونها بين التراكيب

الصريحة، والمفردات المؤولة.

وأما الخاتمة- فبيّنت فيها أهم النتائج والتوصيات.

وألحقت بالأطروحة فهرس فنيّة الأول للآيات القرآنية، والثاني للأعلام، والثالث للأبيات

الشعرية، والرابع للمصادر والمراجع، والخامس للموضوعات، وقد حاولت المقاربة بين الفصول

والمباحث، ولكنّ طبيعة الموضوعات حالت دون تحقيق ذلك، فجاء بعضها أطول من بعض،

وأسأل الله – تعالى- التوفيق والعون في كتابة هذه الأطروحة، وأن يكون عملي خالصاً لوجهه
الكريم، نافعاً لمن شاء من عباده.

الفصل التمهيدي

الوضع والمشارك اللفظي

ومسمياته في علوم القرآن

- المبحث الأول- قضية الوضع في اللغة.
- المبحث الثاني- المشارك اللفظي بين المجيزين والمانعين.
- المبحث الثالث- مسميات المشارك في علوم القرآن الكريم.

إنّ المتأمل في لفظ "العظيم" يجد أنه لفظ وضعته العرب للدلالة على جملة من المعاني؛ وذلك لأنّ الألفاظ تتناهى، والمعاني ليست كذلك، فقد يكون للفظ الواحد أكثر من معنى، قال الرازي⁽¹⁾: «لا يجب أن يكون لكل معنى لفظ يدل عليه؛ بل ولا يجوز؛ لأنّ المعاني التي يمكن أن يُعقل كلّ واحد منها غير متناهية»⁽²⁾، والعلة التي لأجلها كانت الألفاظ متناهية هي أنها مركبة من حروف، والحروف متناهية، والمركب من المتناهي يكون متناهيًا⁽³⁾، وهذا الأمر يجرّني في مُستهلّ هذه الأطروحة إلى أن أتكلّم عن قضية مهمة، حصل فيها خلاف بين أئمة اللّغة، ألا وهي قضية الوضع، وهل اللّغة توقيفية أو اصطلاحية؟

ثمّ إنّ هذه القضية تجرّني لقضية أخرى، لا تقلّ عنها أهمية، وهي دلالة اللفظة الواحدة على أكثر من معنى، وهو ما يطلق عليه علماء اللّغة المشترك اللفظي، وهل هناك ألفاظ يَحْمَل كل منها أكثر من معنى؟ أو أنّ المعنى واحد لا يختلف باختلاف السياق؟

ومن هذه القضية أنطلق لقضية التسمية، وأقصد بالتسمية التسمية القرآنية، وهي تسمية اللفظ الذي ورد في غير موضع من القرآن بلفظ واحد، وحمّل أكثر من معنى، فقد اختلف تعبير العلماء عنه، فمنهم من سماه تكرارًا، ومنهم من سماه إعادة، ومنهم من سماه تصريحًا، وتتبعًا لهذه القضايا المطروحة سأتكلّم في المبحث الأول من هذا الفصل عن قضية الوضع، وأخصص المبحث الثاني منه للمشترك اللفظي، وأفرد المبحث الثالث منه لقضية تسمية المشترك في علوم القرآن، والألفاظ التي أطلقها العلماء للتعبير عنه.

(1) هو: محمد بن عمر بن الحسين الرازي، الملقب فخر الدين، فقيه شافعي، مقدّم أهل عصره في علم الكلام والمعقولات، وله عدّة تصانيف، منها: التفسير الكبير، والمطالب العالية، ونهاية العقول، والمحصول، توفي عام: 606هـ. ينظر: طبقات المفسرين، للسيوطي، ص 115، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، 4/252.

(2) المحصول للرازي، 1/197.

(3) ينظر: رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، لتاج الدين السبكي، ص 360.

المبحث الأول- قضية الوضع في اللّغة:

خلق الله - تعالى- الإنسان، وامتّنّ عليه بأن جعله مبيّنًا عمّا في ضميره، فقال - سبحانه - في محكم آياته: ﴿الرَّحْمَنُ ۙ ۱ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۚ ۲ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۚ ۳ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾⁽¹⁾، قال الزمخشري⁽²⁾ عند هذا الموضع من تفسيره: «ثمّ ذكر ما تميّز به عن سائر الحيوان من البيان، وهو المنطق الفصيح المُعربِ عما في الضمير»⁽³⁾، فالإنسان مُعربٌ عمّا يدور في نفسه من الأفكار بما أودعه الله - عزّ وجلّ- من قدرة على البيان، وهذا البيان لا يتمّ إلا بالعلم بأسماء الأشياء؛ حتى يستطيع الإنسان أن يُميّز بينها، وألا يخلط اسمًا بآخر، فاللّغة بالنسبة لجنس الإنسان ضرورية، لا يتمكن من العيش دونها، وهذه المقدمة تقودني للحديث عن قضية الوضع اللّغوي، وهو وضع الألفاظ للدلالة على معانيها، أو إفهام اللفظ معنى ما وضع له⁽⁴⁾، والوضع في اللّغة له أغراض منها: «التمكن من إفادة المعاني المركبة بتركيبها»⁽⁵⁾، ومن حكّم الوضع تعريف الألفاظ، كما قال القرافي⁽⁶⁾: «وحكمة الوضع التعريف، فإذا وضع اللفظ لشيء، فلا بد أن يفيد الإطلاق تعريفه»⁽⁷⁾، والسبب الذي دعا إلى وضع الألفاظ للدلالة على معانيها، هو إطلاع الإنسان غيره على ما في نفسه، وهذا الإطلاع إما أن يكون باللفظ، أو الإشارة، أو المثال، واللفظ أيسرها، فلذلك عمد الواضع إلى وضع الألفاظ⁽⁸⁾.

ويحسن بي أن أستهلّ المبحث بتعريف الوضع لغة واصطلاحًا، ثم أنتقل إلى قضية واضع اللّغة، بمعنى هل اللّغة توقيفية؟ أي: أنّ الله - تعالى- هو الذي ألهم الإنسان إليها، أو أنّ الحكماء تواطؤوا فيما بينهم على تسمية الأشياء بأسمائها المعروفة لدينا؟ فعلى ذلك تكون

(1) سورة الرحمن، الآيات 1- 4.

(2) هو: محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، كان ممن يضرب به المثل في الأدب واللّغة والنحو، عارفًا بالأنساب، له عدة مصنفات في التفسير، والغريب، والنحو، منها: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، والفائق في غريب الحديث، والمفصل في صنعة الإعراب، توفي عام: 538هـ. ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي، 3/ 265، وطبقات المفسرين، للسيوطي، ص 120.

(3) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، 4/ 443.

(4) ينظر: بذل النظر في الأصول، للأسمدي، ص 19.

(5) الإبهاج في شرح المنهاج، لتقي الدين وتاج الدين السيكاني، 3/ 493.

(6) هو: أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي، انتهت إليه رئاسة الفقه المالكي، برع في الفقه، والأصول، والعلوم العقلية، وله معرفة بالتفسير، له عدة مصنفات طبقت الأفاق شهرة، منها: الذخيرة في الفقه، والتنقيح في أصول الفقه، ونفائس الأصول في شرح المحصول، توفي عام: 684هـ. ينظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون، 1/ 236.

(7) نفائس الأصول في شرح المحصول، للقرافي، 8/ 3597.

(8) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي، 2/ 232.

اصطلاحية؛ ولتسهيل إدراك هذا المبحث بشيء من التفصيل قسّمته إلى مطلبين، جعلتُ الأول منهما لتعريف الوضع لغة واصطلاحًا، وتكلّمت في الآخر عن مذاهب العلماء في وضع اللّغة. **المطلب الأول- تعريف الوضع لغة واصطلاحًا:**

اشتمل هذا المطلب على فرعين، هما تعريف الوضع لغة، واصطلاحًا، وبيانها كالآتي:

الفرع الأول- الوضع لغة:

تتوّعت عبارات العلماء في تعريف الوضع لغة، فمن ذلك ما ذكره الأزهرى⁽¹⁾ في تعريفه للمواضعة حيث قال: «المواضعة: أن تُواضع صاحبك أمرًا تناظره فيه»⁽²⁾.

وقال الصاحب بن عباد⁽³⁾: «هلمّ أواضعك الرأي، أي: تطلعني على رأيك وأطلعك على رأيي»⁽⁴⁾.

وعرّف الجوهري⁽⁵⁾ المواضعة بأنها الموافقة فقال: «واضعتُهُ في الأمر، إذا وافقته فيه على شيء»⁽⁶⁾.

وفي مقاييس اللّغة أنّ: «الواو، والضاد، والعين: أصل واحد، يدلّ على الخفض للشيء وحطّه»⁽⁷⁾.

وقال ابن سيده⁽⁸⁾، وهو يتحدّث عن مبحث الوضع: «وتواضع القوم على الشيء: اتّفقوا عليه»⁽¹⁾.

(1) هو: محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة، أبو منصور الأزهرى، إمام من أئمة اللّغة الأجلء، رافع راية العربية وناشرها، كان شافعي المذهب، غير أنّ اللّغة غلبت عليه فاشتهر بها، له مصنفات عدّة في اللّغة، والتفسير، والنحو، ومن أشهر كتبه: تهذيب اللّغة، توفي عام: 370هـ. ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللّغة، للفيروز آبادي، ص 253، ووفيات الأعيان، 4/ 334.

(2) تهذيب اللّغة، للأزهرى، 3/ 48، (مادة: وضع).

(3) هو: إسماعيل بن عباد بن العباس، المعروف بالصاحب بن عبّاد، كان واحد عصره، وأعجوبة دهره في الفضل والمكارم، له عدّة تصانيف تشير لعلمه وفضله، منها: المحيط في اللّغة، وجوهرة الجمهرة، والكشف عن مساوئ المتنبي، توفي عام: 385هـ. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة، للسيوطي، 1/ 450.

(4) المحيط في اللّغة، للصاحب بن عباد، 1/ 110، (مادة: وضع).

(5) هو: إسماعيل بن حمّاد الجوهري، أبو نصر الفارابي، إمام من أئمة اللّغة، والنحو، والصرف، ويضرب المثل بجودة خطّه، له عدّة مصنفات نافعة، منها: الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية، وعروض الورقة، توفي عام: 398هـ. ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللّغة، ص 87، والوافي بالوفيات، للصفدي، 9/ 69.

(6) الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية، 3/ 299، (مادة: وضع).

(7) مقاييس اللّغة، لابن فارس، 6، 117، (مادة: وضع).

(8) هو: علي بن أحمد بن سيده اللّغوي النحوي، كان إمامًا حافظًا، وكان أعلم أهل زمانه بالنحو، واللّغة، والأشعار، وأيام العرب، له مصنفات عدّة منها: المحكم والمحيط الأعظم، وشرح إصلاح المنطق، وشرح الحماسة، توفي عام: 458هـ. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة، 2/ 143.

وإذا تأمل أحدنا هذه المعاني التي ذكرها أهل العلم لمعنى الوضع في اللغة يجد أنها متقاربة جداً، فخلاصة الوضع في اللغة أنه الاتفاق على أمر، وهذا المعنى لا يخالف ما ذكره ابن فارس⁽²⁾ من أن الواو، والضاد، والعين: أصل يدل على الخفض، فإن كلاً من المتواضعين يطرح رأيه، ويضعه للآخر، ثم يتفقان على أمر، ويكون هذا الأمر متواضعاً عليه، والمواضعة: هي الاتفاق على أمر معين، ومن هذا المعنى اللغوي استنبط أهل العلم معنى الوضع في الاصطلاح، وهو الفرع الآخر من هذا المطلب.

الفرع الآخر- الوضع اصطلاحاً:

تفنّن أهل العلم في تعريف الوضع اصطلاحاً، ووضعوا تعريفات رأوا أنها ألصق بمعنى الوضع في الاصطلاح من غيرها، ومن هذه التعريفات ما يأتي:

تعريف الجرجاني⁽³⁾ للوضع بأنه: «جَعَلَ اللَّفْظَ بِإِزاءِ الْمَعْنَى»⁽⁴⁾، وذكر القرافي أن الوضع في اصطلاح العلماء «يقال بالاشتراك على ثلاثة معانٍ، أحدها: جعل اللفظ دليلاً على المعنى، كتسمية الولد زيداً، ومنه وضع اللغات، وثانيها: غلبة استعمال اللفظ في المعنى حتى يصير أشهر فيه من غيره...، وثالثها: أصل الاستعمال، ولو مرّة واحدة»⁽⁵⁾.

وعرّف الطوفي⁽⁶⁾ الوضع بأنه «عبارة عن إنشاء لفظ، وتخصيصه بمعنى، بحيث إذا أُطلق ذلك اللفظ، فهم منه ذلك المعنى»⁽⁷⁾.

(1) المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، 2/ 295، (مادة: وض ع).
(2) هو: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، من كبار أئمة اللغة، كان على مذهب الإمام الشافعي، ثم انتقل إلى مذهب الإمام مالك في آخر أمره، وسار في النحو على مذهب الكوفيين، له تصانيف حسنة، منها: المجمل في اللغة، ومقاييس اللغة، وكتاب فقه اللغة، توفي عام: 395هـ. ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدياء ص 237، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، 1/ 130، ومعجم المؤلفين، 2/ 41.
(3) هو: علي بن محمد الشريف الجرجاني، عالم المشرق، يُعرف بالسيد الشريف، له مصنّفات كثيرة، منها: تفسير الزهراوين، وحاشية على تفسير البيضاوي، والعوارف والهداية للحنفية، توفي عام: 816هـ. ينظر: الفوائد البهية في تراجم الحنفية، لمحمد اللكنوي، ص 133، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي، 5/ 328.
(4) التعريفات، للجرجاني، ص 252، (مادة: وضع).
(5) نفائس الأصول في شرح المحصول، للقرافي، 2/ 569.
(6) هو: سليمان بن عبد القوي الطوفي، فقيه أصولي متفنن، صاحب المصنّفات الكثيرة، ومنها: بغية السائل في أمهات المسائل، وشرح مختصر الروضة، والإكسير في قواعد التفسير، واشتهر عنه الرفض، ويقال: إنه تاب في آخر عمره، توفي عام: 716هـ. ينظر: ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي، 4/ 404، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، 3/ 196، ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، 4/ 266.
(7) شرح مختصر الروضة، لنجم الدين الطوفي، 1/ 522.

ومعنى الوضع عند علاء الدين البخاري⁽¹⁾ لا يختلف كثيراً عن سابقه، فهو يرى أنّ الوضع «تعيين اللفظة بإزاء معنى بنفسها»⁽²⁾.

وذكر ابن جزى⁽³⁾ تعريفاً للوضع، جاء فيه أنه: «جعل اللفظ دليلاً على المعنى»⁽⁴⁾.

وقال السبكي⁽⁵⁾ عن الوضع: «هو عبارة عن تخصيص الشيء بالشيء؛ بحيث إذا أطلق الأول فهم منه الثاني»⁽⁶⁾، وقريب من قول السبكي قول الإسني⁽⁷⁾ في الوضع، فهو عنده «تخصيص الشيء بالشيء؛ بحيث إذا علم الأول علم الثاني»⁽⁸⁾.

ويرى التفتازاني⁽⁹⁾ أنّ الوضع هو «تخصيص اللفظ بالمعنى»⁽¹⁰⁾، والوضع عند الزركشي⁽¹¹⁾ هو «تعليق لفظ بمعنى»⁽¹²⁾.

أما الكفوي⁽¹⁾ فعرف الوضع بأنه: «تخصيص اللفظ بالمعنى»⁽²⁾، وعرفه أيضاً بأنه: «جعل اللفظ دليلاً على المعنى»⁽³⁾.

-
- (1) هو: عبد العزيز بن أحمد بن محمد علاء الدين البخاري، فقيه من فقهاء الحنفية، له تصانيف مقبولة، منها: شرح أصول البزدوي المسمى بكشف الأسرار وشرح المنتخب الحسامي، توفي عام: 730 هـ. ينظر: الفوائد البهية في تراجم الحنفية، لمحمد اللكنوي، ص 95، والأعلام، للزركلي، 46 / 7.
- (2) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، لعلاء الدين البخاري، 61 / 1.
- (3) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن جزى الكلبى، كان نبياً، عاكفاً على العلم، مشتغلاً بالنظر، والتقيد، مشاركاً في عدة فنون، من عربية، وأصول، وقراءات، وحديث، وتفسير، ألف الكثير، في فنون عديدة، ومن مؤلفاته: وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم، وكتاب القوانين الفقهية، وكتاب تقريب الوصول إلى علم الأصول، توفي عام: 741 هـ. ينظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، 2 / 276، ومعجم المؤلفين، 9 / 11.
- (4) تقريب الوصول إلى علم الأصول، لابن جزى، ص 155.
- (5) هو: عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، تاج الدين أبو نصر السبكي، من فقهاء الشافعية المتقنين، قاضي القضاة، كان فقيهاً، أصولياً بارعاً، عالماً بالحديث والأدب، وله مشاركة في العربية، صنّف عدّة مصنفات في فنون عدّة، منها: رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، وشرح منهاج البيضاوي، وجمع الجوامع، توفي عام: 771 هـ. ينظر: طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة، 3 / 106، والأعلام للزركلي، 4 / 184.
- (6) الإبهاج في شرح المنهاج، تاج الدين السبكي، 1 / 192.
- (7) هو: عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسني، شيخ الشافعية ومفتيهم، إمام، صاحب تحقيق وتدقيق، برع في الفقه، والأصول، والعربية، له تصانيف مشهورة، منها: التنقيح على التصحيح، وشرح المنهاج للبيضاوي، والهداية في أوام الكفاية، توفي عام: 772 هـ. ينظر: طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة، 3 / 98، والأعلام للزركلي، 3 / 344.
- (8) نهاية السؤل شرح منهاج الأصول، للإسني، ص 78.
- (9) هو: مسعود بن عمر بن عبد الله الشيخ سعد الدين التفتازاني، عالم بالنحو، والصرف، والمعاني، والبيان، شافعي المذهب، ذاع صيته، وانتشر بين الناس ذكره، صنّف المصنفات النافعة، منها: شرح التلخيص، والتلويح على التنقيح، وشرح تصريف العزى، توفي عام: 791 هـ. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، 2 / 285، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، 6 / 112، ومعجم المؤلفين، 12 / 228.
- (10) شرح التلويح على التوضيح، للتفتازاني، 1 / 126.
- (11) هو: محمد بن بهادر بن عبد الله، بدر الدين الزركشي، العلامة، المصنّف، المحرّر، كان فقيهاً، أصولياً، أدبياً، مشتغلاً بالعلم، لا يصرفه عنه شيء، له مصنفات نفع الله بها، منها: النكت على البخاري، وشرح جمع الجوامع للسبكي، وتخريج أحاديث الرافعي، توفي عام: 794 هـ. ينظر: طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة، 3 / 167، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد، 8 / 572، والأعلام للزركلي، 6 / 60.
- (12) تشنيف المسامع بجمع الجوامع، للزركشي، 1 / 439.

وقال الرجراجي⁽⁴⁾ مُعرِّفًا الوضع: هو «جَعَلَ اللَّفْظَ دَلِيلًا عَلَى الْمَعْنَى، أَوْ غَلْبَةَ الاستعمال، وأصل الاستعمال»⁽⁵⁾.

فمن التعريفات السابقة للوضع تبيّن أنّ معناه في الاصطلاح جعل اللَّفْظَ دَلِيلًا عَلَى المعنى؛ ولكن مَنْ الذي جعل الألفاظ دَلِيلًا عَلَى معانيها؟ أهو الله - سبحانه-؟ فتكون اللَّغَةُ توقيفية، أو أنّ الحكماء هم مَنْ وضعوا اللَّغَةَ؟ فتكون اصطلاحية، وسأتكلم في المطلب الآتي عن هذه القضية.

المطلب الآخر- مذاهب العلماء في واضع اللَّغَةُ.

اختلف العلماء في واضع اللَّغَةُ على أقوال، واحتجّ كلّ فريق لما ذهب إليه بأدلة نقلية أو عقلية، وبما أنّ الكلام عن الوضع ليس مقصودًا لذاته، فسأكتفي بذكر أشهر الأقوال في المسألة، أفنتح بذكر مذهب القائلين به، وأردفه بذكر أدلتهم، ثم أعدّد بعضهم ناقلًا كلامه في المسألة.

الفرع الأول- مذهب القائلين بتوقيف اللَّغَةُ:

ذهب جماعة من علماء اللَّغَةُ وأصول الفقه إلى أنّ اللَّغَةَ توقيفية، بمعنى أنها إلهام ووحى من الله - تعالى- وهو مذهب الجمهور كما «قال ابن فورك»⁽⁶⁾ والجمهور: اللّغات توقيفية علّمها الله - تعالى- بالوحي، أو خلّق الأصوات، أو العلم الضروري، وعُزي إلى الأشعري⁽⁷⁾«⁽⁸⁾.

(1) هو: أيوب بن السيد الشريف موسى، أبو البقاء الكفوي، من فقهاء الأحناف، كان قاضيًا بالقدس، له مصنفات منها: مصنف في فروع الحنفية، والكلبيات، توفي عام: 1094 هـ. ينظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا، 1/ 227، والأعلام للزركلي، 2/ 38.

(2) الكلبيات، للكفوي، ص 934، (مادة: وضع).

(3) المصدر نفسه.

(4) هو: حسن بن علي الرجراجي الشوشاوي، له مصنفات، منها: شرح على مورد الظمان في الفقه، وشرح تنقيح القرافي، توفي في أواخر القرن التاسع الهجري. ينظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص 163، ومعجم المؤلفين، 3/ 254.

(5) رفع النقاب عن تنقيح الشهاب، للرجراجي، 1/ 191.

(6) هو: محمد بن الحسن ابن فورك، أديب، متكلم، أصولي، نحوي، واعظ، شافعي المذهب، له مصنفات كثيرة، منها: كتاب في التفسير، ومشكل الحديث وبيانه، توفي عام: 406 هـ. ينظر: طبقات الفقهاء الشافعية، لابن الصلاح، 1/ 136، ووفيات الأعيان، 4/ 272، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، 13/ 24.

(7) هو: علي بن إسماعيل بن أبي بشر، أبو الحسن الأشعري، إمام المتكلمين، كان شافعي المذهب، إليه تنسب الطائفة الأشعرية، طبقت شهرته الأفاق، له مصنفات عدّة، منها: اللّمع، والموجز، والتبيين عن أصول الدين، توفي عام: 324 هـ. ينظر: طبقات الفقهاء الشافعية، 2/ 604، ووفيات الأعيان، 3/ 284.

(8) تشنيف المسامع بجمع الجوامع، 1/ 393.

واستدلوا لمذهبهم بأدلة نقلية وأخرى عقلية، فمن أدلتهم النقلية ما جاء في قول الله -
تبارك وتعالى:- ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾⁽¹⁾، نقل الطبري⁽²⁾ عند هذا الموضع من تفسيره،
عن مجاهد⁽³⁾ في معنى الآية قال: «عَلَّمَهُ اسْمَ كُلِّ شَيْءٍ... وعن سعيد بن جبير⁽⁴⁾ أنه قال: عَلَّمَهُ
اسْمَ كُلِّ شَيْءٍ، حتى البعير، والبقرة، والشاة... وعن قتادة⁽⁵⁾: عَلَّمَهُ اسْمَ كُلِّ شَيْءٍ: هذا جبل، وهذا
بحر، وهذا كذا، وهذا كذا، لكلّ شيء»⁽⁶⁾، وعن الحسن⁽⁷⁾ وقاتدة قالوا: «عَلَّمَهُ اسْمَ كُلِّ شَيْءٍ: هذه
الخیل، وهذه البغال، والإبل، والجن، والوحش، وجعل يسمي كلّ شيء باسمه»⁽⁸⁾، ثم رجّح
الطبري أنّ المراد بالأسماء في الآية أسماء ذريته وأسماء الملائكة، دون سائر الأسماء فقال:
«وأولى هذه الأقوال بالصواب، وأشبهها بما دلّ على صحته ظاهر التلاوة، قول من قال في قوله:
﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾⁽⁹⁾، إنها أسماء ذريته وأسماء الملائكة، دون أسماء سائر أجناس
الخلق، وذلك أنّ الله - جل ثناؤه- قال: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾⁽¹⁰⁾، يعني بذلك أعيان المسمين
بالأسماء التي علّمها آدم، ولا تكاد العرب تكني بالهاء والميم إلا عن أسماء بني آدم
والملائكة»⁽¹¹⁾، ولعلّ الصواب في هذه المسألة في غير اختيار الطبري؛ لأنه هو نفسه بين أنّ
العرب قد تكني بالهاء والميم في غير أسماء بني آدم، وغير أسماء الملائكة.

(1) سورة البقرة، من الآية 31.

(2) هو: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، إمام المفسرين ومقدمهم، كان بصيراً بمعاني القرآن، فقيهاً، عالماً بالسنن
وأحوال الصحابة والتابعين، عارفاً بأيام الناس، كان شافعي المذهب، ثم انفرد بمذهب مستقل، له تصانيف عظيمة،
منها: تفسير القرآن، ومنها: تاريخ الأمم، وكتاب القراءات، توفي عام: 310 هـ. ينظر: طبقات المفسرين،
للسيوطي، ص 97، وطبقات المفسرين، للداوودي، 2/ 110.

(3) هو: مجاهد بن جبر - بفتح الجيم وسكون الموحدة- أبو الحجاج المكيّ، إمام، مقرئ، مفسر، روى عن ابن عباس -
رضي الله عنهما- وختم عليه القرآن ثلاث ختمات، سأله فيها عن كل آية فيم أنزلت، وكيف كانت، توفي عام
101 هـ، وقيل: غير ذلك. ينظر: طبقات المفسرين، للداوودي، 2/ 305.

(4) هو: سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، كان فقيهاً، ورعاً، قرأ على ابن عباس - رضي الله عنهما- كان من سادات
التابعين، عالماً، وفضلاً، وصدقاً، وعبادة، مات شهيداً على يد الحجاج عام 95 هـ. ينظر: طبقات المفسرين،
لداوودي، 1/ 188، وسير أعلام النبلاء، 5/ 187.

(5) هو: قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز السدوسيّ، من أئمة التابعين، الحافظ، العلامة، المفسر، كان رأساً في
العربية، والنسب، وأيام العرب، قال عن نفسه: ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً، توفي بواسط في
الطاعون، عام 118 هـ. ينظر: طبقات المفسرين، للداوودي، 2/ 47، ووفيات الأعيان، 4/ 85.

(6) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 1/ 515-516.

(7) هو: الحسن بن أبي الحسن البصري، أبو سعيد، ولد في زمن عمر - رضي الله عنه- روى عن جمع من
الصحابة، كان من أئمة المسلمين، وذو شأن كبير، وكان رأساً في العلم والعمل، كتب كتاباً إلى عبد الملك بن
مروان في الرد على القدرية، مات عام 110 هـ. ينظر: طبقات المفسرين، للداوودي، 1/ 150، والوفيات بالوفيات،
12/ 190.

(8) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 1/ 517.

(9) سورة البقرة، من الآية 31.

(10) سورة البقرة، من الآية 31.

(11) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 1/ 518.

قال الطبري في ذلك: «وربما كُنْتُ عنها إذ كان كذلك بالهاء والميم، كما قال - جل ثناؤه-
: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾⁽¹⁾... وإن كان ما قال ابن عباس جائزاً على مثال ما جاء في كتاب الله»⁽²⁾،
وحيث إنَّ القرآن صرَّح به فلا وجه لترجيح غيره عليه، ومن الأدلة النقلية أيضاً قوله - تعالى-:
﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ ۱ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ۲ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكَلِمَةُ إِذْ خُلِقَ ۝ ۳ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ ۴
عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾⁽³⁾، واللغات تدخل فيما علَّمه الله للإنسان، ومن أدلتهم النقلية أيضاً قوله -
جلَّ وعلا-: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾⁽⁴⁾، فذمهم
الله على تسمية بعض الأشياء دون توقيف، فدلَّ على أنَّ ما عداها حصل توقيفاً⁽⁵⁾.

ومن أدلتهم العقلية أنَّ العلماء يحتجون بكلام العرب فيما اختلفوا فيه، ولو كانت اللُّغة
اصطلاحية لما احتاجوا أن يحتجوا بكلام من سبقهم؛ بل يكون كلامهم أنفسهم حجة⁽⁶⁾، ومن أدلتهم
العقلية أيضاً أنَّ القول بأنَّ اللُّغة اصطلاحية يلزم عنه الدور⁽⁷⁾؛ لأنَّ وضع الألفاظ للمعاني لا يمكن
إلا بالقول، فإذا كان هذا القول بوضع آخر لزم عنه الدور⁽⁸⁾، وقد قال بهذا القول، أي: التوقيف،
الجمهور من علماء اللُّغة، وعلماء أصول الفقه، سأذكرهم وأذكر أقوالهم في المسألة مرتباً إياهم
ترتيباً تاريخياً.

أولاً- عبد الله بن المقفع⁽⁹⁾:

- (1) سورة النور، من الآية 45.
- (2) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 518- 519.
- (3) سورة العلق، الآيات 3-5.
- (4) سورة النجم، من الآية 23.
- (5) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي، 1/ 74.
- (6) ينظر: الصاحب في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لابن فارس، ص 14.
- (7) الدور «هو توقف كل واحد من الشيين على الآخر»، الكليات، ص 447، (مادة: دور).
- (8) ينظر: التفسير الكبير، 1/ 37.
- (9) هو: عبد الله بن المقفع، يرجع نسبه إلى الفرس، كان فاضلاً، من كملة الرجال، وهو أول من اعتنى بترجمة كتب المنطق، ومما ترجمه: كتاب كليله ودمنة، له تأليف حسنة، منها: رسالته في الأدب والسياسة، ورسالته البيئية في طاعة السلطان، وكتاب الأدب الصغير والأدب الكبير، توفي عام: 145 هـ. ينظر: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، لجمال الدين القفطي، ص 170، ومعجم المؤلفين، 6/ 156.

ذكر ابن المقفع أنّ أصول اللّغة من الله - تعالى- أي: أنها توقيفية، فقال وهو يتحدّث عن الأدب: «وَجُلُّ الأَدبِ بالمنطق، وِجُلُّ المنطق بالتّعلم، ليس منه حرف من حروف معجمه، ولا اسم من أنواع أسمائه، إلا وهو مروى، مُتعلّم، مأخوذ عن إمام سابق، من كلام أو كتاب، وذلك دليل على أنّ الناس لم يبتدعوا أصولها، ولم يأتهم علمها إلا من قِبَل العليم الحكيم»⁽¹⁾.

ثانياً- الجاحظ⁽²⁾:

يرى الجاحظ أنّ أصل اللّغة إلهام وفطرة من الله - تعالى- واحتج بأنّ إسماعيل -عليه السلام- نشأ بين أبوين أعجميين ثم صار عربيّاً، ويرى أنه ما ذلك إلا: «لأنّ الله - تعالى- فتق لهاته بالعربية المبينة على غير التلقين والترتيب، ثم فطره على الفصاحة العجيبة على غير النشو والتقدير»⁽³⁾، ويقول أيضاً مقرّراً لهذا المذهب: «والمؤمنون من جميع الأمم إذا دخلوا الجنة، وكذلك أطفالهم والمجانين منهم، يتكلمون ساعة يدخلون الجنة بلسان أهل الجنة على غير الترتيب والتنزيل، والتعليم على طول الأيام والترقيم والتلقين، فكيف يتعجّب الجاهلون من إنطاق إسماعيل بالعربية على غير تعليم الآباء، وتأديب الحواضن؟!»⁽⁴⁾، وفي هذا إشارة إلى أنّ الله - تعالى- هو الذي ألهمه اللّغة، وفتق لسانه بها، وهذا يدلّ على توقيف اللّغة.

ثالثاً- أحمد بن فارس:

كان ابن فارس من العلماء الذين ذهبوا إلى أنّ أصل اللّغة توقيف، وهذا نصّ كلامه: «أقول: إنّ لغة العرب توقيف، ودليل ذلك قوله - جلّ ثناؤه-: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾⁽⁵⁾، فكان ابن عبّاس يقول: علّمه الأسماء كلّها، وهي هذه التي يتعارفها الناس من: دابة، وأرض، وسهل، وجبل، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها... عن مُجاهد قال: علّمه اسم كلّ شيء، وقال غيرهما: إنما علّمه أسماء الملائكة، وقال آخرون: علّمه ذرّيته أجمعين»⁽⁶⁾، ثم أكّد ابن فارس ما ذهب إليه من أنّ اللّغة توقيف فقال: «والذي نذهب إليه في ذلك ما ذكرناه عن ابن

(1) الأدب الصغير والأدب الكبير، لابن المقفع، ص 12.

(2) هو: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، كان عالماً بالأدب، فصيح اللسان، بليغاً، صنّف في جملة من الفنون، وكان من أئمة المعتزلة، من مصنّفاته: الحيوان، والبيان والتبيين، وكتاب نظم القرآن، توفي عام: 255هـ. ينظر: نزّهة الألباء في طبقات الأدباء، ص 148، ومعجم الأدباء، لياقوت الحموي، 2122/5.

(3) رسائل الجاحظ، 1/ 31.

(4) المصدر نفسه، 1/ 33.

(5) سورة البقرة، من الآية 31.

(6) الصاحبى في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص 13.

عباس»⁽¹⁾؛ بل ذهب ابن فارس لأبعد من ذلك، وهو أنّ الألفاظ المترادفة كلها توقيفية، فقال: «فإن قال: أفنقولون في قولنا: سيف، وحسام، وعَضْب، إلى غير ذلك من أوصافه أنّه توقيف حتّى لا يكون شيء منه مُصْطَلَحًا عليه؟ قيل له: كذلك نقول»⁽²⁾.

رابعًا- الجصاص⁽³⁾:

ذكر الجصاص قول الله - تعالى:- ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾⁽⁴⁾، ثم قال: «وهذه الآية تدلّ على أنّ أصول اللّغات كلها توقيف من الله - تعالى- لآدم -عليه السلام- عليها على اختلافها، وأنّه علمه إياها بمعانيها؛ إذ لا فضيلة في معرفة الأسماء دون المعاني»⁽⁵⁾.

خامسًا- ابن حزم الأندلسي⁽⁶⁾:

قال -رحمه الله- عن كيفية ظهور اللّغات: «أكثرَ الناسُ في هذا، والصحيح من ذلك أصل الكلام توقيف من الله -عزّ وجلّ- بحجة سمع وبرهان ضروري، فأما السّمع فقول الله -عزّ وجلّ-: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾⁽⁷⁾، وأما الضروري بالبرهان، فهو أنّ الكلام لو كان اصطلاحًا لما جاز أن يصطلح عليه إلا قوم قد كملت أذهانهم، وتدرّبت عقولهم، وتمّت علومهم، ووقفوا على الأشياء كلها الموجودة في العالم، وعرفوا حدودها، واتفاقها، واختلافها، وطبائعها، وبالضرورة نعلم أن بين أول وجود الإنسان وبين بلوغه هذه الصفة سنين كثيرة جدًّا، يقتضي في ذلك تربية وحياطة وكفالة من غيره، إذ المرء لا يقوم بنفسه إلا بعد سنين من ولادته، ولا سبيل إلى تعایش الوالدين، والمتكفلين، والحضّان، إلا بكلام يتفاهمون به مراداتهم فيما لا بد لهم منه، فيما يقوم معاشهم من حرث، أو ماشية، أو غراس، ومن معاناة ما يُطرد به الحرّ، والبرد، والسّباع، ويعاني به

(1) المصدر نفسه.

(2) المصدر نفسه.

(3) هو: أحمد بن علي أبو بكر، الرّازي، المعروف بالجصاص، إمام كبير الشّان، إليه انتهت رئاسة الأحناف، اشتهر بالزهد في الدنيا، عُرض عليه القضاء فامتنع، له مصنّفات نافعة، منها: أحكام القرآن، وشرح مختصر الكرخي، وشرح الأسماء الحسنی، توفي عام: 370هـ. ينظر: الجواهر المضیة في طبقات الحنفیة، 1/ 224.

(4) سورة البقرة، من الآية 31.

(5) أحكام القرآن، للجصاص، 1/ 36.

(6) هو: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الإمام الحافظ، الفقيه، متقن في جملة من العلوم، صنّف مصنّفات نافعة، منها: الإحكام في أصول الأحكام، وكتاب الإجماع، والمحلّى بالآثار، توفي عام: 456هـ. ينظر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، لابن أبي نصر الأزدي، ص 309، ومعجم الأدباء، 4/ 1650، ومعجم المؤلفين، 7/ 16.

(7) سورة البقرة، الآية 31.

الأمراض، ولا بدّ لكلّ هذا من أسماء يتعارفون بها ما يعانونه من ذلك»⁽¹⁾، وقال أيضًا مؤكّدًا ما ذهب إليه من كون اللّغة توقيف لا اصطلاح: «الاصطلاح على وضع لغة لا يكون ضرورة إلا بكلام متقدم بيّن المصطلحين على وضعها، أو بإشارات قد اتفقوا على فهمها، وذلك الاتفاق على فهم تلك الإشارات لا يكون إلا بكلام ضرورة، ومعرفة حدود الأشياء وطبائعها التي عبّر عنها بألفاظ اللّغات لا يكون إلا بكلام وتفهم، لا بد من ذلك، فقد بطل الاصطلاح على ابتداء الكلام»⁽²⁾، ثم هو مع ما ذهب إليه من أنّ الأصل في اللّغة التوقيف، لا ينكر اصطلاح الناس على لغات أخرى بعد أن أوقفهم الله على لغة واحدة، قال في ذلك: «إلا أننا لا ننكر اصطلاح الناس على إحداث لغات شتى، بعد أن كانت لغة واحدة وُقِّفوا عليها، بها علموا ماهية الأشياء، وكيفياتها، وحدودها»⁽³⁾.

سادسًا- ابن قدامة المقدسي⁽⁴⁾:

نقل ابن قدامة الأقوال في المسألة، ثم بيّن ميله للقول بالتوقيف فقال: «والأشبه: أنها توقيفية، لقوله - تعالى-: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾»⁽⁵⁾»⁽⁶⁾، ثم ردّ بعض المطاعن على هذا القول فقال: «فإن قيل: يحتمل: أنه ألهمه وضع ذلك، ثم نسبه إلى تعليمه؛ لأنه الهادي إليه، ويحتمل: أنه كان موضوعًا قبل آدم بوضع خلق آخرين، فعلمه ما تواضع عليه غيره، ويحتمل: أنه أراد أسماء السماء والأرض، وما في الجنة والنار، دون الأسماء التي حدثت مسمياتها، قلنا: هذا نوع تأويل يحتاج إلى دليل»⁽⁷⁾، فردّه احتمالات الاصطلاح يدل على ميله للقول بالتوقيف.

سابعًا- البيضاوي⁽⁸⁾:

(1) الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم، 1/ 29-30.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه، 1/ 31.

(4) هو: عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، المقدسي، جمع علومًا شتى، إلا أنه غلب عليه الاشتغال بالفقه، كان عاملاً بعلمه، متواضعًا، حسن الأخلاق، صنّف فأجاد، ومن مصنفاته: كتاب المغني في الفقه، والكافي في الفقه، وروضة الناظر، توفي عام: 620هـ. ينظر: ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب، 3/ 297.

(5) سورة البقرة، من الآية 31.

(6) روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لابن قدامة المقدسي، 1/ 487-488.

(7) المصدر نفسه.

(8) هو: عبد الله بن عمر أبو الخير، البيضاوي، إمام عارف بالتفسير، والفقه، والعربية، كان شافعي المذهب، له مصنفات نافعة في الفقه والأصول والتفسير، منها: تفسيره المعروف بأنوار التنزيل وأسرار التأويل، والمنهاج في الأصول، وشرح الكافية لابن الحاجب، وغيرها، توفي عام: 685هـ. ينظر: طبقات المفسرين، للدواودي، 1/ 248، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، 7/ 685.

تعرّض البيضاوي عند تفسيره لقول الله - تعالى -: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (1) لمسألة اللغات، فقال في جملة فوائد استخراجها من الآية: «وَأَنَّ اللُّغَاتِ تَوْقِيفِيَّةٌ، فَإِنَّ الْأَسْمَاءَ تَدَلُّ عَلَى الْأَلْفَاظِ بِخُصُوصٍ أَوْ عَمُومٍ، وَتَعْلِيمُهَا ظَاهِرٌ فِي إِقَائِهَا عَلَى الْمُتَعَلِّمِ مَبِينًا لَهُ مَعَانِيهَا، وَذَلِكَ يَسْتَدْعِي سَابِقَةَ وَضْعٍ، وَالْأَصْلُ يَنْفِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْوَضْعُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَ آدَمَ، فَيَكُونُ مِنَ اللَّهِ - سبحانه وتعالى» (2).

ثامنًا- نجم الدين الطوفي:

نقل الطوفي أقوال الفريقين في المسألة، وساق أدلتهم، ثم استظهر القول بالتوقيف، فقال: «إِنْ حَاوَلْنَا الْقَطْعَ بِأَحَدِ الْأَقْوَالِ، فَلَا سَبِيلَ لَنَا إِلَيْهِ لَمَّا مَرَّ، وَإِنْ حَاوَلْنَا الظَّنَّ، فَالظَّاهِرُ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ، وَهُوَ التَّوْقِيفُ» (3).

تاسعًا- عبد الله بن إبراهيم الشنقيطي (4):

قال في نظمه مراقي السُّعود:

وَاللُّغَةُ الرَّبُّ لَهَا قَدْ وَضَعَا ... وَعَزُّوْهَا لِلْإِصْطِلَاحِ سُمِعَا (5)

ثم قال شارحًا هذا البيت: «اللُّغَةُ عَرَبِيَّةٌ كَانَتْ أَوْ غَيْرَهَا وَاضْعُهَا هُوَ اللَّهُ -تعالى-، عِلْمُهَا عِبَادَةُ بِالْوَحْيِ إِلَى بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ، وَهُوَ آدَمُ -عليه السلام- أَوْ خَلَقَ الْأَصْوَاتَ فِي بَعْضِ الْأَجْسَامِ بَأَنَّ تَدَلُّ مِنْ يَسْمَعُهَا مِنْ بَعْضِ الْعِبَادِ عَلَيْهَا، أَوْ خَلَقَ الْعِلْمَ الضَّرُورِيَّ فِي بَعْضِ الْأَجْسَامِ بِهَا» (6).

عاشرًا- محمد الأمين الجكني الشنقيطي (7):

- (1) سورة البقرة، من الآية 31.
- (2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 1/ 70.
- (3) شرح مختصر الروضة، للطوفي، 1/ 474.
- (4) هو: عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي، علوي النسب، مالكي المذهب، له مصنفات نافعة، منها: نشر البنود، ومراقى السعود، وشرحها، ومنظومة في علم البيان، ومنظومة في مصطلح الحديث، توفي عام: 1235 هـ. ينظر: الأعلام، للزركلي، 4/ 65.
- (5) نشر البنود على مراقى السعود، لعبد الله بن إبراهيم الشنقيطي، 1/ 109.
- (6) المصدر نفسه.
- (7) هو: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، إمام، مفسر، أصولي، من علماء شنقيط، وهاجر للمدينة النبوية واستقر بها، له مصنفات منها: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ودفع إبهام الاضطراب عن أي الكتاب، وألفية في المنطق، توفي عام: 1393 هـ. ينظر: الأعلام للزركلي، 6/ 45.

يميل الشنقيطي إلى كون اللّغة توقيفية، حيث قال بعد أن ذكر الخلاف في المسألة:
«الأشبه أن تكون توقيفية؛ لقوله - تعالى-: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (1) الآية» (2).

ولعلّي في هذا المطلب قد ذكرتُ أشهر من قال بأنّ اللّغة توقيف ووحى، وأنّ الله - تعالى- علمها لآدم، فعلمها آدم بنيه، وفي مقابل هؤلاء ذهب فريق آخر من العلماء إلى القول بأنّ اللّغة اصطلاح ووضع، وسأسلط الضوء على أشهر من قال بذلك في الفرع الآتي.

الفرع الثاني- مذهب القائلين باصطلاح اللّغة:

ذهب جماعة من العلماء إلى نقيض القول بالتوقيف، فقالت طائفة باصطلاح اللّغة، بمعنى أنّ اللّغة ليست بوحي من الله - تعالى-، وإنّما هي اصطلاح وتواضع، وذلك أن يجتمع حكيما فأكثر ويضعوا الأسماء للمسميات، ثم يتلقفها من جاء بعدهم، وهكذا حتى تذب وتنتشر.

قال ابن قدامة: «وأما الاصطلاح: فإنّ تجتمع دواعي العقلاء للاشتغال بما هو مهمّهم وحاجتهم من تعرّف الأمور الغائبة، فيبتدئ واحد، ويتبعه آخر، حتى يتم الاصطلاح» (3)، ثم يحصل التعريف بما اصطلح عليه بالإشارة والتكرار، كما يفعل الوالدان بالصبي عند تعليمه (4)، واستدل من قال بالاصطلاح لمذهبه بأدلة نقلية وعقلية أيضاً، ولعلّ من أبرز أدلتهم النقلية ما يأتي:

قال الله - تبارك وتعالى-: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (5)، نقل الطبري عند تفسير قول الله -جلّ وعلا-: ﴿بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾، أي: بلغة قومه (6)، فلما نسب اللّغة إليهم دلّ على أنّها بوضعهم قامت (7).

وأيضاً استدلوا بأنّ اللّغة لو كانت توقيفية تؤخذ من الرّسول لما تحقّق مجيء الرّسول بلسانهم (1) وقالوا أيضاً: «إن كانت توقيفية - والتوقيف إنّما يكون بالوحي، والوحي موقوف على

(1) سورة البقرة، من الآية 31.

(2) مذكرة في أصول الفقه، لمحمد الأمين الشنقيطي، ص 206.

(3) روضة الناظر وجنة المناظر، لابن قدامة المقدسي، 1/ 487.

(4) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي، 1/ 74.

(5) سورة إبراهيم، من الآية 4.

(6) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 13/ 593.

(7) ينظر: التمهيد في أصول الفقه، للكلوذاني، 1/ 74.

لغة سابقة، لقوله: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ» أي: بلغتهم- لزم الدور»⁽²⁾، ومن أدلتهم العقلية ما ذكره الرازي في تفسيره بأنهم احتجوا «بأنّ العلم بالصفة إذا كان ضروريًا كان العلم بالموصوف أيضًا ضروريًا، فلو خلق الله - تعالى- العلم في قلب العاقل بأنه وضع هذا اللفظ لهذا المعنى لزم أن يكون العلم بالله ضروريًا، وذلك يقدر في صحة التكليف»⁽³⁾، ويُعزى القول بالاصطلاح إلى أغلب المعتزلة، وأكثر من نُقل عنهم من فرق المعتزلة فرقة البهشية⁽⁴⁾، قال ابن تيمية⁽⁵⁾ عن مبدأ اللغات: «ولم يقل: إنها كلها اصطلاحية إلا طوائف من المعتزلة ومن اتبعهم، ورأس هذه المقالة أبو هاشم ابن الجبائي»⁽⁶⁾»⁽⁷⁾.

وتجدر الإشارة إلى أنّ من علماء المعتزلة من تردّد في المسألة، ولعلّ من أبرزهم ابن جني⁽⁸⁾، حيث جاء عنه قوله: «واعلم فيما بعد أنني على تقادم الوقت دائم التنقير والبحث عن هذا الموضوع، فأجد الدواعي والخوارج قوية التجاذب لي، مختلفة جهات التغوّل على فكري، وذلك أنني إذا تأملت حال هذه اللّغة -الشريفة الكريمة اللّطيفة- وجدتُ فيها من الحكمة والدقة والإرهاق والرقّة ما يملك عليّ جانب الفكر... فمن ذلك ما نبّه عليه أصحابنا - رحمهم الله- ومنه ما حدوته على أمثلتهم فعرفت بتتابعه وانقياده وبُعد مرامييه وأماده صحة ما وفقوا لتقديمه منه، ولطف ما أسعدوا به وفرّق لهم عنه، وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار المأثورة بأنها من عند الله -عز وجلّ- فقوي في نفسي اعتقاد كونها توفيقًا من الله - سبحانه- وأنها وحي.

ثم أقول في ضدّ هذا: كما وقع لأصحابنا ولنا، وتنبهوا وتنبهنا على تأمل هذه الحكمة الرائعة الباهرة كذلك، لا ننكر أن يكون الله - تعالى- قد خلق من قبلنا - وإن بعد مداه عنا- من كان ألطف منا أذهانًا، وأسرع خواطر، وأجرأ جنانًا، فأفّ بين تين الخلتين حسيّرًا، وأكثرهما

(1) ينظر: بذل النظر في الأصول، للأسمندي، ص 35.

(2) تفسير النيسابوري، 4/ 172.

(3) التفسير الكبير، 1/ 37.

(4) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام، 1/ 74، والبهشية: أتباع أبي هاشم بن الجبائي، وهي فرقة من فرق المعتزلة، ومن مذهبهم: أنّ من تاب عن ذنب مع إصراره على ذنب آخر لا تصح توبته عما تاب، ومن مذهبهم أيضًا: أنّ التوبة عن الذنب بعد عجز المذنب عن الذنب لا تقبل، إلى غير ذلك. ينظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، لأبي المظفر الإسفراييني، ص 86.

(5) هو: أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، إمام، فقيه، مجتهد، محدث، حافظ، مفسر، له مصنفات كثيرة، منها: مجموع الفتاوى، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ودرء تعارض العقل والنقل. ينظر: ذيل طبقات الحنابلة، 4/ 520، والوافي بالوفيات، 7/ 11.

(6) هو: عبد السلام بن أبي علي محمد، أبو هاشم الجبائي، كان هو وأبوه من كبار المعتزلة، ولهما مقالات على مذهب الاعتزال، مبنوثة في كتب الكلام، توفي عام: 321هـ. ينظر: وفيات الأعيان، 3/ 183.

(7) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، 12/ 446.

(8) هو: عثمان بن جني، أبو الفتح الموصلي، واحد زمانه، وسابق أقرانه، من أحذق أهل الأدب، وأعلمهم بالنحو والتصريف، له تصانيف مشهورة، منها: الخصائص، وسر صناعة الإعراب، وشرح تصريف المازني، ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، للفيروز آبادي، ص 195، وبغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة، 2/ 132.

فأنكفيء مكثوراً»⁽¹⁾، فقله: «فأقف بين تين الخلتين حسيراً»، ظاهر في ترده وعدم جزمه بقول.

الفرع الثالث- مذهب القائلين بالتوقف:

لما نظر فريق من العلماء المحققين للقولين، ووقفوا على حجة الفريقين، توقفوا فلم يقولوا بقول، لجواز صحة كل قول، ورأوا أنّ الأسلم لهم التوقف، قال الرازي: «وأما جمهور المحققين فقد اعترفوا بجواز هذه الأقسام، وتوقفوا عن الجزم»⁽²⁾، ولعلّ من أبرز العلماء المحققين الذين تبوّوا هذا المذهب:

أولاً- الغزالي⁽³⁾:

تعرّض الغزالي للأقوال في المسألة، ثم أردفها ببيان رأيه فقال: «أما الواقع من هذه الأقسام فلا مطمع في معرفته يقيناً إلا ببرهان عقلي، أو بتواتر خبر، أو سمع قاطع، ولا مجال لبرهان العقل في هذا، ولم ينقل تواتر، ولا فيه سمع قاطع، فلا يبقى إلا رجم الظنّ في أمر لا يرتبط به تعبد عملي، ولا تُرهِق إلى اعتقاده حاجة، فالخوض فيه إذاً فضول لا أصل له»⁽⁴⁾.

ثالثاً- الرازي:

نقل الرازي أدلة الفريقين، ثم تعرّض لها بالنقد والرد، وختم بقوله: «فهذا هو الجواب عن وجوه القاطعين، ومتى ظهر ضعفها وجب التوقف»⁽⁵⁾.

رابعاً- الأرموي⁽⁶⁾:

(1) الخصائص، لابن جني، 48 / 1.

(2) المحصول، 182 / 1.

(3) هو: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إمام أهل زمانه، فقيه، متكلم، صاحب مصنفات، قرأ المنطق، والحكمة، والفلسفة، وأحكم كل ذلك، وصنف في كل فن منها، مصنفاته كثيرة، منها: البسيط، في الفقه، وإحياء علوم الدين، وكتاب الأسماء الحسنی، توفي عام: 505 هـ. ينظر: طبقات الفقهاء الشافعية، 1 / 249، وطبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، 6 / 191، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، 6 / 18.

(4) المستصفي، ص 181.

(5) المحصول، 192 / 1.

(6) هو: محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموي، متكلم على مذهب الأشاعرة، كان رديء الخط، وكان رجلاً ظريفاً، صنف مصنفات جامعة، منها: الزبدة، ونهاية الوصول، والفائق، توفي عام: 715 هـ. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، 9 / 162، وطبقات الشافعية، لابن قاضي شهبه، 2 / 228.

اطَّلع الأرموي على القولين ثم رجَّح مذهب جمهور المحققين، وهو القول بالتوقف فقال: «واعلم: أنَّ الحقَّ في هذه المسألة هو ما ذهب إليه جمهور المحققين؛ إذ لا قاطع يدل على أحد الاحتمالات المذكورة، على ما سيظهر ذلك عند القرح في أدلتهم، وليست المسألة عملية، ولا آيلة إلى العمل حتى يُكتفي فيها بالأدلة الظنية، وقد ثبت إمكان الكلِّ فوجب التوقف»⁽¹⁾.

خامساً- الشوكاني(2):

نقل الشوكاني أقوال العلماء في المسألة وأدلتهم، إلى أن وصل إلى القول بالتوقف فقال: إنَّ حجة أهله أنهم قالوا: «هذه الأدلة التي استدلت بها القائلون لا يفيد شيء منها القطع؛ بل لم ينهض شيء منها لمطلق الدلالة، فوجب عند ذلك الوقف؛ لأنَّ ما عداه هو من التوقُّل على الله بما لم يقل، وأنه باطل»⁽³⁾، ثم رجَّح هذا القول بعينه فقال: «وهذا هو الحق»⁽⁴⁾.

وهناك أقوال أخرى في مسألة واضع اللُّغة، ولعلها ترجع إلى هذه الأقوال، أو قريباً منها، ولعلَّ ما ذكرته هو أبرزها وأشهرها، ثم لما عرِّفتُ الوضع، في اللُّغة والاصطلاح، وذكرتُ اختلاف العلماء في واضع اللُّغة، بقي أن نعرف هل اقتصر الواضع في وضعه للألفاظ على معنى واحد لكل لفظ؟، أو أنَّ اللفظ الواحد قد يحتمل أكثر من معنى، وهذا يجرُّنا لقضية المشترك اللفظي، وهو ما سأتكلم عنه في المبحث الآتي.

(1) نهاية الوصول في دراية الأصول، 81 / 1.

(2) هو: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فقيه، زاهد، ورع، له مصنفات كثيرة، منها: الدر النضيد، وإرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، وفتح القدير، في التفسير، توفي عام: 1250 هـ. ينظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، 214 / 22، والتاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، لمحمد صديق خان، ص 443.

(3) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، 45 / 1.

(4) المصدر نفسه.

المبحث الثاني- المشترك اللفظي بين المجيزين والمانعين:

لما كانت الألفاظ قوالب المعاني ودليلاً عليها، كان ينبغي أن يكون لكل معنى لفظ خاص به، يميزه عن غيره؛ ولذلك منع فريق من العلماء وقوع المشترك في اللغة، ومنعوا دلالة اللفظ الواحد على غير معناه الذي وُضع له، ولكن لكون الألفاظ متناهية، والمعاني غير متناهية لجأ فريق من العلماء إلى القول بوجوب، أو جواز وقوع اللفظ المشترك، وفي هذا المبحث سأعرض لتعريف المشترك في اللغة والاصطلاح في أول مطالبه، وأتناول في المطلب الثاني منه أقوال المجيزين لوقوع اللفظ المشترك في اللغة، وأخصص المطلب الثالث لأقوال المانعين من وقوع المشترك.

المطلب الأول- تعريف المشترك لغة واصطلاحاً:

الفرع الأول- المشترك لغة:

ذكر أهل اللغة معاني عدّة للمشارك، وكلها ترجع إلى المخالطة، وعدم الانفراد، ومن هذه المعاني ما ذكره الأزهرى بقوله: «الشركة: مخالطة الشريكين، يقال: اشتركتنا بمعنى تشاركنا»⁽¹⁾.

وذكر ابن فارس في مقاييس اللغة أنّ «الشين والراء والكاف أصلان، أحدهما يدلّ على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر يدلّ على امتداد واستقامة، فالأول: الشَّرْكَة، وهو أن يكون الشيء بين اثنين، لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلاناً في الشيء، إذا صرت شريكه، وأشركت فلاناً، إذا جعلته شريكاً لك، قال الله - جل ثناؤه- في قصة موسى: ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾⁽²⁾»⁽³⁾.

وقال ابن سيده عن المشارك: هو الذي «تشارك فيه معان كثيرة، كالعين ونحوها، فإنه يجمع معاني كثيرة»⁽⁴⁾، وقال في موضع آخر: «وكلّ ما كان القوم فيه سواء فهو مشترك، كالفریضة، ومنه الطريق مشترك»⁽⁵⁾.

(1) تهذيب اللغة، 10 / 13، (مادة: شرك).

(2) سورة طه، الآية 32.

(3) مقاييس اللغة، 3 / 265، (مادة: شرك).

(4) المحكم والمحيط الأعظم، 6 / 684، (مادة: شرك).

(5) المخصص، 3 / 431، (مادة: شرك).

فتبين من هذه التعريفات أنّ المشترك لا يدلّ على انفراد؛ وإنما يدلّ على اجتماع ومخالطة، فسمي مشتركاً؛ لأنّ المعاني تشترك فيه، ولا ينفرد به معنى دون غيره، قال الرجراجي عن المشترك: إنه «مأخوذ من الشركة؛ لاشتراك المعاني فيه، كما سُمّيت الدار المشتركة بين الشركاء مشتركة؛ لاشتراك الشركاء فيها»⁽¹⁾.

الفرع الآخر- المشترك اصطلاحاً:

لا يختلف معنى المشترك في الاصطلاح عن معناه في اللّغة، فقد ذكر العلماء للمشارك عدّة معانٍ، ومن هذه المعاني ما ذكره ابن فارس بقوله: «تسمّى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد، نحو: عين الماء، وعين المال، وعين السحاب»⁽²⁾.

وعرّف الغزالي الأسماء المشتركة فقال فيها: «هي الأسماء التي تُطلق على مسميات مختلفة، لا تشترك بالحدّ والحقيقة»⁽³⁾.

وعن الرازي أنّ «المشارك: هو اللفظ الموضوع لحقيقتين مختلفتين أو أكثر، وضِعاً أوّلاً من حيث هما كذلك»⁽⁴⁾.

وعرّف الدبوسي⁽⁵⁾ المشترك بأنه: «ما اشترك فيه جمع من الأسماء أو المعاني من غير انتظام، ولكن على الاختلاف»⁽⁶⁾.

وذكر أبو سهل الهروي⁽⁷⁾ تعريفاً للمشارك جاء فيه: أنه «يعني دلالة اللفظ على معنيين فأكثر»⁽⁸⁾.

(1) رفع النقب عن تنقيح الشهاب، للرجراجي، 1/ 256.

(2) الصاحبى في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص 59.

(3) محك النظر في المنطق، للغزالي، ص 209.

(4) المحصول، 1/ 261.

(5) هو: عبيد الله بن عمر بن عيسى القاضي، أبو زيد الدبوسي، كان من كبار فقهاء الحنفية، ويضرب به المثل، وهو أول من أظهر علم الخلاف وأبرزه، صاحب مصنفات قيمة، منها: تقويم الأدلة، وكتاب الأسرار، توفي عام: 430هـ. ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، 2/ 252، والطبقات السنية في تراجم الحنفية، 4/ 177.

(6) تقويم الأدلة في أصول الفقه، للدبوسي، ص 94.

(7) هو: محمد بن علي بن محمد أبو سهل الهروي اللّغوي، كان نحويّاً، وله رئاسة المؤذنين، له مصنفات في النحو، ومن مصنفاته إسفار الفصيح، وهو شرح فصيح ثعلب، توفي عام: 433هـ. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة، 1/ 191، والوافي بالوفيات، 4/ 90.

(8) إسفار الفصيح، للهروي، 1/ 179.

والمشترك عند السرخسي⁽¹⁾ هو: «كل لفظ يشترك فيه معانٍ أو أسامٍ لا على سبيل الانتظام؛ بل على احتمال أن يكون كلّ واحد هو المراد به على الانفراد، وإذا تعين الواحد مراداً به انتفى الآخر، مثل: اسم العين»⁽²⁾.

ويرى الأمدي⁽³⁾ أنّ المشترك هو أن يكون «الاسم واحداً والمسمى مختلفاً»⁽⁴⁾، وقال القرافي مُعرِّفاً المشترك: «هو اللفظ الموضوع لكلّ واحد من معنيين فأكثر، كالعين»⁽⁵⁾.

وذكر الأرموي حدّاً للمشارك فقال: «هو اللفظ الواحد الموضوع لشئيين مختلفين أو أكثر، من حيث هما كذلك، من غير نقل عن أحدهما إلى الآخر»⁽⁶⁾.

ومن تعريفات المشترك أيضاً تعريف علاء الدين البخاري، فهو عنده «كل لفظ احتمل معنى من المعاني المختلفة، أو اسماً من الأسماء على اختلاف المعاني، على وجه لا يثبت إلا واحد من الجملة مراداً به»⁽⁷⁾.

وقال ابن جزي عن المشترك هو «اللفظ الموضوع لمعنيين، وضِعاً لم ينقل من أحدهما إلى الآخر، فإن كان منقولاً من أحدهما إلى الآخر فلا يسمى مشتركاً في الاصطلاح»⁽⁸⁾.

وذكر تاج الدين السبكي تعريفاً للمشارك فقال: «هو ما اتّحد لفظه، وتعدّد معناه ووضع»⁽⁹⁾، وجاء في كتاب الإبهاج في شرح المنهاج أنّ المشترك «هو أن يكون اللفظ واحداً والمعنى كثيراً»⁽¹⁰⁾.

وعرّف ابن أمير حاج⁽¹⁾ المشترك بأنه: «لفظ وُضِعَ وضِعاً متعدداً، لمعان متعددة، ولم يُلاحظ حصرها في كمية»⁽²⁾، ونقل السيوطي⁽³⁾ في المزهرة تعريفاً للمشارك جاء فيه أنه «اللفظ الواحد الدالُّ على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السواء عند أهل تلك اللّغة»⁽⁴⁾.

(1) هو: محمد بن أحمد بن أبي سهل أبو بكر السرخسي، شمس الأئمة، أحد الأئمة الفحول الكبار، كان إماماً، متفتناً، فقيهاً، أصولياً، صاحب مصنفات جيا، منها: المبسوط، صنّفه وهو في السجن، وشرح السّير الكبير، توفي عام: 483هـ. ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، 28/2، ومعجم المؤلفين، 8/239.

(2) أصول السرخسي، للسرخسي، 1/126.

(3) هو: علي بن أبي علي، سيف الدين الأمدي، أحد أذكى العالم، أصولي، متكلم، كان حنفيّاً ثم انتقل إلى المذهب الشافعي، تصدر للإقراء بمصر، وله مصنفات شتى، منها: الإحكام في أصول الفقه، والمنتهى، ومناخ القرائح، توفي عام: 631هـ. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، 8/306، والوافي بالوفيات، 21/229.

(4) الإحكام في أصول الأحكام، 1/18.

(5) شرح تنقيح الفصول، للقرافي، ص 29.

(6) نهاية الوصول في دراية الأصول، 1/213.

(7) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، لعلاء الدين البخاري، 1/38.

(8) تقريب الوصول إلى علم الأصول، لابن جزي، ص 145.

(9) رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، 1/162.

(10) الإبهاج في شرح المنهاج، 1/214.

وذكر صاحب نشر البنود تعريفاً للاشتراك جاء فيه: «الاشتراك هو أن يتحد اللفظ ويتعدد معناه الحقيقي»⁽⁵⁾.

فالمتمأمل في هذه التعريفات يجد أنها متفقة أنّ المشترك لفظ واحد ذو معانٍ متعددة، ويُعرّف المعنى المراد من اللفظ بالسياق، ولكنّ المشترك اللفظي لم يقل به جميع العلماء، فهناك من جوّز وجوده في اللّغة، وهناك من منعه، وفي المطلبين الآتيين بيان لقول الفريقين وأدلتهم.

المطلب الثاني- المجيزون لوقوع المشترك في اللّغة:

أجاز جمع من العلماء وقوع المشترك في اللّغة، واحتجّوا بأنّ الألفاظ متناهية؛ لأنها مركبة من الحروف، والحروف متناهية، والمعاني ليست كذلك، فمن هنا جاز وقوع لفظ واحد على أكثر من معنى بالتساوي، وهو المشترك⁽⁶⁾، وقال بوقوع المشترك في اللّغة عامة النحاة وأهل اللّغة، وأرباب أصول الفقه، ومن أبرزهم:

أولاً- الخليل بن أحمد الفراهيدي⁽⁷⁾:

لم أقف على تصريح من الخليل حول قضية المشترك اللفظي، وإنما نلمس ذلك مما ورد في كتاب العين، فإنه يذكر لبعض الألفاظ أكثر من معنى، مما يدلّ على تبنيّه لرأي وقوع الاشتراك، ومن ذلك قوله: «الظنُّ يكون بمعنى الشكِّ وبمعنى اليقين»⁽⁸⁾.

ثانياً- سيبويه⁽⁹⁾:

-
- (1) هو: محمد بن محمد بن محمد بن الحسن، المعروف بابن أمير حاج، كان إماماً، عاملاً، فقيهاً، أصولياً، مفسراً، صاحب تصانيف مشهورة، أخذ عنه أكابر العلماء، من مصنفاته: التقرير والتحبير، توفي عام: 879هـ. ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 9/ 490، ومعجم المؤلفين، 1/ 274.
 - (2) التقرير والتحبير على كتاب التحرير، لابن أمير حاج، 1/ 176.
 - (3) هو: جلال الدين، عبد الرحمن السيوطي، الإمام الكبير، صاحب التصانيف الكثيرة، برز في علوم كثيرة، وفاق أقرانه، ذاع صيته، واشتهر أمره، من مصنفاته: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، والمزهر في اللّغة، والجامع الصغير في الحديث، توفي عام 911هـ. ينظر: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، ص 343.
 - (4) المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، 1/ 292.
 - (5) نشر البنود على مراقي السعود، لعبد الله العلوي، 1/ 124.
 - (6) ينظر: الفائق في أصول الفقه، 1/ 70.
 - (7) هو: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كان ذكياً، فطناً، شاعراً، وهو الذي وضع علم العروض، واستنبط من علل النحو ما لم يسبق إليه، من مصنفاته: الجمل في النحو، وينسب إليه كتاب العين، توفي عام: 170هـ. ينظر: طبقات النحويين واللّغويين، ص 51، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللّغة، ص 133، والوافي بالوفيات، 13/ 242.
 - (8) كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، 8/ 152، (مادة: ظنن).
 - (9) هو: عمرو بن عثمان بن قنبر، يعرف بسيبويه، أخذ عن الخليل، وهو أثبت من أخذ عنه، كتابه أبلغ من لسانه، برع في عدّة علوم، واختص بالنحو، صنّف في النحو كتابه الكتاب، لم يصنف مثله، ذكر الرّجّاج أنه أعلم الناس باللّغة، توفي عام: 180هـ. ينظر: طبقات النحويين واللّغويين، ص 72، ووفيات الأعيان، 3/ 465.

أقرّ سيبويه بوقوع الاشتراك في كلام العرب، فقال: «اعلم أنّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتّفاق اللفظين واختلاف المعنيين»⁽¹⁾، وقال في موضع آخر: «وليس بمستنكر في كلامهم أن يكون اللفظ واحداً والمعنى جميع»⁽²⁾.

ثالثاً- ابن فارس:

ذكر ابن فارس الاشتراك، فعرفّه وذكر أمثلة له، ولم يتعرض لقضية نفيه، مما يُرَجِّح تبنيه للقول بوقوع المشترك في اللّغة⁽³⁾.

رابعاً- أبو الحسين محمد بن علي الطيب⁽⁴⁾:

وهو من أئمة المعتزلة، قال وهو يتكلم عن قضية المشترك اللّغوي: «وقول أهل اللّغة: شَفَقَ، وقُرء من أسماء الأضداد وأنه مشترك، يدل على ثبوت الأسماء المشتركة في اللّغة، وليس لأحد أن يتعسف التأويل فيجعل قولنا: قرء مفيداً للطهر والحيض فائدة واحدة؛ لأنّ ذلك إنما يسوغ لو امتنع كون ذلك في اللّغة»⁽⁵⁾.

خامساً- أبو الوفاء ابن عقيل⁽⁶⁾:

وهو من العلماء الذين أقرّوا بوقوع الاشتراك في اللّغة، فبعد أن ساق أدلة على إثباته قال: «ولا ينكر في اللّغة الاشتراك في الصيغة الواحدة بين المعاني المختلفة»⁽⁷⁾.

سادساً- العلاء الأسمندي⁽⁸⁾:

-
- (1) الكتاب، لسيبويه، 24 / 1.
(2) المصدر نفسه، 209 / 1.
(3) ينظر: الصاحبى في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص 207-208.
(4) هو: أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري المتكلم، كان من أئمة المعتزلة المشار إليهم، له مصنفات مفيدة في أصول الفقه، منها: المعتمد، وغرر الأدلة، وكتاب في الإمامة، توفي عام: 436 هـ. ينظر: وفيات الأعيان، 4 / 271، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، 5 / 172.
(5) المعتمد في أصول الفقه، لأبي الحسين البصري، 18 / 1.
(6) هو: علي بن عقيل، أبو الوفاء، مقرئ، فقيه، أصولي، واعظ، متكلم، صنّف الكتب الكبار، وكان بارعاً في الفقه وأصوله، وله في ذلك استنباطات عظيمة حسنة، ومن مصنفاته: كتاب الفنون، وكتاب الإرشاد في أصول الدين، والواضح في أصول الفقه، توفي عام: 513 هـ. ينظر: ذيل طبقات الحنابلة، 1 / 316، وسير أعلام النبلاء، 14 / 330.
(7) الواضح في أصول الفقه، 67 / 4.
(8) هو: محمد بن عبد الحميد بن الحسن، أبو الفتح الأسمندي، فقيه، مناظر، بارع، من فحول فقهاء الحنفية، صنّف في الخلاف، وأملى في التفسير، أخذ عنه السمعاني، توفي عام: 552 هـ. ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، 74 / 2، وتاج التراجم في طبقات الحنفية، لابن قطلوبغا، ص 243.

قال وهو يتكلم عن الاشتراك: «اعلم أنه يجوز أن يكون اللفظ الواحد موضوعاً للشيين على سبيل الاشتراك، كما يجوز أن يكون موضوعاً للشيء الواحد على سبيل الانفراد، وهذا عند أكثر الناس»⁽¹⁾، ثم ذكر الأدلة على جواز الاشتراك، ونقض أقوال المخالفين، إلى أن قال: «فيثبت بما ذكرنا جواز الأسماء المشتركة، وورود اللّغة بها»⁽²⁾.

سابعاً- الفخر الرازي:

بسط الرازي القول في قضية المشترك، وذكر حجة الفريقين، ثم غلب جانب الوقوع بغلبة الظن فقال: «الأغلب على الظن وقوع المشترك، والدليل عليه أنا إذا سمعنا القراء، لم نفهم أحد المعنيين من غير تعيين؛ بل بقي الذهن متردداً»⁽³⁾، وقال أيضاً في مسألة تعارض الاشتراك والنقل: «الاشتراك ما أنكره أحد من العلماء المحققين، والنقل أنكره كثير من المحققين»⁽⁴⁾.

ثامناً- ابن الحاجب⁽⁵⁾:

رجّح ابن الحاجب وقوع المشترك فقال: «المشترك واقع على الأصح، لنا أنّ القراء للظهر والحيز معاً على البديل من غير ترجيح»⁽⁶⁾.

تاسعاً- الأمدى:

نقل الأمدى الخلاف في مسألة وقوع المشترك في اللّغة، واختار وقوعه، فقال: «اختلف الناس في اللفظ المشترك، هل له وجود في اللّغة؟ فأثبته قوم ونفاه آخرون، والمختار جوازه ووقوعه»⁽⁷⁾.

عاشراً- الأرموي:

تطرّق الأرموي لقضية جواز وقوع المشترك في كتاب الله، وسنة رسوله - ﷺ - ورجّح جواز وقوعه، واستدل بأدلة من القرآن الكريم، قال في ذلك: «المشترك يجوز أن يقع في كلام الله

(1) بذل النظر في الأصول، للأسمندي، ص 17.

(2) المصدر نفسه، ص 19.

(3) المحصول، 1/ 265.

(4) المصدر نفسه، 1/ 353.

(5) هو: أبو عمرو عثمان بن عمر، المعروف بابن الحاجب، فقيه، أصولي، متكلم، لغوي، من مصنفاته: مختصره الفرعي، ومختصره الأصلي، ومنها: الكافية في النحو ونظمها الوافية، ومنها الشافية في التصريف، توفي عام: 646هـ. ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، للتبكتي، 1/ 241، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللّغة، ص 197.

(6) بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، 1/ 163.

(7) الإحكام في أصول الأحكام، 1/ 19.

- تعالى- وكلام رسوله، والدليل على وقوعه، قوله - تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾⁽¹⁾، وقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾⁽²⁾، وقوله - تعالى-: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾⁽³⁾، وهو دليل الجواز وزيادة، وإذا ثبت جواز وقوعه في كلام الله - تعالى- ثبت جواز وقوعه أيضا في كلام الرسول؛ إذ لا قائل بالفصل⁽⁴⁾.

والقول بوقوع المشترك في اللّغة لا يعني أنه جاء على الأصل؛ بل هو خلاف الأصل؛ لأنّ الأصل في الألفاظ الانفراد لا الاشتراك، قال صاحب نهاية السؤل: «الاشتراك وإن كان جائزاً أو واقعاً لكنه خلاف الأصل»⁽⁵⁾.

المطلب الثالث- المانعون من وقوع المشترك في اللّغة:

صرّح بعض العلماء بمنع وقوع اللفظ المشترك في اللّغة، بحجة أنّ الألفاظ إنما وُضعت للدلالة على المعاني، فينبغي أن يكون لكل معنى لفظ يدلّ عليه، وقالوا نصرة لمذهبهم: إنّ المخاطبة بالمشترك إذا كانت من غير قرينة لزم منها أحد أمرين: إما العبث إن لم يُقصد الإفهام، وإما التكليف بما لا يطاق إن قُصد الإفهام، وإن وجدت القرينة مع اللفظ المشترك كان في الكلام تطويل بلا فائدة، وإن تعلق بالمشترك غرض من المخاطب فالمفسدة فيه راجحة على المصلحة؛ لأنّ فيه إخلالاً بالفهم التّام⁽⁶⁾، ونقل الرازي مثلاً على الضرر المتوقع حصوله من اللفظ المشترك، فقال عن المتلفظ بالمشترك: «ربما ظنّ أنّ السامع متنبه للقرينة الدالة على تعيين المراد، مع أنّ السامع لم يتنبه له، فيحصل الضرر، كمن قال لعبده: أعط الفقير عيئاً، على ظنّ أنه يفهم أنّ مراده الماء، ثم إنه يعطيه الذهب فيتضرر السيد به»⁽⁷⁾.

ومن حُجج المانعين أيضاً أنه «لم ينقل من العرب بالصرّاحة في لفظ معين أنه مشترك؛ بل غاية ما يعلم منهم أنهم استعملوه في معنيين مختلفين أو متضادين، لكن يمكن جعله حقيقة في

(1) سورة الأحزاب، من الآية 56.

(2) سورة التكوير، الآية 17.

(3) سورة البقرة، من الآية 228.

(4) نهاية الوصول في دراية الأصول، للأرموي، 1/ 227.

(5) نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، للإسنوي، ص 110.

(6) ينظر: نهاية الوصول في دراية الأصول، 1/ 217- 218.

(7) المحصول، 1/ 277.

القدر المشترك، كما في لفظ العين، أو حقيقة في أحدهما مجازاً في الآخر، كما في القراء والجون»⁽¹⁾.

وهذا القول أي: عدم جواز وقوع المشترك، قال به ثعلب⁽²⁾ من اللغويين، وأبو زيد البلخي⁽³⁾، والأبهري⁽⁴⁾، وينسب لداود الظاهري⁽⁵⁾ منعه في القرآن خاصة⁽⁶⁾.

وإذا أورد المجوزون لفظاً مشتركاً رده هؤلاء بتأويلات منها قولهم: «كل ما يُظنّ مشتركاً فهو إما أن يكون متواطئاً، أو يكون حقيقة في أحدهما مجازاً في الآخر، كالعَيْن، فإنه وُضِعَ أولاً للجارحة المخصوصة، ثم نقل إلى الدينار؛ لأنه في الغرة والصفاء كذلك الجارحة، وإلى الشمس؛ لأنها في الصفاء والضيء كذلك الجارحة، وإلى الماء لوجود المعنيين فيه»⁽⁷⁾.

ويرد على أصحاب هذا القول أن الاشتراك حقيقة ثابتة قال بوقوعه الجمهور، ومنه ما جاء ذكره في القرآن الكريم، نحو قوله - تعالى -: «وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ»⁽⁸⁾، فالقراء يحتمل أن يراد به الحيض، وأن يراد به الطهر، قال الطبري بعد أن نقل أقوال الفريقين في معنى القراء: «القراء في كلام العرب: جمعه قروء، وقد تجمعته العرب أقراء... وأصل القراء في كلام العرب: الوقت لمجيء الشيء المعتاد مجيئه لوقت معلوم، ولإدبار الشيء المعتاد إدباره لوقت معلوم»⁽⁹⁾، فهذا يدل على أن العرب تطلق اللفظ الواحد على أكثر من معنى، وفي ذلك ردُّ

(1) نهاية الوصول في دراية الأصول، 1/ 221.

(2) هو: أحمد بن يحيى، المعروف بثعلب، إمام الكوفيين في النحو، كان حافظاً للغة، عالماً بالمعاني، عارفاً بالغريب، راوية للشعر، صنّف الكتب وله ثلاث وعشرون سنة، من مصنفاته: الفصيح، وقواعد الشعر، ومجالس ثعلب، توفي عام: 291 هـ. ينظر: طبقات النحويين واللغويين، ص 149، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص 173.

(3) هو: أحمد بن سهل البلخي أبو زيد، كان فاضلاً مشغلاً بجميع العلوم القديمة والحديثة، من مصنفاته: كتاب أقسام العلوم، وكتاب شرائع الأديان، وكتاب السياسة الكبير، والصغير، توفي عام: 322 هـ. ينظر: معجم الأدباء، 1/ 274، ومعجم المؤلفين، 1/ 240.

(4) هو: محمد بن عبد الله بن صالح، أبو بكر الأبهري، سكن بغداد وحدث بها، انتهت إليه الرئاسة في مذهب مالك، وكان أحد أئمة القرآن المتصدرين، العارفين بوجوه القراءة والتجويد، من مصنفاته: الرد على المزني، وكتاب الأصول، وكتاب إجماع أهل المدينة، توفي عام: 395 هـ. ينظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، 2/ 210، والأعلام للزركلي، 6/ 225.

(5) هو: داود بن علي بن خلف الأصفهاني، كان إماماً، زاهداً، متقلاً، وُصِفَ بأنّ عقله أكثر من علمه، صنّف كتابين في فضائل الشافعي والثناء عليه، ثم استقلّ بمذهب فقهي، وهو المذهب الظاهري، خالف فيه المذاهب الفقهية في عدة مسائل، توفي عام: 270 هـ. ينظر: طبقات الفقهاء، للشيرازي، ص 92، ومعجم المؤلفين، 4/ 139.

(6) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي، 2/ 377.

(7) المحصول، 1/ 265.

(8) سورة البقرة، من الآية 228.

(9) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 4/ 100.

على المانعين، وقال - سبحانه-: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾⁽¹⁾، فلفظ ﴿عَسَسَ﴾ يحتمل معنيين في كلام العرب، وهما الإقبال والإدبار⁽²⁾.

وقولهم: إنَّ كل ما يظن مشتركاً قد يكون حقيقة في أحدهما مجازاً في الآخر، يرد عليه أنَّ اللَّفْظَ المشترك إذا أُطلق لم يتبادر إلى الذهن معنى دون آخر، وإنما يبقى الذهن متردداً بين المعنيين، وهذا يدل على احتمال اللَّفْظِ لكِلَا المعنيين⁽³⁾.

ثم إنَّ القول بالاشتراك يعكس مرونة اللُّغة، وأنها قادرة على التعبير على المعاني المختلفة باللَّفْظِ الواحد، ثم يأتي دور السياق لبيان المعنى المراد باللَّفْظِ في سياقه، فالقول بمنع الاشتراك يلغي دور السياق في تحديد المعنى.

المطلب الرابع- موقف المفسرين من المشترك.

أقرَّ جمهور المفسرين بوقوع الاشتراك في اللُّغة، وبناء عليه أثبتوا وقوع المشترك في القرآن الكريم، ولما كان المشترك يحمل معان متعددة اختلفت نظرتهم إليه، فمن المفسرين من حمل المشترك على معنى واحد، ومنهم من حمله على كل معانيه التي يحتملها.

فمن المفسرين الذين يرون أنَّ المشترك اللُّغوي يُحمل على معنى واحد: الثُّعلبي⁽⁴⁾، فقد جاء عنه عند تفسيره لقول الله - تعالى-: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾⁽⁵⁾، أنَّ لفظ القروء في لغة العرب يطلق على الحيض والطمهر، ثم رجَّح معنى الطهر في الآية، فقال: «القرء: احتباس الدم واجتماعه، وهو يكون في حال الطهر والحيض جميعاً؛ إلا أنَّ الترجيح للطهر؛ لأنه يجمع الدّم ويحبسه، والحيض يرخيه ويرسله»⁽⁶⁾.

(1) سورة التكوير، الآية 17.

(2) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، 292 / 5.

(3) ينظر: نهاية الوصول في دراية الأصول، 222 / 1.

(4) هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي، فاق أهل زمانه في علم القرآن، مع علم بالعربية، وكان حافظاً، ثقة، مأموناً، من مصنفاته: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، والعرائس في قصص الأنبياء، توفي عام: 427هـ. ينظر: طبقات المفسرين، للسيوطي، ص 28، وطبقات المفسرين، للداوودي، 67 / 1، ووفيات الأعيان، 79 / 1.

(5) سورة البقرة، من الآية 228.

(6) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 182 / 6.

وقال الزمخشري في تفسير الآية السابقة مرجحاً لمعنى على آخر: «والقروء: جمع قرء أو قرء، وهو الحيض»⁽¹⁾.

أما المفسرون الذين يرون حمل المشترك على ما يحتمله من المعاني فمنهم: الزجاج⁽²⁾، جاء عنه عند تفسيره لقول الله - تبارك وتعالى -: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾⁽³⁾، قال: «يقال: عسس الليل إذا أقبل، وعسس إذا أدبر، والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد، وهو ابتداء الظلام في أوله، وإدباره في آخره»⁽⁴⁾، ونقل ابن عطية⁽⁵⁾ أن القسم حصل بالإقبال والإدبار⁽⁶⁾، وفي هذا حمل للمشارك على كلا معنييه.

وجاء في عمدة الحفاظ: «﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾، أي: أقبل وأدبر، فهو من الأضداد، وذلك في مبدأ الليل ومنتهاه»⁽⁷⁾، ونقل ابن كثير⁽⁸⁾ عن علماء الأصول أن لفظة: ﴿عَسَسَ﴾، تُستعمل في الإقبال والإدبار على وجه الاشتراك، ثم قال: «فعلى هذا يصح أن يراد كلُّ منهما»⁽⁹⁾.

وفي تفسير قول الله - تعالى -: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾⁽¹⁰⁾، نقل البقاعي⁽¹¹⁾ عدة معان للذلوك، ثم ذكر أن جميع المعاني مرادة فقال: «قال في القاموس: دلكت الشمس: غربت، أو

(1) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، 1/ 271.

(2) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، إمام، لغوي، نحوي، مفسر، مدقق، من مصنفاته: كتاب معاني القرآن، وكتاب الاشتقاق، وكتاب القوافي، توفي عام: 311هـ. طبقات النحويين واللغويين، ص 112، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص 185، والفهرست، للنديم، ص 84.

(3) سورة التكوير، الآية 17.

(4) معاني القرآن وإعرابه، 5/ 292.

(5) هو: عبد الحق بن غالب، ابن عطية الأندلسي، الإمام الكبير، كان فقيهاً، مفسراً، عالماً بالحديث، عالماً بال نحو واللغة والأدب، من مصنفاته: المحرر الوجيز، في التفسير، توفي عام: 541هـ. ينظر: طبقات المفسرين، للداوودي، 1/ 267، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، 2/ 57، والوافي بالوفيات، 18/ 40.

(6) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 5/ 444.

(7) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، 3/ 72، (مادة: ع س ع س).

(8) هو: إسماعيل بن عمر بن كثير، عماد الدين أبو الفداء، قرأ الفقه والأصول، وأتقن علم العلل، والأسانيد، والرجال، والتاريخ، صنّف مصنفات مفيدة، منها: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، ومناقب الإمام الشافعي، توفي عام: 754هـ. ينظر: طبقات المفسرين، للداوودي، 1/ 111، والأعلام للزركلي، 1/ 320.

(9) تفسير القرآن العظيم، 8/ 338.

(10) سورة الإسراء، من الآية 78.

(11) هو: إبراهيم بن عمر بن حسن، برهان الدين البقاعي، من أئمة المفسرين، من مصنفاته: نظم الدرر في تناسب الآي والسور، قال عنه السيوطي: لم يسبق إليه، والفتح القدسي في تفسير آية الكرسي، توفي عام: 885هـ. ينظر: طبقات المفسرين، للأدنه وي، ص 347.

اصْفَرَّت، أو مالت، أو زالت عن كبد السماء، فحينئذ في هذه اللفظة دلالة على الظهر والعصر والمغرب، من استعمال المشترك في معانيه»⁽¹⁾.

وقال محمد رشيد رضا⁽²⁾ في حمل المشترك على ما يحتمله من المعاني: «كَلَّ ما يتناوله اللفظ من المعاني المتفقة يجوز أن يكون مراداً منه، لا فرق في ذلك بين المفردات، والجُمْل»⁽³⁾، وعند تفسيره لقول الله - جلَّ وعلا-: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾⁽⁴⁾ نقل أقوال المفسرين في المراد بالكتاب ثم قال: «والمختار عندنا وفاقاً لما ذهب إليه ابن جرير، هو جواز إرادة كلِّ ما يحتمله اللفظ من المعاني التي ذكر بعضها في رواياته، وأنَّ هذا سبب تنكيه وإبهامه»⁽⁵⁾.

ويميل ابن عاشور⁽⁶⁾ إلى حمل لفظ: ﴿عَسَسَ﴾، على معنييه من الإقبال والإدبار، فنجده ينقل أقوال من حملة على معنييه ثم يُعَقَّب فيقول: «وبذلك يكون إثارة هذا الفعل لإفادته كلاً حالين صالحين للقسَم به فيهما؛ لأنهما من مظاهر القدرة؛ إذ يَعْتَبُ الظلام الضياء، ثم يَعْتَبُ الضياء الظلام، وهذا إيجاز»⁽⁷⁾، وقال أيضاً مُقَرَّرًا هذا الأصل: «والذي يجب اعتماده أن يُحمل المشترك في القرآن على ما يحتمله من المعاني، سواء في ذلك اللفظ المفرد المشترك، والتركيب المشترك بين مختلف الاستعمالات، سواء كانت المعاني حقيقية أو مجازية»⁽⁸⁾.

وبعد هذا العرض لموقف المفسرين من اللفظ المشترك تبين أنَّ من المفسرين من اقتصر على حمل اللفظ المشترك على معنى واحد من المعاني التي يحتملها، ومنهم من حملة على جميع ما يحتمله من المعاني، ورأى أنَّ ذلك من إعجاز القرآن.

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 492 / 11.

(2) هو: محمد رشيد رضا القلموني، الحسيني النسب، وهو صاحب مجلة المنار، وأحد المصلحين، كان عالماً بالأدب، والتاريخ، والحديث، والتفسير، ونظم الشعر صغيراً، من مصنفاته: مجلة المنار، وتفسير القرآن، توفي عام: 1354 هـ. ينظر: الأعلام للزركلي، 6 / 126.

(3) تفسير المنار، 4 / 285.

(4) سورة الأنفال، الآية 68.

(5) تفسير المنار، 10 / 81.

(6) هو: محمد الطاهر بن عاشور، رئيس مفتي المالكية في تونس، وشيخ جامع الزيتونة، برع في الفقه، والتفسير، والمقاصد، من مصنفاته: تفسيره التحرير والتنوير، ومقاصد الشريعة الإسلامية، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، توفي عام: 1393 هـ. ينظر: الأعلام للزركلي، 6 / 174.

(7) التحرير والتنوير، 30 / 154.

(8) المصدر نفسه، 1 / 99.

المبحث الثالث- مسميات المشترك في علوم القرآن الكريم:

استعمل العلماء منذ القدم مصطلحات شتى للدلالة على الآيات المتشابهة في كتاب الله – تعالى- فمنهم من وصفها بالتكرار، أو بألفاظ مقاربة له، كالإعادة والترداد، ومنهم من وصفها بالتصريف، أو ما قاربه من مصطلحات، كالتمنن، والتنوع، وما شابه ذلك، وسأبدأ بذكر مصطلح التكرار، والإعادة، والترداد، وأذكر من استعمله من العلماء، في المطلب الأول، ثم أرفه بذكر مصطلح التصريف وحكمه وأدلته، وأبين من قال به من العلماء، في المطلب الآخر منه.

المطلب الأول- مصطلحات التكرار والإعادة والترداد:

استعمل فريق من علماء البلاغة وعلوم القرآن هذه المصطلحات للدلالة على ما ورد في أكثر من موضع من القرآن الكريم، وقبل أن أشير إلى من قال بها أعرج أولاً على ذكر معناها في اللغة والاصطلاح، ثم أتبعه بذكر من قال بها من العلماء.

الفرع الأول- مصطلح التكرار:

ذكر العلماء طائفة من المعاني للدلالة على التكرار في اللغة والاصطلاح، وأبدأ بذكر تعريف التكرار في اللغة، ناقلاً أقوال أهل اللغة فيه، ثم أتبعه بتعريف التكرار عند أهل الفن.

أولاً- التكرار لغة:

قال ابن فارس: «الكاف والراء أصل صحيح يدل على جمع وترديد، من ذلك كررت، وذلك رجوعك إليه بعد المرة الأولى، فهو الترديد الذي ذكرناه»⁽¹⁾، وقال ابن سيده في معنى التكرار: «كرّر الشيء، وكرّره: أعاده مرة بعد أخرى»⁽²⁾.

وجاء في الصحاح أن: «الكرّ: الرجوع»⁽³⁾، وفي لسان العرب: «كرّرت عليه الحديث وكرّرتة إذا رددته عليه، وكرّرتة عن كذا كرّرتة إذا رددته، والكر: الرجوع على الشيء، ومنه التكرار»⁽⁴⁾ يتبين من هذه التعريفات أنّ التكرار في اللغة هو إعادة الكلام وترديده، والرجوع إليه مرة بعد أخرى.

ثانياً- التكرار اصطلاحاً:

(1) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، 5/ 126، (مادة: كرر).
(2) المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، 6/ 652، (مادة: كرر).
(3) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، 2/ 805، (مادة: كرر).
(4) لسان العرب، لابن منظور، 5/ 135، (مادة: كرر).

جاء تعريف التكرار اصطلاحاً بأنه: «الإتيان بشيء مرة بعد أخرى»⁽¹⁾، وعرفه صاحب البرهان أنه: «مصدر كرّر إذا ردّد وأعاد»⁽²⁾، وعرفه أيضاً بأنه: «إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى؛ خشية تناسي الأول لطول العهد به»⁽³⁾، وعرف صاحب خزانة الأدب التكرار فقال: «هو أن يُكرّر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى»⁽⁴⁾، وفي معجم مقاليد العلوم عرّف التكرير بأنه: «إعادة الشيء لفائدة»⁽⁵⁾، فمن هذا العرض تبين أنّ معنى التكرار في الاصطلاح لا يختلف عن معناه في اللغة، فهو يستعمل بمعنى الإعادة، والترديد، والإتيان بالشيء مرّة بعد أخرى.

ثالثاً- العلماء القائلون بالتكرار:

لعلّ أوّل من عرض لهذا المصطلح ابن قتيبة⁽⁶⁾ فقال: «وأما تكرار الكلام من جنس واحد، وبعضه يجزىء عن بعض، كتكراره في: ﴿فَلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾⁽⁷⁾، وفي سورة الرحمن بقوله: ﴿فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾⁽⁸⁾، فقد أعلمتكم أنّ القرآن نزل بلسان القوم، وعلى مذاهبهم، ومن مذاهبهم التكرار: إرادة التوكيد والإفهام»⁽⁹⁾، وقال النّحاس⁽¹⁰⁾ وهو يُعدّد الوجوه في إعراب لفظ الجلالة من قوله - تعالى -: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾⁽¹¹⁾: «أن يكون بدلاً من قولك: الله الأول، فإن قيل: ما معنى التكرير؟ فالجواب أنّ فيه التعظيم، هكذا كلام العرب»⁽¹²⁾.

(1) التعريفات، للجرجاني، ص 65، (مادة: كرر).

(2) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، 8/3.

(3) المصدر نفسه، 10/3.

(4) خزانة الأدب وغاية الأرب، للحموي، 1/361.

(5) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، للسيوطي، ص 96، (مادة: كرر).

(6) هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، نحوي، لغوي، كاتب، كان إماماً في اللغة، وأخبار الناس، وأيامهم، ولي قضاء الدينور، من مصنفاته: معاني القرآن، وغريب القرآن، وجمل النحو، توفي عام: 322هـ. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، 2/64.

(7) سورة الكافرون، الآية 1.

(8) سورة الرحمن، الآية 13.

(9) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، ص 149.

(10) هو: أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس، أبو جعفر النّحاس، من أهل العلم والفضل، كان من أذكى العالم، صنّف كتباً كثيرة، منها: إعراب القرآن، ومعاني القرآن، والكافي في العربية، توفي عام: 338هـ. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، 1/362، وسير أعلام النبلاء، 12/23.

(11) سورة الإخلاص، الآية 2.

(12) إعراب القرآن، للنحاس، 5/194.

وجعل الباقلائي⁽¹⁾ التكرار من أنواع البديع⁽²⁾، وقال عنه : «لما خاطب العرب بلسانها على وجه ما تستعملها في خطابها، وكانت تستجيز الإطالة والتكرار تارة؛ إذا ظنوا أنّ ذلك أبلغ في مرادها وأنجع، وتقتصر على الاختصار أخرى في مواطن الاختصار، خاطبهم الله - سبحانه- على ما جرت عليه عادتهم»⁽³⁾، ويستعمل الباقلائي التكرار -أحياناً- مريدًا به التصريف، ومن ذلك قوله: «وتصريف المعنى في الدلالات المختلفة، كما كرّر من قصة موسى في مواضع»⁽⁴⁾.

وقسم ابن الأثير⁽⁵⁾ التكرار إلى قسمين: أحدهما ما يوجد في اللفظ والمعنى معاً، والآخر ما يوجد في المعنى دون اللفظ، ومثّل لكلّ نوع منهما، ثم قسم ما كان في اللفظ والمعنى إلى مفيد وغير مفيد، وقال في المفيد: «إذا كان التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد، والمقصود به غرضان مختلفان: كقوله - تعالى-: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۗ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَطْلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾⁽⁶⁾، هذا تكرير في اللفظ والمعنى، وهو قوله: ﴿يُحِقُّ الْحَقَّ﴾ و﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ وإنما جيء به ههنا لاختلاف المراد، وذلك أنّ الأول تمييز بين الإرادتين، والثاني بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها، وأنه ما نصرهم وخذل أولئك إلا لهذا الغرض»⁽⁷⁾.

وممن قال بالتكرار: الزركشي، فقد جاء عنه قوله: «وذلك أنّ عادة العرب في خطاباتها إذا أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه، أو قصدت الدعاء عليه، كرّرتة توكيداً، وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه، أو الاجتهاد في الدعاء عليه حيث تقصد الدعاء، وإنما نزل القرآن بلسانهم، وكانت مخاطباته جارية فيما بين بعضهم وبعض، وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة، وعلى ذلك يحتمل ما ورد من تكرار المواضع والوعد والوعيد؛ لأنّ

(1) هو: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي، انتهت إليه رئاسة المالكية بالعراق، صنّف عدّة مصنّفات في علم الكلام وغيره، ومن مصنّفاتة: كتاب الإبانة، وشرح اللّمع، والمقدمات في أصول الديانات، توفي عام: 403هـ. ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، 1/ 139، وسير أعلام النبلاء، 11/ 13.

(2) ينظر: إعجاز القرآن، للباقلاني، ص 106.

(3) الانتصار للقرآن، للباقلاني، 2/ 800.

(4) إعجاز القرآن، للباقلاني، ص 272.

(5) هو: نصر الله بن محمد، ابن الأثير، برز في النحو، واللّغة، وعلم البيان، وكان حافظاً للشّعر، له مصنّفات نافعة، منها: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، وكتاب المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء، توفي عام: 637هـ.

ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة، 2/ 315، وتذكرة الحفاظ، للذهبي، 4/ 129.

(6) سورة الأنفال، الآيتين 7- 8.

(7) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، 3/ 5.

الإنسان مجبول من الطبائع المختلفة، وكلها داعية إلى الشهوات، ولا يجمع ذلك إلا تكرار المواعظ والقوارع»⁽¹⁾.

وقال صاحب بصائر ذوي التمييز: «وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ۗ ۱۷ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ

مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾⁽²⁾ تكرار أفاد التعظيم ليوم الدين»⁽³⁾.

أما صاحب معترك الأقران فقد جاء عنه ذكر التكرار، ووصفه بأنه: «من محاسن الفصاحة خلافاً لبعض من غلط»⁽⁴⁾، ثم شرع يُعدّد فوائد التكرار، والعجيب أنه استدل على فوائد التكرار بآيات التصريف، فقال: «منها: التقرير، وقد قيل: إن الكلام إذا تكرر تقرر، وقد نبّه - تعالى - على السبب الذي لأجله كرّر القصص والإنذار بقوله: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾⁽⁵⁾»⁽⁶⁾.

وقال صاحب الزيادة والإحسان: «إنّ تكرار قصص الأنبياء -عليهم السلام- ليس من الإطناب في شيء؛ لأنّ قصص الأنبياء -عليهم السلام- أن تُكرّر القصة في أماكن متعددة، وسور مختلفة، بأساليب متنوعة، ولها في كل سورة حكمة ولطيفة غير ما في السورة الأخرى»⁽⁷⁾.

وتكلّم صاحب روح المعاني عن التكرار فقال: «وأما التكرار اللفظي والمعنوي فلا يخلو عن فائدة لا تحصل من غير تكرار، كبيان اتساع العبارة، وإظهار البلاغة، وزيادة التأكيد، والمبالغة، إلى غير ذلك»⁽⁸⁾.

وعدّد صاحب مناهل العرفان من سياسة القرآن في الإصلاح: «تكرار ما يستحق التكرار من الأمور المهمّة، حتى يجد سبيله إلى النفوس النافرة والطباع العصية، فتسلس له القيادة، وتلقي إليه السّلم»⁽⁹⁾.

ثم إنّ هناك من العلماء من أفرد التكرار بالبحث والتأليف، كما فعل أصحاب متشابهات القرآن، ابتداءً بالخطيب الإسكافي⁽¹⁾ في كتابه "درة التنزيل وغرة التأويل"، حيث قال في مقدمته:

(1) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، 3/ 9.

(2) سورة الأنفطار، الآيتان 17- 18.

(3) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي، 1/ 505.

(4) معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي، 1/ 258.

(5) سورة طه، من الآية 113.

(6) معترك الأقران في إعجاز القرآن، 1/ 258.

(7) الزيادة والإحسان في علوم القرآن، لعقيلة، 6/ 150.

(8) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، 1/ 31.

(9) مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، 2/ 362.

«إني مذخني الله - تعالى- بإكرامه وعنايته، وشرفني بإقراء كلامه ودراسته، تدعوني دواعٍ قوية، يبعثها نظر وروية، في الآيات المتكررة، بالكلمات المتفقة، والمختلفة، وحروفها المتشابهة المنغلقة، والمنحرفة تطلبًا لعلاماتٍ ترفع لبس إشكالها، وتخص الكلمة بآياتها، دون أشكالها»⁽²⁾، وتبعه الكرمانى⁽³⁾ فصنّف كتاب "البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان" قال فيه: «فإنّ هذا كتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة؛ ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك مما يوجب اختلافًا بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان، وأبين ما السبب في تكرارها، والفائدة في إعادتها»⁽⁴⁾، ثم سار ابن الزبير الغرناطي⁽⁵⁾ على هذا المنوال، فصنّف "ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل" قال فيه: «إنّ من مُغفلات مصنفي أئمتنا - رضى الله عنهم- في خدمة علومه، وتدبر منظومه الجليل ومفهومه، توجيه ما تكرر من آياته لفظًا»⁽⁶⁾.

الفرع الثاني- الإعادة:

استعمل فريق من العلماء ألفاظًا مقاربة للفظ التكرار للدلالة على ما جاء في أكثر من موضع من القرآن، ومن هذه الألفاظ: لفظ الإعادة، حيث تستعمل الإعادة في اللّغة بمعنى الرجوع، وفعل الفعل مرّة ثانية، جاء في الصّحاح: «عادَ إليه يَعُودُ عَوْدَةً وَعُودًا: رجع... واستعدته الشيء فأعادَهُ، إذا سألته أن يفعلهُ ثانيًا»⁽⁷⁾، وجاء في شمس العلوم أنّ الإعادة فعل الشيء مرة أخرى⁽⁸⁾.

-
- (1) هو: محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي، أديب، لغوي، من أهل أصبهان، له مصنّفات جسان، منها: مبادئ اللّغة، وشواهد سيبويه، ودرّة التنزيل وغرة التأويل في الآيات المتشابهة، توفي عام: 420هـ. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة، 1/ 149، والأعلام للزركلي، 6/ 227.
- (2) درّة التنزيل وغرة التأويل، للخطيب الإسكافي، 1/ 217.
- (3) هو: محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى النحوي، تاج القراء، وأحد الفقهاء الأعلام، كان دقيق الفهم، حسن الاستنباط، من مصنّفاتهِ: لباب التفسير، والإيجاز في النحو، ومتشابه القرآن، توفي بعد الخمسمائة. ينظر: معجم الأدباء، 6/ 2686، وطبقات المفسرين، للداودي، 2/ 312.
- (4) البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، للكرمانى، ص 63- 64.
- (5) هو: أحمد بن إبراهيم بن الزبير، جمع بين الحديث، والنحو، والأصول، والأدب، والتفسير، من مصنّفاتهِ: تعليق على كتاب سيبويه، وملاك التأويل في المتشابه اللفظ من التنزيل، والبرهان في ترتيب سور القرآن، توفي عام: 807هـ. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة، 1/ 292، وطبقات المفسرين، للداودي، 1/ 28.
- (6) ملك التّأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، لابن الزبير الغرناطي، 1/ 7.
- (7) الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، للجوهري، 2/ 513، (مادة: عود).
- (8) ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للحميري، 7/ 4835.

وفي الاصطلاح عُرِّفَت الإعادة بأنها: «التكرير، وإعادة الشيء كالحديث وغيره: تكريره، ومنه إعادة الصلاة»⁽¹⁾، وعُرِّفَها صاحب الكليات بأنها: «ذكر الشيء ثانيًا»⁽²⁾.

وقد استعمل فريق من العلماء لفظ الإعادة، في الدلالة على الآيات الواردة غير مرّة، قال الباقلائي: «إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة، تؤدّي معنى واحدًا من الأمر الصعب، الذي تظهر به الفصاحة، وتبين به البلاغة»⁽³⁾، وقال أيضًا: «وكذلك قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة ذكر القصة الواحدة، تفاوتًا بيّنًا، ويختلف اختلافًا كثيرًا»⁽⁴⁾، وقال الواحدي⁽⁵⁾ عند تفسير قول الله - تبارك وتعالى -: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾⁽⁶⁾: «إعادة الأمر بالهبوط يحتمل وجهين، أحدهما: أنه أراد بالأول هبوطًا من الجنة إلى السماء، وبالثاني هبوطًا من السماء إلى الأرض، والثاني: أنه كُرِّرَ للتأكيد»⁽⁷⁾.

واستعمله السمعاني⁽⁸⁾ أيضًا في مواضع من تفسيره، ومن ذلك أنه ذكر أن لفظ ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾⁽⁹⁾ الثاني في سورة النساء أُعيد للتأكيد⁽¹⁰⁾، ومن العلماء الذين استعملوا لفظ الإعادة الراغب الأصفهاني⁽¹¹⁾، في مواضع من تفسيره، منها قوله: «وأما من حيث المعنى: فإن إعادة الأمر بالتقوى فلاقتران ذكرها بصفة تحتّ سامعها على استعمال التقوى»⁽¹²⁾.

(1) التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، ص 55.

(2) الكليات، للكفوي، ص 145، (مادة: عود).

(3) إيجاز القرآن للباقلاني، ص 61.

(4) المصدر نفسه، ص 70.

(5) هو: علي بن أحمد، أبو الحسن الواحدي، إمام، لغوي، مفسّر، كان واحد عصره في التفسير، صنّف مصنفات نافعة، منها في التفسير ثلاثة كتب: الوجيز، والوسيط، والبسيط، وكتاب أسباب النزول، توفي عام: 468هـ. ينظر: طبقات المفسرين، للسيوطي، ص 78، وطبقات المفسرين، للداوودي، 1/ 394، ووفيات الأعيان، 3/ 303.

(6) سورة البقرة، من الآية 38.

(7) التفسير البسيط، للواحدي، 2/ 410.

(8) هو: منصور بن محمد، أبو المظفر السمعاني، أحد الأئمة الأعلام، فقيه، مفسّر، كان حنفي المذهب، ثم رجع إلى مذهب الشافعي، صنّف في الفقه، والأصول، والحديث، والتفسير، ومن مصنفاته: التفسير، والقواطع في أصول الفقه، والمنهاج لأهل السنة، توفي عام: 489هـ. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، 5/ 335، وطبقات المفسرين، للداوودي، 2/ 339، وسير أعلام النبلاء، 14/ 155.

(9) سورة النساء، من الآية 94.

(10) ينظر: تفسير السمعاني، 1/ 466.

(11) هو: المفضل بن محمد الأصبهانيّ أبو القاسم الراغب، صاحب مصنفات حسنة، منها: مفردات القرآن، وأفانين البلاغة، والذريعة إلى مكارم الشريعة، توفي عام: 502هـ. ينظر: طبقات المفسرين، للداوودي، 2/ 329، والأعلام للزركلي، 2/ 255.

(12) تفسير الراغب الأصفهاني، 3/ 1080.

واستعمله الكرمانى فى أسرار التكرار، ومن ذلك عند حديثه عن قول الله -تعالى-:
﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾⁽¹⁾، قال: «أعاده ثلاث مرّات فصّرح ولم يُضمّر؛ لكون كل واحد قائماً بنفسه
غير محتاج إلى الأول»⁽²⁾، واستعمله صاحب البرهان فى علوم القرآن، فقال فى معنى
التصريف: «وحقيقته إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى؛ خشية تناسي الأول لطول العهد به»⁽³⁾.
والناظر لأول وهلة لا يرى فرقاً بين التكرار والإعادة، لا سيما وأنّ من معاني التكرار
الإعادة، ولكن فرق العلماء بينهما بفرق دقيق، وهو أنّ: «التكرار يقع على إعادة الشيء مرة،
وعلى إعادته مرّات، والإعادة للمرّة الواحدة، ألا ترى أنّ قول القائل: أعاد فلان كذا لا يفيد إلا
إعادته مرة واحدة، وإذا قال: كرّر كذا، كان كلامه مبهمًا، لم يدر أعاده مرّتين أو مرّات، وأيضًا
فإنه يقال: أعاده مرّات، ولا يقال: كرّره مرّات، إلا أن يقول ذلك عامي لا يعرف الكلام»⁽⁴⁾، ومن
هذا الكلام يتبيّن أنّ التكرار أعمّ من الترداد، فالّتكرار يفيد إعادة الشيء مرّة واحدة، كما يفيد
إعادته مرّات، دون تقييد، بينما الترداد يكون للإعادة مرّة واحدة، وإن أريد المزيد على المرّة قيّد،
فيقال: أعاده مرّتين، أو مرّات.

الفرع الثالث- الترداد:

الترداد فى اللغة مأخوذ من الرّدّ، ويستعمل بمعنى الرجوع، قال ابن فارس: «الراء
والدال أصل واحد مطّرد منقاس، وهو رجع الشيء، تقول: رددت الشيء أردّه ردًّا»⁽⁵⁾.
وفى الاصطلاح يُعرّف الرّدّ بأنه الرجوع، ومنه قوله -تعالى-: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمَّةٍ﴾⁽⁶⁾،
والمعنى أرجعناه إلى أمّه⁽⁷⁾، فمعنى الرّدّ فى الاصطلاح لا يختلف عن معناه فى اللّغة.
وشاع عند بعض العلماء استعمال لفظ الترداد فى الدلالة على الآيات المتشابهة، ومنهم:
الجاحظ، قال: «وقد رأينا الله -عز وجلّ- ردد ذكر قصّة موسى، وهود، وهارون، وشعيب،
وإبراهيم، ولوط، وعاد، وثمود، وكذلك ذكّر الجنة والنار، وأمور كثيرة؛ لأنه خاطب جميع الأمم
من العرب، وأصناف العجم، وأكثرهم غبي غافل، أو معاند مشغول الفكر، ساهى القلب»⁽⁸⁾،

(1) سورة الرحمن، من الآية 7.

(2) البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، ص 231.

(3) البرهان فى علوم القرآن، للزركشى، 10/3.

(4) معجم الفروق اللغوية، للعسكري، ص 138، (مادة: كرر).

(5) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، 2/386، (مادة: رد).

(6) سورة القصص، من الآية 13.

(7) ينظر: الكليات، للكفوي، ص 477، (مادة: ردد).

(8) البيان والتبيين، للجاحظ، 1/106.

واستعمله ابن عطية، فقد جاء عنه في تفسير قول الله - تعالى- في سورة الكافرون: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عِبْدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾⁽¹⁾، الثانية: «حتمًا عليهم أنهم لا يؤمنون به أبدًا، كالذي كشف الغيب، فهذا كما قيل لنوح -ﷺ-: إنه ﴿لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾⁽²⁾، وأما أنّ هذا في معنيين وقوم نوح عمّموا بذلك، فهذا معنى التردد الذي في السورة، وهو بارع الفصاحة وليس بتكرار فقط»⁽³⁾، وقال ابن الزبير الغرناطي، في كتاب البرهان: «وكثُر في سورة الممتحنة ترداد الوصايا والعهود، وطلب الوفاء بذلك كله»⁽⁴⁾، وقال في ملاك التأويل: «وكذا جرى في سورة الشعراء من ترداد ذكر فرعون»⁽⁵⁾، واستعمله ابن جزى في تفسيره، ومن ذلك عند قول الله - تعالى-: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾⁽⁶⁾، قال في الآية: «ردّ عليهم فيما طلبوه، والمعنى أنّ الله علم أنّ محمدا - صلى الله عليه وعلى آله وسلّم- أهلّ للرسالة، فخصّه بها، وعلم أنهم ليسوا بأهل لها فحرمهم إياها، وفي الآية من أدوات البيان التردد لكونه ختم كلامهم باسم الله ثم ردّه في أول كلامه»⁽⁷⁾، وقال صاحب الزيادة والإحسان عن التردد هو: «أن يأتي المتكلم بكلمة ثم يردّها في كلامه، لكنه يعلقها بمعنى آخر، كقوله - تعالى-: ﴿مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾⁽⁸⁾»⁽⁹⁾.

ومصطلحي الترداد والتكرار معناهما متقارب جدًّا، حتى إنّ بعض العلماء لا يرى فرقًا بينهما، كما هو الحال عند صاحب شمس العلوم، حيث قال: «ردّد الكلام: أي: كرّره»⁽¹⁰⁾، وكذلك فعل صاحب كتاب الطراز فقال: «والترديد تفعيل من قولهم: ردّد الثوب من جانب إلى جانب، وردّد الحديث ترديدًا أي: كرّره»⁽¹¹⁾.

-
- (1) سورة الكافرون، الآية 5.
(2) سورة هود، من الآية 36.
(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، 531 / 5.
(4) البرهان في تناسب سور القرآن، لابن الزبير الغرناطي، ص 334.
(5) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه للفظ من أي التنزيل، لابن الزبير الغرناطي، 1 / 220-219.
(6) سورة الأنعام، من الآية 124.
(7) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزى، 1 / 274.
(8) سورة الأنعام، من الآية 124.
(9) الزيادة والإحسان في علوم القرآن، لعقيلة الحنفي، 6 / 234.
(10) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للحميري، 4 / 2365.
(11) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للمؤيد بالله، 3 / 47.

وعده السيوطي قسماً من أقسام التكرار فقال: «ومنه ما كان لتعدد المتعلق بأن يكون المكرر ثانياً متعلقاً بغير ما تعلق به الأول، وهذا القسم يسمى بالترديد»⁽¹⁾، غير أن ابن أبي الأصعب⁽²⁾ ذكر فرقاً دقيقاً بينهما فقال: «والفارق بين التردد والتكرار أنّ اللفظة التي تكرر في التكرار لا تفيد معنى زائداً؛ بل الأولى هي تبين للثانية وبالعكس، واللفظة التي تتردد تفيد معنى غير معنى الأولى منهما، واشتقاقهما مشعر بذلك؛ لأنّ الرادّ من وجه لا يبلغ إلا الموضع الذي أراده، والكارّ هو الذي انتهى إلى الموضع المراد، وكرّر راجعاً، ومنه: الكر والفر»⁽³⁾.

ثم إنّ القول بالتكرار وما قاربه من الألفاظ وإن كان عند بعض العلماء من قبيل الفصاحة والبيان؛ إلا أنه لا يخلو عن مساوئ، ينبغي أن ينزّه ويصان عنها القرآن الكريم، وقد لخص الأستاذ عبد الله النقراط هذه المساوئ في نقاط، وهي:

أولاً- الكراهة: ذكر أنّ كثيراً من العلماء يصفون التكرار بالكراهة، ومنهم ابن جماعة⁽⁴⁾، فقد جاء عنه في توجيه قول الله - تعالى -: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾⁽⁵⁾، قال: «إنّ ذلك كما قدّمنا مرّات للفتن لكراهة التكرار؛ لما فيه من محّ النفوس»⁽⁶⁾، أقول: وممن قال بالكراهة أيضاً: الكرمانى، كما في توجيه قول الله - تعالى -: ﴿فَمَهَلٌ الْكُفْرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُؤُودًا﴾⁽⁷⁾ قال: «هذا تكرر، وتقديره مهل مهل مهل، لكنّه عدل في الثاني إلى أن أمهل؛ لأنه من أصله وبمعناه كراهة التكرار»⁽⁸⁾، وممن أطلق لفظ الكراهة على التكرار أيضاً زكريا الأنصاري⁽⁹⁾، وذلك عند توجيهه

(1) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، 3/ 226.

(2) هو: عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر، ابن أبي الأصعب، شاعر مشهور، وإمام في الأدب، له تصانيف حسنة، وشعر رائع، من مصنفاته: بدائع القرآن، والكواكب الدرية في نظم القواعد الدينية، وتحرير التحبير في البديع، توفي عام: 654هـ. ينظر: فوات الوفيات، لابن شاکر الكتبي، 2/ 324، ومعجم المؤلفين، 5/ 265.

(3) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الأصعب، ص 255.

(4) هو: محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، محدث، فقيه، ذو عقل، ولي قضاء القدس، ثم ولي القضاء بالديار المصرية، ثم ولي قضاء دمشق، من تصانيفه: كشف المعاني في المتشابه، وتذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ومختصر في السيرة النبوية، ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، 9/ 140، والأعلام للزركلي، 5/ 297.

(5) سورة البقرة، من الآية 219.

(6) كشف المعاني في المتشابه من المثاني، لابن جماعة، ص 273.

(7) سورة الطارق، الآية 17.

(8) البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، ص 248.

(9) هو: زكريا بن محمد الأنصاري الشافعي، عالم، قاض، فاضل، صاحب تصانيف حسنة، منها: فتح الرحمن بكشف ملتبس القرآن، وشرح البسطة والحمدلة، وفتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل، توفي عام: 926هـ. ينظر: طبقات المفسرين، للأدنه وي، ص 362، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، 1/ 253.

لقول الله - تبارك وتعالى:- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ

عَامًا﴾⁽¹⁾، قال: «جاء المميّز الأوّل بلفظ (السنة)، والثاني بلفظ (العام) لكرهه التكرار»⁽²⁾.

ثانيًا- القبح: قال: وممن وصف التكرار بالقبح ابن النقيب⁽³⁾، وذلك في قوله: «فهو التكرار العاري عن الفائدة، وهو لا يخلو إما أن يكون في المعنى وحده، أو في اللفظ والمعنى معًا، أما الأوّل فقد أعابه بعضهم مطلقًا... وأما الثاني فقد اتفق على قبحه»⁽⁴⁾، قلت: وقد وصف الخفاجي⁽⁵⁾ أيضًا التكرار بالقبح في قوله: «وإذا كان يقبح تكرار الحروف المتقاربة المخارج، فتكرار الكلمة بعينها أقبح وأشنع»⁽⁶⁾.

ثالثًا- عديم الفائدة: نقل أستاذنا النقرات في كتابه عن الطوفي أنه قسم التكرار إلى مفيد وغير مفيد، قال الباحث: وكذلك فعل ابن الأثير⁽⁷⁾.

رابعًا- التكرار من الحشو: ونقل عن الإمام أبي زهرة قوله: «إنّ التكرار ليس من الإطناب، وهو من الحشو»⁽⁸⁾.

خامسًا- السامة والملل: اللذان يحدثهما التكرار، ونقل كلامًا عن الجاحظ مفاده أنّ التكرار والترداد يؤديان إلى السامة⁽⁹⁾.

وأزيد على ما ذكره أستاذنا أنّ التكرار من عيوب الكلام، قال القزويني⁽¹⁰⁾ في أثناء حديثه عن الإيجاز مستشهدًا بقول الله - تعالى:- ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾⁽¹¹⁾، ومفضلاً له على قولهم: القتل أنفى للقتل من وجوه، ومنها: «سلامته من التكرار الذي هو من عيوب الكلام، خلاف قولهم»⁽¹²⁾.

(1) سورة العنكبوت، من الآية 14.

(2) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، لذكربيا الأنصاري، 436 / 1.

(3) هو: محمد بن سليمان بن الحسن، ابن النقيب، علامة، زاهد، ورع، من علماء الأحناف، ومن المفسرين الأعلام، صرف أكثر همته للتفسير، فصنّف فيه كتابًا حافلًا، توفي عام: 687هـ. ينظر: تاج التراجم في طبقات الحنفية، ص 261، ومعجم المؤلفين، 49 / 10.

(4) مقدمة تفسير ابن النقيب، ص 113.

(5) هو: عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان، الخفاجي، أديب، شاعر، وكان يرى رأي الشيعة الإمامية، له مصنفات منها: سر الفصاحة، وكتاب الصرفة، وكتاب الحكم بين النظم والنثر، وكتاب عبارة المتكلمين في أصول الدين، توفي عام: 466هـ. ينظر: فوات الوفيات، 2 / 220، والأعلام للزركلي، 4 / 122.

(6) سر الفصاحة، ص 102.

(7) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 3 / 293.

(8) المعجزة الكبرى القرآن، لأبي زهرة، ص 313.

(9) ينظر: بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، 1 / 51.

(10) هو: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، قاضي القضاة، جلال الدين القزويني، الشافعي، المعروف بخطيب دمشق، كان فاضلاً، متفنناً، صاحب مصنفات نافعة، منها: كتاب التلخيص في المعاني والبيان، وكتاب الإيضاح فيه، توفي عام: 739هـ. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، 9 / 160، والأعلام للزركلي، 6 / 192.

(11) سورة البقرة، من الآية 179.

(12) الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني 3 / 185.

وأيضًا فإنَّ التكرار فيه هجنة، قال ابن الأثير: «فإنه لو قال مثل هذا سَلِمَ من هُجْنَةِ التكرار»⁽¹⁾، ومن مساوئ التكرار أنه عِيٌّ، قال صاحب سر الفصاحة عن أحد الأعراب لما أَدْن فقال في أذانه: «أشهد أن لا إله إلا الله مرّة، فقيل له: خالفت السنّة، إنما هو أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، فقال: أوليس المعنى واحدًا، ونربح⁽²⁾ التكرار الذي هو عِيٌّ»⁽³⁾، وجاء في الطراز في معرض الحديث عن التكرار أنه: «كان معدودًا في النثر من العِيّ المردود»⁽⁴⁾.

المطلب الآخر- مصطلح التصريف وحكمه وأدلته:

استعمل قليل من علماء البلاغة وعلوم القرآن مصطلح التصريف، وذكره في كتبهم، ولكنهم لم يُولوه عناية خاصة كما فعل المتأخرون؛ بل خلط بعضهم بينه وبين غيره من المصطلحات، كمصطلح التكرار والترداد، مما يدلّ على عدم وضوح المصطلح عندهم، وقيل أن أشير إلى هؤلاء العلماء أذكر معنى التصريف لغة واصطلاحًا، وأتبعه بذكر القائلين به من العلماء، وأثّلت بذكر الألفاظ المقاربة له.

الفرع الأول- مصطلح التّصريف:

تطرّق العلماء إلى مصطلح التّصريف، وذكروا له معاني في اللّغة، وأخرى في الاصطلاح، وسأبدأ بذكر المعاني اللّغوية، ثم أتبعها بالمعاني الاصطلاحية.

أولًا- التّصريف لغة:

يطلق التّصريف في اللّغة على جملة معانٍ، منها: التقليل من جهة إلى جهة، قال الأزهري: «تصريف الرياح: صرفها من جهة إلى جهة، وكذلك تصريف السيول والخيول والأمور والآيات»⁽⁵⁾، وقال ابن فارس: «الصّاد، والراء، والفاء، معظم بابه يدل على رجوع الشيء»⁽⁶⁾، قلت: ولعلّ من ذلك تصريف الآيات، فإنها تُصرّف: أي تراجع مرّة بعد أخرى.

(1) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 1/ 219.

(2) هكذا وردت، قال المحقق: الظاهر ونزول التكرار، قلت: ويحتمل أن تكون ونزوح التكرار.

(3) سر الفصاحة، ص 103.

(4) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، 2/ 101.

(5) تهذيب اللّغة، للأزهري، 12/ 114، (مادة: صرف).

(6) معجم مقاييس اللّغة، 3/ 343، (مادة: صرف).

ومن معاني التصريف، ردّ الشيء عن وجهه، جاء في لسان العرب: «الصرف: ردّ الشيء عن وجهه، صرفه يصرفه صرفاً فانصرف، وصارف نفسه عن الشيء: صرفها عنه»⁽¹⁾.

ومن معانيه أيضاً التبيين، قال صاحب لسان العرب: «﴿وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ﴾»⁽²⁾، أي: بيّناها، وتصريف الآيات تبيينها»⁽³⁾.

ويطلق الصّرف أيضاً على إبدال شيء بغيره: قال صاحب التوقيف على مهمات التعاريف: «الصّرف: بالفتح، ردّ الشيء من حالة إلى أخرى، أو إبداله بغيره، وتصريف الرياح: صرفها من حال إلى حال، ومنه تصريف الكلام والdraهم»⁽⁴⁾، وجاء أيضاً في كتاب المفردات في غريب القرآن: «الصّرف: ردّ الشيء من حالة إلى حالة، أو إبداله بغيره، يقال: صرفته فانصرف... والتّصريف كالصّرف إلا في التّكثير، وأكثر ما يقال في صرّف الشيء من حالة إلى حالة، ومن أمر إلى أمر، وتصريف الرّيح هو صرفها من حال إلى حال»⁽⁵⁾.

وقال صاحب الكليات: «وتصريف الآيات: تبيينها، وفي الدراهم: إنفاقها، وفي الكلام: اشتقاق بعضه من بعض، وفي الرياح: تحويلها من وجه إلى وجه»⁽⁶⁾.

فتبين من المعاني اللّغوية السّالفة أنّ التّصريف يأتي بمعنى التّقليب، والإرجاع، والتّبيين، والإبدال، وكل هذه المعاني تناسب تصريف الآيات.

ثانياً- التّصريف اصطلاحاً:

يُعرّف التّصريف في الاصطلاح بعدّة تعريفات، لعلّ من أبرزها ما يأتي:

عرّفه الطبري بأنه البيان، وذلك عند تفسيره لقول الله – تعالى-: ﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

يَشْكُرُونَ﴾⁽⁷⁾، قال: «يقول: كذلك: نُبين آية بعد آية، ونُدلي بِحُجّة بعد حُجّة، ونضرب مثلاً بعد مثل»⁽⁸⁾.

(1) لسان العرب، 9/ 189، (مادة: صرف).

(2) سورة الأحقاف، من الآية 27.

(3) لسان العرب، 9/ 189، (مادة: صرف).

(4) التوقيف على مهمات التعاريف، ص 215.

(5) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، ص 482، (مادة: صرف).

(6) الكليات، للكفوي، ص 562، (مادة: صرف).

(7) سورة الأعراف، من الآية 58.

(8) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، لابن جرير الطبري، 12/ 496.

وعرّف الرماني⁽¹⁾ التّصريف بقوله: «التّصريف: تصريف المعنى في المعاني المختلفة، كتصريفه في الدلالات المختلفة، وهو عقدها به على جهة التعاقب، فتصريف المعنى في المعاني كتصريف الأصل في الاشتقاق في المعاني المختلفة، وهو عقدها به على جهة المعاقبة، كتصريف الملك في معاني الصّفات، فصُرّف في معنى مالك، وملك، ذي الملكوت، والمليك، وفي معنى التملك، والتمالك، والإملاك، والتملك، والمملوك... وهذا الضرب من التّصريف فيه بيان عجيب، يظهر فيه المعنى بما يكتنفه من المعاني التي تُظهِره وتدّل عليه، أما تصريف المعنى في الدلالات المختلفة فقد جاء في القرآن في غير قصة، منها قصة موسى -عليه السلام-، ذُكرت في سورة الأعراف، وفي طه، والشعراء، وغيرها؛ لوجوه من الحكمة، منها: التّصرف في البلاغة من غير نقصان عن أعلى مرتبة، ومنها: تمكين العبرة والموعظة، ومنها: حلّ الشبهة في المعجزة»⁽²⁾.

وعرّف الباقلائي التّصريف بقوله: «وأما التّصريف فهو تصريف الكلام في المعاني، كتصريفه في الدلالات المختلفة، كتصريف "الملك" في معاني الصفات، فصُرّف في معنى مالك وملك وذي الملكوت والمليك، وفي معنى التملك، والتملك والإملاك، وتصريف المعنى في الدلالات المختلفة، كما كرّر من قصة موسى في مواضع»⁽³⁾، والناظر في تعريف الباقلائي لا يجد فرقاً بينه وبين تعريف الرّماني، وهذا ما دعا أستاذنا عبد الله النقراط للتعلّيق على تعريف الباقلائي بقوله: «وبمثل تعريف الرّماني، عرفه أبو بكر الباقلائي، ولعلّه نقله منه، دون أن يعزوه لصاحبه، وبخاصة أنّ الرّماني متقدّم عليه»⁽⁴⁾.

وقال الثعلبي في تفسيره لقول الله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾⁽⁵⁾: «معنيان: أحدهما- لم نجعله نوعاً واحداً؛ بل وعد ووعيد، وأمر ونهي، ومحكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وأخبار وأمثال، مثل: تصريف الرياح، وتصريف الأفعال من الماضي إلى المستقبل، ومن الفاعل إلى المفعول ونحوها.

(1) هو: أبو الحسن علي بن عيسى، المعروف بالرّماني، من كبار النحويين، كان متفنناً في النحو، واللغة، والفقه، والكلام، على مذهب المعتزلة، صنّف عدّة مصنفات، منها: كتابه المشهور في التفسير، وكتاب الممدود الأكبر، توفي عام: 384هـ. ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص 235، ووفيات الأعيان، 3/ 299.

(2) النكت في إعجاز القرآن، للرماني ص 102.

(3) إعجاز القرآن للباقلاني، ص 272.

(4) بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، 1/ 26.

(5) سورة الإسراء، من الآية 41.

والثاني- أنه لم ينزله مرّة واحدة؛ بل نجومًا مثل قوله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ﴾⁽¹⁾ ومعناه: أكثرنا
صرف جبريل -عليه السلام- إليك به»⁽²⁾.

وعرّف الواحدي التصريف فقال: «معنى التصريف في اللّغة: صرف الشيء من جهة إلى
جهة، نحو تصريف الرّيح، وتصريف الأمور والآيات... ﴿صَرَفْنَا﴾، أي: بينا، وهو قول ابن
عباس، والأصل ما ذكرنا، ثم يصير بمعنى التبيين؛ لأنّ تصريفه إنّما هو ليتبين»⁽³⁾.

أمّا الزمخشري فيرى أنّ التصريف هو التكرار والتّرداد، فقال: «مثل ذلك التصريف
نصرّف الآيات، نردّها ونكرّها لقوم يشكرون نعمة الله، وهم المؤمنون»⁽⁴⁾.

وقال الرازي في معنى التصريف: «التصريف في اللّغة عبارة عن صرف الشيء من جهة
إلى جهة، نحو تصريف الرّيح وتصريف الأمور، هذا هو الأصل في اللّغة، ثم جعل لفظ
التصريف كناية عن التبيين؛ لأنّ من حاول بيان شيء فإنه يُصرف كلامه من نوع إلى نوع آخر،
ومن مثال إلى مثال آخر؛ ليكمل الإيضاح ويقوى البيان»⁽⁵⁾.

أمّا القرطبي⁽⁶⁾ فلم يستقرّ على رأي في تعريف التصريف، فهو عنده بمعنى البيان، أو
التكرير، أو المغايرة، قال في ذلك: «المراد بهذا التصريف البيان والتكرير، وقيل: المغايرة، أي:
غايرنا بين المواعظ؛ ليذكروا ويعتبروا ويتعظوا»⁽⁷⁾.

ويرى البقاعي أنّ التصريف نوع من الترديد له خصائصه، فقال معرفًا له: «هو الترديد مع
اختلاف الأنحاء لاختلاف الدلالات؛ وإبرازها في قوالب الألفاظ الفانقة، والمعاني الرانقة في
النظوم المعجزة، على وجوه لا تكاد تدخل تحت الحصر»⁽⁸⁾.

(1) سورة الإسراء، من الآية 106.

(2) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، 342/16.

(3) التفسير البسيط، للواحدى، 339-340/13.

(4) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، 112/2.

(5) التفسير الكبير، للرازي، 345/20.

(6) هو: محمد بن أحمد القرطبي، إمام، مفسر، فقيه، كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين، له تصانيف نافعة
تدلّ على تقدّمه وإمامته، منها: الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، وكتاب قمع
الحرص بالزهد والقناعة، توفي عام: 671. ينظر: طبقات المفسرين، للسيوطي، ص 92، وطبقات المفسرين،
لداوودي، 70/2.

(7) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 264/10.

(8) نظم الدرر في تناسب الآي والسور، للبقاعي، 424/7.

وقال صاحب حاشية الشهاب: «معنى التصريف التحويل والتغيير، فالمراد به هنا تغيير الأساليب والعبارات في بعض المعاني؛ ليزداد تقريره ورسوخه في النفوس وبيانه»⁽¹⁾.
وذهب صاحب محاسن التأويل إلى أنّ تصريف الآيات هو إيرادها بطرق مختلفة، كتصريف الرياح⁽²⁾، وهو راجع لمعنى التنويع.

وإلى معنى التنوع ذهب صاحب تفسير المنار، فقد جاء عنه في تفسير قول الله - تعالى -:
﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِمَنْ نَشَاءُ لِيَتَذَكَّرَ أُولَئِكَ لِيُنذَرُوا وَيَتَّقُوا﴾⁽³⁾، «أي: انظر كيف ننوع الحجج والبيانات الكثيرة، ونجعلها على وجوه شتى؛ ليتذكروا ويفتنعوا، فينبؤوا ويرجعوا، ثم هم يعرضون عنها، ويتجنبون التأمل فيها»⁽⁴⁾.

وجاء في التحرير والتنوير أنّ التصريف تنويع خاص، فقال مصنفه: «تصريف الآيات تنويعها باعتبار ما تدلّ عليه من الغرض المقصود منها»⁽⁵⁾، فالتنويع عنده تابع للدلالة، التي سيقّت الآيات لأجلها.

وعرّفه أستاذنا عبد الله النقراط - وفقه الله- والذي يُعدّ أوّل باحث صدع بهذا المصطلح في بحثه، ودافع عنه، فقال: «تصريف الآيات هو تنويعها، وعرضها بطرائق شتى، وصور مختلفة، حسب السياق الواردة فيه تلك الآيات، وهو أيضاً تنويع المعاني والأساليب، والانتقال من معنى إلى آخر، ومن أسلوب إلى آخر، في روعة من الانسجام والتماسك البديع، والتفنن الدقيق، الذي لا نظير له في بيانه، وهو أيضاً التفنن في أداء المعنى الواحد بألفاظ وطرق متعددة»⁽⁶⁾.

وعرّفه في موضع آخر فقال: «تنويع المعاني والأساليب، وعرضها بطرائق شتى، وصور مختلفة، والانتقال من معنى إلى آخر، ومن أسلوب إلى آخر في روعة من البيان والإعجاز»⁽⁷⁾.

(1) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، شهاب الدين الخفاجي، 6/ 59.

(2) ينظر: محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، 4/ 362.

(3) سورة الأنعام، من الآية 46.

(4) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، 7/ 349.

(5) التحرير والتنوير، لابن عاشور، 26/ 54.

(6) بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، 1/ 9-10.

(7) تصريف الترغيب والترهيب في القرآن الكريم، للدكتور عبد الله النقراط، ص 10.

فتبيّن من هذا العرض اللّغوي والاصطلاحي لمعنى التّصريف أنّ المراد بتصريف الآيات هو بيانها، وتنويعها، وإرجاعها مرّة بعد أخرى، وتغيير أساليبها وعباراتها، وما ذاك إلا زيادة في إقامة الحجّة على المعاندين، وإظهارًا لإعجاز القرآن، حيث تتنوّع فيه المعاني المتّحدة الألفاظ، فقد يأتي لفظ من ألفاظ القرآن، في غير ما موضع، وفي كلّ موضع يكون له معنى يخالف غيره، وذلك مثل لفظ "العظيم" الذي هو محلّ البحث.

ثالثًا- العلماء القائمون بالتصريف:

إنّ الناظر في كتب العلماء السابقين لا يجد دراسة خاصة بتصريف القول، أو الدّفاع عن هذا المصطلح، كما هو الحال في العصر الحديث؛ بل لا يجد إلا نقولات متفرّقة لهذا المصطلح؛ لأنّه كان قليل الاستعمال⁽¹⁾، ولعلّ أول من استعمله هو الرّماني، في كتابه "النكت في إعجاز القرآن"، فقد ذكر فيه بابًا للتّصريف، ولكنّه لم يتوسع في ذكر المصطلح؛ بل بالغ في الاختصار، وممّا ذكره فيه قوله: «التّصريف: تصريف المعنى في المعاني المختلفة، كتصريفه في الدلالات المختلفة، وهو عقدها به على جهة التّعاقب، فتصريف المعنى في المعاني كتصريف الأصل في الاشتقاق في المعاني المختلفة، وهو عقدها به على جهة العاقبة»⁽²⁾، ثم تطرّق لذكر الحكمة من تصريف القصص في القرآن فقال: «أما تصريف المعنى في الدلالات المختلفة فقد جاء في القرآن في غير قصة، منها قصة موسى -عليه السّلام-، ذُكرت في سورة الأعراف، وفي طه، والشعراء، وغيرها، لوجوه من الحكمة، منها: التّصرف في البلاغة من غير نقصان عن أعلى مرتبة، ومنها: تمكين العبرة والموعظة، ومنها: حلّ الشبهة في المعجزة»⁽³⁾.

وبعد الرّماني نجد الباقلاني استعمل مصطلح التّصريف، في كتابه "إعجاز القرآن" غير أنّه سار على نهج الرّماني، ولم يأت بعده بجديد، ولم يزد على تعريفه شيئًا، فقال: «وأما التّصريف فهو: تصريف الكلام في المعاني، كتصريفه في الدلالات المختلفة... وتصريف المعنى في الدلالات المختلفة، كما كرّر من قصة موسى في مواضع»⁽⁴⁾.

(1) ينظر: مصطلحات بيانية في القرآن، للدكتور أحمد أبو زيد، ص 7.

(2) النكت في إعجاز القرآن، ص 102.

(3) المصدر نفسه.

(4) إعجاز القرآن للباقلاني، ص 272.

واستعمل صاحب الطراز لفظ التصريف، فقال وهو يتكلم عن التورية⁽¹⁾: «وهذه الأمور كلها، وإن كانت قريبة المأخذ سهلة المدرك، وليس يتعلق بها كبير بلاغة ولا عظيم فصاحة، ولكنها غير خالية عن تفنن في الكلام واتساع فيه، وتدلل على تصرف بالغ، وقوة على تصرف الألفاظ، واقتدار على المعاني، فهي غير خالية عن فن من فنون البلاغة وعلم البديع»⁽²⁾.

وألمح الشاطبي⁽³⁾ إلى التصريف فقال وهو يذكر خصائص الكلام العربي: «ثم يتنوع أيضًا بحسب تعظيمه أو تحقيره - أعني: المخبر عنه - وبحسب الكناية عنه والتصريح به، وبحسب ما يقصد في مساق الأخبار، وما يعطيه مقتضى الحال، إلى غير ذلك من الأمور التي لا يمكن حصرها... فمثل هذه التصرفات التي يختلف معنى الكلام الواحد بحسبها ليست هي المقصود الأصلي، ولكنها من مكملاته ومتمماته، وبطول الباع في هذا النوع يحسن مساق الكلام إذا لم يكن فيه منكر، وبهذا النوع الثاني اختلفت العبارات وكثير من أفاصيص القرآن؛ لأنه يأتي مساق القصة في بعض السور على وجهه، وفي بعضها على وجه آخر، وفي ثالث على وجه ثالث»⁽⁴⁾، ففي هذا الكلام إشارة واضحة إلى تصريف القصص القرآني.

واستعمل صاحب بصائر ذوي التمييز مصطلح التصريف فقال في تصريف القصص القرآني: «وأما تصريف القصص والأحوال، فهو أن الله - تعالى - ذكر بحكمه البالغة أحوال القرون الماضية، ووقائع الأنبياء، وقصصهم، بألفاظ مختلفة، وعبارات متنوعة، بحيث لو تأمل غواصو بحار المعاني، وخواصو لُجج الحُجج، وتفكروا في حقائقها، وتدبروا في دقائقها، لعلموا وتيقنوا وتحققوا وتبينوا أن ما فيها من الألفاظ المكررة المُعادات، إنما هي لأسرار، ولطائف لا يرفع برقع حجابها من الخاصة إلا أوحدهم وأخصهم»⁽⁵⁾.

(1) التورية هي: «أن تكون الكلمة تحتل معنيين، فيستعمل المتكلم أحد احتمالها ويهمل الآخر، ومراده ما أهمله لا ما استعمله». تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الإصبع العدواني، ص 268.

(2) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، 36/3.

(3) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي الشهير بالشاطبي، فقيه، أصولي، محدث، مفسر، له مصنّفات شهيرة، منها: شرح على ألفية ابن مالك، وكتاب الموافقات، وهو كتاب لا نظير له في باب، والاعتصام، توفي عام: 790 هـ. ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، 332، ومعجم المؤلفين، 1/18.

(4) الموافقات، للشاطبي، 106/2.

(5) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي، 1/71.

واستعمله من المُحدثين: الرافعي⁽¹⁾، فقال في معرض حديثه عن إحدى قبائل العرب: «تنبع اللُّغة من ألسنتهم، وتجري الفصاحة على ما أجرّوها، وتنزل البلاغة على حقوقها وعلى أماكن حظوظها من حُكمهم ورضاهم، وهم بعد ذلك من هم في تصريف القول والافتنان فيه»⁽²⁾. واستعمله صاحب مناهل العرفان في حديثه عن براعة القرآن في تصريف القول، فقال: «الخاصة الخامسة: براعته في تصريف القول وثروته في أفانين الكلام، ومعنى هذا أنه يورد المعنى الواحد بألفاظ وبطرق مختلفة، بمقدرة فائقة خارقة، تنقطع في حلبتها أنفاس الموهوبين من الفصحاء والبلغاء»⁽³⁾، وفي موضع آخر ذكر أنّ تصريف القول فنٌّ من فنون إعجاز القرآن فقال: «اعلم أنّ تصريف القول في القرآن على هذا النحو كان فناً من فنون إعجازه الأسلوبية كما ترى، وكان في الوقت نفسه منّة يمنّها الله على الناس؛ ليستفيدوا عن طريقها كثرة النظر في القرآن، والإقبال عليه قراءة وسماعاً وتدبراً وعملاً، وأنه لا عذر معها لمن أهمل هذه النعمة وسفّه نفسه»⁽⁴⁾.

ومن المعاصرين الذين استعملوا مصطلح التّصريف أيضاً: أبو زهرة، فقال: «أمّا القرآن المعجز الذي هو فوق قدرة البشر، فإنّ البلاغة فيه في كلّ أبواب القول، وهي في كلّ باب تعلو علواً كبيراً عن المجيدين في هذا الباب وحده، ولذلك كان تصريف القول فيه من تهديد وإنذار وتبشير، وإثارة للتأمل، ودعوة للتفكير في آيات الله - تعالى - الكونية والقرآنية، والتفكير في النّفس وفي الحسّ، كلّ ذلك من دلائل الإعجاز وسرّه»⁽⁵⁾، وقال أيضاً: «وإنّ التّصريف في القرآن الكريم على ضربين: أحدهما في المعاني، وثانيهما: في الألفاظ والأساليب، فأما التّصريف في المعاني فإنّ المؤدّى في جملته يكون واحداً في عدّة مواضع، ولكن لها في كلّ مرّة عبرة، وهذا تصريف في المعاني، وإن كانت الألفاظ تختلف أو تتقارب أو تتحدّ العبارات في بعض الأحيان»⁽⁶⁾.

(1) هو: مصطفى صادق بن عبد الرزاق الرافعي، أديب، شاعر، كاتب مبدع، أصيب بالصمم، له عدّة كتب نافعة، منها: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، وتحت راية القرآن، ورسائل الأحزان، توفي عام: 1356هـ. ينظر: الأعلام للزركلي، 7/ 235.

(2) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للرافعي، ص 71.

(3) مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، 2/ 318.

(4) المصدر نفسه، 2/ 322.

(5) المعجزة الكبرى القرآن، ص 115 - 116.

(6) المصدر نفسه.

ومن المعاصرين الذين استعملوا مصطلح التصريف: حسن محمد باجودة، فقد جاء عنه: «وعلى الرغم من تصريف القول في القرآن الكريم وتنويعه كي يكفّ المشركون من غريبهم، ويعودوا إلى الصراط المستقيم، فإنهم لا يزدادون إلا ابتعاداً عن الحقّ ونفوراً منه»⁽¹⁾، وفي موضع آخر عند قول الله - تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْفَيْمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾⁽²⁾، قال: «تهديد وتعليل وتسليية، ألفاظ ثلاثة يمكن أن يقال: إنها تُحدّد مظاهر تصريف القول في الآيات الثلاث»⁽³⁾.

واستعمله من المعاصرين ودافع عنه بشدّة، ودعا إلى استعماله أستاذنا عبد الله النقراط، وذلك في أطروحته "بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم"، فقد جاء فيها: «وقد غالى بعض المهتمين بالدراسات القرآنية في وصف الآيات القرآنية بالتكرار، وصرّحوا بما لم يصرّح به الله في كتابه لو أنهم - في رأينا- أمعنوا النظر في الآيات التي صرّحت بتصريف القول، لاهتدوا إلى هذا المصطلح المناسب لمقام القرآن وجلاله.

إنّ تعميم مصطلح التكرار وإغفال التمييز بينه وبين مصطلح التصريف القرآني أمر ليس مقبولاً عند التّحقيق والنظر، فيما يراه من يدّعي التكرار من جميع الجوانب»⁽⁴⁾.

واستعمله الأستاذ امحمد محمد المستغامي، في كتابه "تصريف القول في القصص القرآني"، مقتفياً أثر الأستاذ النقراط، قال فيه: «وهناك مصطلح آخر دقيق ومغمور هو مصطلح تصريف القول، وهو مصطلح دقيق؛ لأنّ آيات القرآن الكريم نطقت به في مواطن عديدة، ومغمور لأنه لم يأت ذكره في كتابات الأقدمين، ولم ينل حظّه من الاستعمال كبقية المصطلحات»⁽⁵⁾.

رابعاً- الألفاظ المقاربة للتصريف:

نحا بعض العلماء إلى استعمال مصطلحات قريبة من مصطلح التصريف، وقد تتحدّ معه

في المعنى، وذكروها في مصنّفاتهم، ومن هذه المصطلحات:

(1) تأملات في سورة الإسراء، حسن باجودة، ص 183.

(2) سورة الإسراء، الآية 58.

(3) تأملات في سورة الإسراء، ص 205.

(4) بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، ص 12.

(5) تصريف القول في القصص القرآني، للمستغامي، ص 13.

التّفنن:

التّفنن في لغة العرب معناه التنوع، قال صاحب الصّاح: «الفنُّ: واحد الفنون، وهي الأنواع، والأفانينُ: الأساليبُ، وهي أجناس الكلام وطرقه، ورجلٌ مُتّفنّنٌ، أي: ذو فنونٍ»⁽¹⁾.

والتّفنن في الاصطلاح لا يختلف معناه عن معناه اللّغوي، حيث جاء في عروس الأفراح: «الافتنان: وهو أن يؤتى في الكلام الواحد بفنين متضادين، أو مختلفين»⁽²⁾، وجاء في الإتيان أن الافتنان هو: «الإتيان في كلام بفنين مختلفين، كالجمع بين الفخر والتعزية في قوله - تعالى -: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۖ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾»⁽³⁾، فإنه - تعالى - عزى جميع المخلوقات من الإنس والجنّ والملائكة وسائر أصناف ما هو قابل للحياة، وتمدّح بالبقاء بعد فناء الموجودات»⁽⁴⁾، فالتفنن هو التنوع والانتقال من فنٍّ إلى فنٍّ، ومن نوع إلى نوع.

وقد استعمل هذا المصطلح للدلالة على ما ورد في أكثر من موضع جمع من العلماء، منهم: أبو حيان⁽⁵⁾ قال في تفسير قول الله - تعالى -: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾⁽⁶⁾: «وكلّ ذلك تفنّن في البلاغة وأساليب الكلام»⁽⁷⁾.

واستعمله أيضًا السمين الحلبي⁽⁸⁾ في تفسير قول الله - تعالى -: ﴿قُلْ إِنْ تُحْفَوْا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ﴾⁽⁹⁾، قال: «وقدّم هنا الإخفاء على الإبداء وجعل محلّهما الصدور وجعل جواب الشرط العلم بخلاف ما في البقرة، فإنه قدّم فيها الإبداء على الإخفاء، وجعل

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 6/ 2177، (مادة: فنن).

(2) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، لبهاء الدين السبكي، 2/ 313.

(3) سورة الرحمن، الآيتين 26-27.

(4) الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي، 3/ 298.

(5) هو: محمد بن يوسف بن علي بن حيان، أبو حيان الأندلسي، نحوي عصره، ولغوي، ومفسره، ومحدثه، ومقرئه، ومؤرخه، وأديبه، له مصنّفات في عدّة فنون، منها: البحر المحيط في التفسير، والتذليل والتكميل في شرح التسهيل، ومطول الارتشاف ومختصره، توفي عام: 745هـ. ينظر: طبقات المفسرين، للداودي، 2/ 287، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، 8/ 251.

(6) سورة هود، من الآية 24.

(7) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، 9/ 268.

(8) هو: أحمد بن يوسف بن محمد، المعروف بالسمين الحلبي، مقرئ، نحوي، من فقهاء الشافعية، أخذ عن أبي حيان النحو، له مصنّفات حسنة، منها: تفسير القرآن، وإعراب القرآن المسمى بالدر المصون، وشرح التسهيل، توفي عام: 756هـ. ينظر: طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة، 3/ 18، وطبقات المفسرين، للداودي، 1/ 102.

(9) سورة آل عمران، من الآية 29.

محملهما النفس، وجعل جواب الشرط المحاسبة، وكل ذلك تفنن في البلاغة وتنوع في الفصاحة»⁽¹⁾.

واستعمله الخطيب الشربيني⁽²⁾ في مواضع، ومن ذلك عند بلوغه قول الله - تعالى -: «وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ»⁽³⁾، قال: «فإن قيل: ما الحكمة في ذكرهم بلفظ أصحاب اليمين عند تقسيم الأزواج الثلاثة، ولفظ أصحاب اليمين عند ذكر الإنعام؟ أجيب: بأن ذلك تفنن في العبارة، والمعنى واحد»⁽⁴⁾.

واستعمل القاسمي⁽⁵⁾ التفنن في تفسيره، ومن ذلك جمعه بين قول الله - تعالى -: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا»⁽⁷⁾، قال: «وعندي أن السؤال والمسؤول واحد، إلا أنه تفنن في الموضوعين، فحذف من كل ما أثبتته في الآخر احتياكاً، والأصل: رب اجعل هذا البلد بلداً آمناً، وبه تتطابق الدعوتان على أبدع وجه وأخلصه من التكلف»⁽⁸⁾.

واستعمله صاحب تفسير المنار في مواضع من تفسيره ومنها: عند قول الله - تعالى - في سورة الأعراف: «قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ»⁽⁹⁾، قال: «ذكر قولهم هنا بأسلوب الاستئناف البياني كأنه جواب سائل ماذا قالوا؟ وجاء في سورة الشعراء بصيغة الشرط والجزاء: «فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ»⁽¹⁰⁾، وهو تفنن في العبارة»⁽¹⁾.

(1) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، 3/ 114.
(2) شمس الدين محمد بن محمد، المعروف بالخطيب الشربيني، درس وأفتى في حياة أسياعه، ووصف بالعلم والعمل، والزهد، والورع، من مصنفاته: شرح المنهاج، وشرح التنبيه، والسراج المنير في التفسير، توفي عام: 977هـ. ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، 10/ 562، والأعلام للزركلي، 6/ 6.
(3) سورة الواقعة، الآية 27.
(4) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للخطيب الشربيني، 4/ 185.
(5) هو: جمال الدين، أو محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم، إمام الشام في عصره، صنف في عدة فنون، ومن مصنفاته: محاسن التأويل، في التفسير، وإرشاد الخلق إلى العمل بخبر البرق، وتنبيه الطالب إلى معرفة الفرض والواجب، توفي عام: 1332هـ. ينظر: الأعلام للزركلي، 2/ 135.
(6) سورة البقرة، من الآية 126.
(7) سورة إبراهيم، الآية 35.
(8) محاسن التأويل، 1/ 396.
(9) سورة الأعراف، من الآية 113.
(10) سورة الشعراء، من الآية 41.

واستعمله صاحب التحرير والتنوير في مواضع عدّة من تفسيره، منها قوله: «تكرير الكلام في الغرض الواحد من شأنه أن يثقل على البليغ، فإذا جاء اللاحق منه إثر السابق مع تقنّن في المعاني باختلاف طرق أدائها، من مجاز أو استعارات أو كناية، وتفنّن الألفاظ وتراكيبها، بما تقتضيه الفصاحة وسعة اللّغة باستعمال المترادفات، مثل: ﴿وَلَيْنِ رُدِدْتُ﴾⁽²⁾، ﴿وَلَيْنِ رُجِعْتُ﴾⁽³⁾، وتفنّن المحسنات البديعية المعنوية واللفظية ونحو ذلك، كان من الحدود القصوى في البلاغة»⁽⁴⁾.

واستعمل التقنّن أيضاً صاحب كتاب التفسير المنير، ومن ذلك عند قول الله - تعالى -: ﴿قَلِبَتْ فِيهِمْ آَلَفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾⁽⁵⁾، قال: «تفنّن في التعبير، فلم يقل: إلا خمسين سنة، تحاشياً للتكرار المنافي للبلاغة»⁽⁶⁾.

التنوع:

يطلق التنوع في اللّغة على: «كلّ ضرب من الشيء، وكلّ صنف من الثياب والثمار وغير ذلك حتى الكلام؛ وقد تنوّع الشيء أنواعاً»⁽⁷⁾، وفي الاصطلاح يُعرّف النوع بأنه: «اسم دالّ على أشياء كثيرة مختلفة»⁽⁸⁾.

ودرج بعض العلماء على تسمية ما جاء في غير ما موضع من القرآن الكريم بالتنوّع، ومن هؤلاء العلماء: أبو حيان، قال في تفسيره: «جاء: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا﴾⁽⁹⁾، وجاء: ﴿وَمَا أَوْتِي مُوسَى وَعِيسَى﴾⁽¹⁰⁾، تنويحاً في الكلام وتصرفاً في ألفاظه، وإن كان المعنى واحداً؛ إذ لو كان كلّهُ بلفظ الإيتاء، أو بلفظ الإنزال، لما كان فيه حلاوة التنوّع في الألفاظ»⁽¹¹⁾.

(1) تفسير القرآن الحكيم، لمحمد رشيد رضا، 55 / 9.

(2) سورة الكهف، من الآية 36.

(3) سورة فصلت، من الآية 50.

(4) التحرير والتنوير، لابن عاشور، 68 / 1.

(5) سورة العنكبوت، من الآية 14.

(6) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للزحيلي، 208 / 20.

(7) لسان العرب، 364 / 8، (مادة: نوع).

(8) كتاب التعريفات، للجرجاني، ص 247، (مادة: نوع).

(9) سورة البقرة، من الآية 136.

(10) سورة البقرة، من الآية 136.

(11) البحر المحيط في التفسير، 649 / 1.

واستعمله ابن رجب⁽¹⁾ فقال: «والقرآن نوعان: أحدهما: ما كرّر لفظه لفائدة مجدّدة، فهذا هو المتشابه، والثاني: ما نُوع وقُسم ولم يُكرّر لفظه، فهذا المثاني⁽²⁾».

واستعمل التنويع صاحب تفسير المنار، فذكر الخلاف بين الجمع والتثنية في قول الله - تعالى -: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَحِشَةَ﴾⁽³⁾، وقوله: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ﴾⁽⁴⁾، ثم قال: «ويجوز أن يكون اختلاف التعبير بالجمع، والتثنية من باب التنويع، فذلك معهود في الكلام البليغ مع الأمن من الاشتباه»⁽⁵⁾، هذا وإن مُصطلحي التّفنن والتّنوع قريبة جدًّا من مصطلح التّصريف؛ بل إن من معاني التّصريف التّنويع كما سلف.

وبعد هذا العرض للمصطلحات التي استعملها العلماء للدلالة على ما جاء في مواضع من كتاب الله، لا مناص للمُنصِف من ترجيح مصطلح التّصريف على سائر المصطلحات؛ لأنه مصطلح قرآني جاء في مواضع من كتاب الله - تعالى - منها قوله: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾⁽⁶⁾، وأيضًا هو مصطلح سالم من المعارضة، بخلاف مصطلح التكرار والترداد وما جاء بمعناهما، فهي لا تسلم من مساوي ذُكر بعضها.

ثم إنّ العلماء القائلين بغير مصطلح التّصريف مضطربون في عباراتهم، فمرة يقولون بالتكرار، وأخرى بالترداد، وأحيانًا يقولون بالتّصريف، وأيضًا فقد أنكر كثير من العلماء إطلاق لفظ التكرار على ما ورد في غير موضع من كتاب الله - تعالى - ومن هؤلاء الإمام الغزالي، فقد نفى وقوع التكرار في القرآن، وذلك في كتابه "جواهر القرآن" فقال وهو يتحدث عن أسرار سورة الفاتحة: «وقوله ثانيًا: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾⁽⁷⁾ إشارة إلى الصّفة مرّة أخرى، ولا تظنّ أنه مكرّر، فلا تكرّر في القرآن، إذ حدّ المكرّر ما لا ينطوي على مزيد فائدة... والمقصود أنه لا

(1) هو: عبد الرحمن المعروف بابن رجب الحنبلي، عالم، فاضل، حافظ، شيخ الحنابلة وفاضلهم، له اشتغال بمعرفة فنون الحديث وعلله، وله مصنّفات قيّمة، منها: فتح الباري في شرح البخاري، شرح جامع الترمذي، وجامع العلوم والحكم، توفي عام: 795 هـ. ينظر: الجوهر المنصّد في طبقات متأخري أصحاب أحمد، لابن المبرّد الحنبلي، 1/ 49، وطبقات المفسرين، للأدنه وي، ص 353، والأعلام للزركلي، 3/ 295.

(2) تفسير الفاتحة، لابن رجب الحنبلي، ص 27.

(3) سورة النساء، من الآية 15.

(4) سورة النساء، من الآية 16.

(5) تفسير القرآن الحكيم، 4/ 360.

(6) سورة الأنعام، من الآية 46.

(7) سورة الفاتحة، الآية 3.

مكرّر في القرآن، فإن رأيت شيئاً مكرّراً من حيث الظاهر، فانظر في سوابقه ولو احقه؛ لينكشف لك مزيد الفائدة في إعادته»⁽¹⁾.

وقال صاحب المعجزة الكبرى عن تصريف القصص القرآني: «إنّ ذلك التكرار من تصريف القول الذي هو وجه من وجوه البيان القرآني الذي قصد إليه الكتاب العزيز»⁽²⁾.

وقال الأستاذ عبد الله النقرات - وفقه الله- نافياً للتكرار، ومرجعاً لمصطلح التّصريف على غيره من المصطلحات: «إنّ الذي يتضح لنا هو أنّ ما ذهب إليه أولئك لا يُعدُّ تكراراً؛ فلو تأملنا الآيات المتشابهة، والآيات التي يرون أنها مكررة، لتبيّن لنا اختلاف كبير في بعض مفرداتها، واختلاف في سوابقها ولو احقها، وأسباب نزولها.

ومن هنا فإنّ هذا التنوع البياني في الآيات، هو تصريف للقول في القرآن الكريم، في أعلى مراتبه، وله مقاصد ومرايم سامية يرمي إليها في كل مرّة؛ بل في كل كلمة من أي كتاب الله العزيز، ذلكم البيان الرائع والتّصرف العجيب، الذي أعجز الإنس والجنّ فرادى ومجتمعين»⁽³⁾.

الفرع الثاني- أدلة مصطلح التّصريف:

إنّ الناظر في القرآن الكريم، يجد أنّ مصطلح التّصريف ورد في مواضع متفرقة منه، وقد حاولت في هذا المطلب جمع الآيات التي ذكر فيها هذا المصطلح، ثم تعرّضت لبيان يسير لمعانيها، مسترشداً بما صنّفه أرباب التفسير، وفيما يأتي ذكر لهذه الآيات:

قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْيَلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾⁽⁴⁾، والمراد بالتّصريف في الآية التنويع، كما قال الطبري: «قوله: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾، يقول: وفي

(1) جواهر القرآن، للغزالي ص 65- 68.

(2) المعجزة الكبرى القرآن، ص 121.

(3) بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، 1/ 57.

(4) سورة البقرة، من الآية 164.

تصريفه الرياح لكم، شمالاً مرّة، وجنوباً أخرى، وصباً أحياناً، ودبوراً أخرى لمنافعكم، وقد قيل: عنى بتصريفها بالرحمة مرّة، وبالعذاب أخرى»⁽¹⁾.

وقال - سبحانه- في سورة الأنعام: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾⁽²⁾،

المراد بالتصريف في الآية يحتمل أن يكون بمعنى التبيين أو التوجيه، ومنه ما جاء في "التفسير البسيط"، عند تفسير هذه الآية: «يبين لهم في القرآن الآيات، وقال أهل المعاني: معنى تصريف الآيات: توجيهها في الجهات التي تظهرها أتم الإظهار»⁽³⁾، ويحتمل أن يكون التصريف في الآية بمعنى التغاير والتتابع، كما جاء في "النكت والعيون" أن التصريف: «فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أن يتلو بعضها بعضاً، فلا ينقطع التنزيل، والثاني: أن الآية تنصرف في معان متغايرة، مبالغة في الإعجاز، ومباينة لكلام البشر، والثالث: أنه اختلاف ما تضمنها من الوعد والوعيد، والأمر والنهي»⁽⁴⁾.

وقال - عز وجل- في سورة الأنعام أيضاً: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾⁽⁵⁾،

يقال في معنى التصريف في هذه الآية ما قيل في الآية قبلها، ويزاد أن فيها بيان علّة التصريف، وهي حصول الفقه، فقد نقل الرازي عند هذا الموضع عن القاضي الباقلاني أنه قال: «هذا يدلّ على أنه - تعالى- أراد بتصريف هذه الآيات وتقرير هذه البيّنات، أن يفهم الكلّ تلك الدلائل، ويفقه الكلّ تلك البيّنات»⁽⁶⁾.

وقال - عزّ من قائل- في السورة نفسها: ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ

لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾⁽⁷⁾، والتصريف هنا بمعنى التبيين والتنويع، حيث جاء في زاد المسير: «قال ابن

عباس: نصرّف الآيات، أي: نبينها في كلّ وجه، ندعوهم بها مرّة، ونخوفهم بها أخرى»⁽⁸⁾، واللام في قوله: ﴿وَلِيَقُولُوا﴾، ليست للتعليل؛ بل هي لام العاقبة والصيرورة، قال الزّجاج: «هذه

اللام يسميها أهل اللّغة لام الصيرورة، وهذا كقوله - تعالى-: ﴿فَالْتَقَطَهُ ءَالٌ فَرِعَوْنَ لِيُكَوِّنَ لَهُمْ

(1) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 61 / 22.

(2) سورة الأنعام، من الآية 46.

(3) التفسير البسيط، 149 / 8.

(4) النكت والعيون، للماوردي، 153 / 2.

(5) من الآية 65.

(6) التفسير الكبير، 21 / 13.

(7) سورة الأنعام، الآية 105.

(8) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، 63 / 2.

عَدُوًّا وَحَزَنًا⁽¹⁾، فهم لم يلتقطوه يطلبون بأخذه أن يعاديه؛ ولكن كانت عاقبة أمره أن صار لهم عدوًّا وحزناً⁽²⁾.

وقال - تعالى- في سورة الأعراف: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكْدًا كَذَلِكِ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ⁽³⁾، ومعنى التصريف هنا لا يخرج عن المعاني السالفة، قال أبو حيان: «أي: مثل هذا التصريف والترديد والتنويع ننوع الآيات ونرددها»⁽⁴⁾، ولا نتفق معه في إطلاقه الترديد على آيات القرآن الكريم؛ لأن الاستعمال القرآني جاء بالتصريف دون الترديد.

وقال - جل وعلا- في سورة الإسراء: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا⁽⁵⁾، قال السمعاني عن التصريف في الآية: «فيه قولان: أحدهما: تكرير الأمر والنهي والمواعظ والقصص، والآخر: تبين القول بجميع جهاته»⁽⁶⁾، وقال صاحب الكشاف: «يجوز أن يريد بهذا القرآن إبطال إضافتهم إلى الله البنات؛ لأنه مما صرّفه وكرّر ذكره، والمعنى: ولقد صرّفنا القول في هذا المعنى، أو أوقعنا التصريف فيه، وجعلناه مكاناً للتكرير، ويجوز أن يشير بهذا القرآن إلى التنزيل ويريد، ولقد صرّفناه، يعنى هذا المعنى في مواضع من التنزيل»⁽⁷⁾، ولا نتفق معهما في إطلاق لفظ التكرار لما له من مساوئ مر ذكرها.

وفي سورة الإسراء أيضاً جاء قوله - سبحانه-: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا⁽⁸⁾، قد يراد بالتصريف في هذه الآية التوجيه، كما قال القرطبي عند تفسير هذه الآية: «أي: وجّهنا القول فيه بكلّ مثل يجب به الاعتبار، من الآيات

(1) سورة القصص، من الآية 8.

(2) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، 2/ 280.

(3) الآية 58.

(4) البحر المحيط في التفسير، 5/ 81.

(5) الآية 41.

(6) تفسير القرآن، للسمعاني، 3/ 243.

(7) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 2/ 669.

(8) الآية 89.

والعبر والترغيب والترهيب، والأوامر والنواهي وأقاصيص الأولين، والجنة والنار والقيامة»⁽¹⁾، وقد يراد به التبيين، كما قال ابن جزري في معنى صرفنا: «أي: بينا لهم كل شيء من العلوم النافعة، والبراهين القائمة، والحجج الواضحة، وهذا يدل على أن إعجاز القرآن بما فيه من المعاني والعلوم»⁽²⁾.

وقال - تبارك وتعالى- في سورة الكهف: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾⁽³⁾، وهذه الآية كسابقتها في معاني التصريف، فيحتمل التوجيه، ويحتمل التبيين.

وقال - عز وجل- في سورة طه: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾⁽⁴⁾، معنى تصريف الوعيد بيانه: قال الطبري: «﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ فبيناه: يقول: وخوفناهم فيه بضروب من الوعيد»⁽⁵⁾.

وقال في سورة الفرقان: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾⁽⁶⁾، فالضمير في (صرفناه)، إما أن يكون راجعاً إلى القرآن، فيكون المراد صرفنا القول في القرآن، أي: نوّعناه، وإما أن يكون راجعاً إلى المطر، ومعنى التصريف على كلا التفسيرين واحد، وهو التنويع، قال صاحب التفسير القرآني للقرآن: «الضمير في ﴿صَرَّفْنَاهُ﴾ يراد به القرآن الكريم... وتصريف القرآن، هو تنويع معارضه، وعرض حقائقه ومقرراته في صور متعددة، بين الإيجاز والبسط، والإجمال والتفصيل، والتصريح والتلميح، إلى غير ذلك من أساليب البيان، التي ملك القرآن زمامها، واستولى على غايتها»⁽⁷⁾، وقال صاحب فتح البيان: «وقيل: ضمير ﴿صَرَّفْنَاهُ﴾ يرجع إلى أقرب المذكورات، وهو المطر، أي: صرفنا المطر بينهم، في البلدان

(1) الجامع لأحكام القرآن، 10 / 327.

(2) التسهيل لعلوم التنزيل، 1 / 454.

(3) الآية 54.

(4) الآية 113.

(5) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 16 / 178.

(6) الآية 50.

(7) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، 10 / 38.

المختلفة، والأوقات المتغيرة، وعلى الصفات المتفاوتة، من ابل، وطش، وطل، وجود، ورذاذ، وديمة، فنزيد منه في بعض البلدان، وننقص في بعض آخر منها»⁽¹⁾.

وقال في - تعالى- سورة الجاثية: ﴿وَاخْتَلَفِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ ءآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾⁽²⁾، تصريف الرياح هو تنويعها، وتقليبها، فقد جاء في التفسير البسيط عن معنى تصريف الرياح: «تقليبها قبولاً ودبوراً وشمالاً وجنوباً، كما بيّنا، وتصريفها مرّة بالرحمة، ومرّة بالعذاب، وتصريفها مرّة حارّة، ومرّة باردة، ومرّة لينّة، ومرّة عاصفة»⁽³⁾.

وقال- سبحانه- في سورة الأحقاف: ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾⁽⁴⁾، معنى تصريف الآيات في الآية بيانها، وتنويعها، قال القرطبي في معنى تصريف الآيات: «يعني الحجج والدلالات، وأنواع البينات والعظات، أي: بيّناها لأهل تلك القرى ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، فلم يرجعوا، وقيل: أي: صرفنا آيات القرآن في الوعد والوعيد والقصص والإعجاز»⁽⁵⁾.

الفرع الثالث- الحِكم من تصريف الآيات:

لا شك أن في تصريف الآيات حكماً سامية، وغايات نبيلة، ذكر الله - سبحانه- في كتابه جملة منها، وسأنتطرق في هذا الفرع لبيان هذه الحِكم، مهتدياً بكتاب الله - تعالى-، ومسترشداً بما ذكره أساطين التفسير.

(1) فتح البيان في مقاصد القرآن، للفتوح، 321 / 9.

(2) الآية 5.

(3) التفسير البسيط، 3 / 465.

(4) الآية 27.

(5) الجامع لأحكام القرآن، 209 / 16.

الحكمة الأولى- من حَكَمَ تصريف الآيات حصول التفقه والعبرة، قال الله - تبارك وتعالى -
: ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾⁽¹⁾، قال الطبري: «يقول - تعالى ذكره- لنبيه محمد -
ﷺ: انظر، يا محمد، بعين قلبك إلى ترديدنا حججنا على هؤلاء المكذبين برّبهم، الجاحدين نعمه،
وتصرفناها فيهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾»، يقول: ليفقهوا ذلك ويعتبروه»⁽²⁾، والمراد بالفقه المذكور في
الآية أن يفقهوا ما يقال لهم⁽³⁾، وقيل: إن معنى يفقهون: يتعظون وينزجرون⁽⁴⁾، أما الرازي فله
رأي آخر في الآية، وهو أن الله - تعالى- ما صرّف الآيات إلا لمن فقه وفهم، أما من لم يفقه، ولم
يفهم فإنّ الله لم يُصرّف لهم الآيات⁽⁵⁾، ولعلّ الرازي جانبه الصواب فإنّ (لعلّ)، «معناها التوقع
لمرجو أو مخوف»⁽⁶⁾، ومنه أمر الله - تعالى- موسى وهارون أن يقولوا لفرعون ﴿قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ قال
- سبحانه-: ﴿فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى﴾⁽⁷⁾، ومعلوم أنّ فرعون لم يتذكر ولم يخش.
وقال صاحب نظم الدرر في معنى ﴿يَفْقَهُونَ﴾: «أي: ليكون حالهم حال من يرجى
فهمه وانتفاعه به»⁽⁸⁾، وليس الفقه هو الغاية، وإنما الفقه وسيلة ليحصل لهم به الاعتبار والعمل،
ولذلك قال صاحب تفسير المنار: «الفقه هو فهم الشيء بدليله وعلّته، المفضي إلى الاعتبار
والعمل به، وإنما يرجى تحصيله بتصريف الآيات وتنويع البيّنات»⁽⁹⁾.

الحكمة الثانية- حصول البيان، كما قال - تعالى-: ﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيُقُولُوا
دَرَسَتْ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁰⁾، قال صاحب الهداية: «أي: صرفناها لنبيين القرآن لقوم

(1) سورة الأنعام، من الآية 65.

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 11 / 433.

(3) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، لمكي بن أبي طالب، 3 / 2056.

(4) ينظر: النكت والعيون، 2 / 127.

(5) ينظر: التفسير الكبير، 13 / 21.

(6) المقتضب، للمبرد، 4 / 108.

(7) سورة طه، الآية 44.

(8) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 7 / 144.

(9) تفسير المنار، 7 / 410.

(10) سورة الأنعام، الآية 105.

يعلمون»⁽¹⁾، وقال الماوردي⁽²⁾ في قوله: ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾: «في الكلام حذف، وتقديره: ولنلا يقولوا درست، فحذف ذلك إيجازاً»⁽³⁾، أقول: وعلى هذا التأويل تكون اللام لام التعليل، أي: صرفنا الآيات لنلا يقولوا درست، وقال صاحب الكشاف عند هذا الموضع من الآية: «فإن قلت: أي فرق بين اللامين في ليقولوا، ولنبينة؟ قلت: الفرق بينهما أن الأولى مجاز والثانية حقيقة، وذلك أن الآيات صرفت للتبيين ولم تُصرف ليقولوا درست، ولكن لأنه حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين، شبه به فسيق مساقه»⁽⁴⁾، فالحكمة من التصريف أن يظهر به البيان والفهم.

الحكمة الثالثة- حصول التذكرة، كما قال - سبحانه-: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ

لِيَذَكَّرُوا﴾⁽⁵⁾، وقال أيضاً: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِيهِمْ لِيَذَكَّرُوا﴾⁽⁶⁾، قال الطبري: «يقول: ليتذكروا تلك الحجج عليهم، فيعقلوا خطأ ما هم عليه مقيمون، ويعتبروا بالعبر، فيتعظوا بها، وينبوا من جهالتهم، فما يعتبرون بها، ولا يتذكرون بما يرد عليهم من الآيات والنذر»⁽⁷⁾، والغاية من التذکر هي الهداية للحق، ولذلك قال الماوردي: «﴿لِيَذَكَّرُوا﴾، فيه وجهان: أحدهما: ليذكروا الأدلة، الثاني: ليهتدوا إلى الحق»⁽⁸⁾، وقال صاحب زهرة التفاسير: «﴿لِيَذَكَّرُوا﴾، أي: ليملأوا قلوبهم بذكر الله؛ وليعتبروا بعبره؛ وليروا فيه الكلام المعجز الذي يذكرهم برسالة النبي ليؤمنوا»⁽⁹⁾.

الحكمة الرابعة- بتصريف آيات القرآن تحصل التقوى والموعظة، كما قال - جلّ وعلا-:

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾⁽¹⁰⁾، جاء

(1) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، 3/ 2140.
(2) هو: علي بن محمد، أبو الحسن الماوردي، كان من فقهاء الشافعية الكبار، له تصانيف في التفسير، والفقه، والأصول، وكان يُتهم بالاعتزال، من مصنفاته: النكت والعيون، في التفسير، والحاوي في الفقه، وأدب الدين والدنيا، توفي عام: 450هـ. طبقات الفقهاء الشافعية، 2/ 636، وطبقات المفسرين، للسيوطي، ص 83، ووفيات الأعيان، 3/ 284.
(3) النكت والعيون، 2/ 153.
(4) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 2/ 55.
(5) سورة الإسراء، من الآية 41.
(6) سورة الفرقان، من الآية 50.
(7) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 14/ 602.
(8) النكت والعيون، 3/ 244-245.
(9) زهرة التفاسير، 8/ 4388.
(10) سورة طه، الآية 113.

في التفسير البسيط: «لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» ليكون سبباً لاتقائهم الشُّرك بالاعتِظاظ من (1) قبلهم، «أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا» قال ابن عباس: (موعظة فينتفعون بها)، يعني: يُحَدِّثُ لَهُمُ الْقُرْآنَ ذِكْرًا وَاعْتِبَارًا وَاعْتِظَافًا فَيُنْذِرُوا بِهِ عِقَابَ اللَّهِ لِلْأُمَّمِ الْمَكْذِبَةِ، فَيَعْتَبِرُوا وَيَتَفَكَّرُوا» (2)، أما السَّمْعَانِي فَلَمْ يَقْصِرِ التَّقْوَى عَلَى الشُّرْكِ كَمَا فَعَلَ الْوَاحِدِي؛ بَلْ أَضَافَ إِلَيْهَا اتِّقَاءَ الْمَعَاصِي، فَصُرِّفَتْ الْآيَاتُ لِاتِّقَاءِ الشُّرْكِ وَالْمَعَاصِي وَحُصُولِ الْإِعْتِبَارِ (3)، وَقَالَ الرَّازِي: «الْمَعْنَى إِنَّا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ لِأَجْلِ أَنْ يَصِيرُوا مُتَّقِينَ، أَي: مُحْتَرِزِينَ عَمَّا لَا يَنْبَغِي، أَوْ يُحَدِّثُ الْقُرْآنَ لَهُمْ ذِكْرًا يَدْعُوهُمْ إِلَى الطَّاعَاتِ وَفَعَلَ مَا يَنْبَغِي» (4)، وَيُرَى أَبُو حَيَّانٍ أَنَّ مَعْنَى «يَتَّقُونَ»: أَي: يَتَّقُونَ أَنْ يَنْزَلَ وَيَحِلَّ بِهِمْ مَا نَزَلَ بِمَنْ قَبْلَهُمْ (5)، وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» أَي: يَتْرَكُونَ الْمَأْتَمَ وَالْمَحَارِمَ وَالْفَوَاحِشَ، «أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا»، وَهُوَ إِجَادَةُ الطَّاعَةِ وَفَعْلُ الْقُرْبَاتِ» (6).

الحكمة الخامسة- الرجوع إلى الله - تعالى-، والإِنَابَةُ إِلَيْهِ، قَالَ - سُبْحَانَهُ -: «وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوَّلْتُمْ مِنْ آفْرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» (7)، قَالَ الطَّبْرِيُّ: «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»، يَقُولُ: لِيَرْجِعُوا عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مُقِيمِينَ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ» (8)، وَقَالَ ابْنُ عَاشُورٍ: «وَجُمْلَةٌ: «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» مُسْتَأْنَفَةٌ لِإِنْشَاءِ التَّرْجِي، وَمَوْقِعُهَا مَوْقِعُ الْمَفْعُولِ لِأَجْلِهِ، أَي: رَجَاءُ رَجوعِهِمْ، وَالرَّجوعُ هُنَا مُجَازٌ عَنِ الْإِقْلَاعِ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الشُّرْكِ وَالْعِنَادِ، وَالرَّجَاءُ مِنَ اللَّهِ - تَعَالَى - يُسْتَعْمَلُ مُجَازًا فِي الطَّلَبِ، أَي: تَوْسِعَةُ لَهُمْ وَإِمهَالًا؛ لِيَتَدَبَّرُوا وَيَتَعَطَّوْا» (9).

وبعد عرض أبرز القضايا المتعلقة بالوضع، والمُشْتَرَكِ اللَّفْظِيِّ، وَمُسْمِيَاتِهِ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ، يَتَبَيَّنُ أَنَّ هَذِهِ الْمَفَاهِيمَ تُشَكِّلُ أُسَاسًا نَظْرِيًّا ضَرُورِيًّا لِفَهْمِ طَبِيعَةِ الْأَلْفَافِ، وَتَوْضِيحِهَا فِي النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ، وَقَدْ نَاقَشْنَا هَذَا الْفَصْلَ أَوْلًا مَسْأَلَةَ الْوَضْعِ فِي اللُّغَةِ، مَبِينًا تَعَدُّدَ الْأَرَاءِ فِي وَاضِعِ اللُّغَةِ بَيْنَ التَّوْقِيفِ، وَالْإِصْطِلَاحِ، وَالتَّوْقُفِ، ثُمَّ انْتَقَلْنَا إِلَى قِضِيَّةِ الْمُشْتَرَكِ اللَّفْظِيِّ، مُبْرِزًا الْخِلَافَ

(1) هكذا وردت، ولعلها (بمن).

(2) التفسير البسيط، 538 / 14.

(3) ينظر: تفسير السمعاني، 357 / 3.

(4) مفاتيح الغيب، 103 / 22.

(5) ينظر: البحر المحيط في التفسير، 386 / 7.

(6) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 319 / 5.

(7) سورة الأحقاف، الآية 27.

(8) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 132 / 22.

(9) التحرير والتلوين، 55 / 26.

بين المجيزين والمانعين، وموقف المفسرين منه، وأخيرًا تناول المُصطلحات التي أطلقها العلماء على المُشترك في سياق علوم القرآن، كالتكرار، والإعادة، والتّرداد، والتّصريف.

وتتجلى أهمية هذه القضايا في كونها تُمهّد لفهم أعمق للأساليب القرآنية، وتكشف عن دقّة البيان القرآني، وثراء دلالاته، ومن ثمّ فإنّ هذا الفصل يُعدّ مُدخلًا تأصيليًا لا بدّ منه للانطلاق نحو فصول الأطروحة اللاحقة المتعلقة بتوظيف هذه القضايا في التحليل القرآني.

الفصل الأول

تأصيل لفظ العظيم في القرآن الكريم

- المبحث الأول- تعريف العظيم لغة واصطلاحاً.
- المبحث الثاني- إطلاق لفظ العظيم على الذوات في القرآن الكريم.
- المبحث الثالث- إطلاق لفظ العظيم على الثواب في القرآن الكريم.
- المبحث الرابع- إطلاق لفظ العظيم على العقاب في القرآن الكريم.

إنّ دراسة لفظ "العظيم" تُعدّ من مباحث التفسير الموضوعي، وذلك أنّ للتفسير الموضوعي ألواناً منها: دراسة لفظ من ألفاظ القرآن الكريم؛ وذلك بتتبّع مواضع وروده في القرآن، واستنباط دلالاته بعد الإحاطة بتفسير هذا اللفظ، ذكر مصطفى مسلم ألوان التفسير الموضوعي، وعدّ منها: «أن يتتبع الباحث لفظة من كلمات القرآن الكريم، ثم يجمع الآيات التي ترد فيها اللفظة، أو مشتقاتها من مادتها اللغوية، وبعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها يحاول استنباط دلالات الكلمة، من خلال استعمال القرآن الكريم لها»⁽¹⁾.

وذكر الخالدي أنّ التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني هو أن «يختار الباحث لفظاً من ألفاظ القرآن، ورَدَ كثيراً في السّياق القرآني، فيتتبعه في السّور والآيات، ويلحظ اشتقاقته، وتصاريفه المختلفة، وينظر في الآيات التي أوردته مجتمعة، ويستخرج منها الدّلالات واللّطائف والحقائق»⁽²⁾، فلا بدّ إذن من الإحاطة بمعنى لفظ "العظيم" أوّلاً.

ولذا خصّصتُ المبحث الأول من هذا الفصل لهذا الغرض، فذكرتُ في أوّل مطالبه معناه في اللّغة، وأتبعته بذكر معناه في الاصطلاح في المطلب الآخر، ثم تتبعتُ إطلاق لفظ "العظيم" على الدّوات في القرآن الكريم، وذلك في المبحث الثاني منه، فذكرتُ في أوّل المطالب إطلاقه على الدّات الإلهية، وجعلتُ المطلب الآخر لإطلاقه على الدّوات غير الإلهية، وتكلّمتُ في المبحث الثالث عن إطلاق لفظ "العظيم" على النّوَاب في القرآن الكريم، فتناولتُ في المطلب الأول منه إطلاقه على الأجر، وذكرتُ في المطلب الثاني إطلاقه على الفوز، وجعلتُ المطلب الثالث لإطلاقه على الفضل والحظّ، وتكلّمتُ في المبحث الرابع عن إطلاق لفظ "العظيم" على العقاب في القرآن الكريم، حيث جعلتُ المطلب الأول لإطلاقه على العذاب، وتناولتُ في المطلب الآخر منه إطلاقه على البلاء والكرب والخزي.

(1) مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ص 23.

(2) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص 59.

المبحث الأول- تعريف العظیم لغة واصطلاحًا:

يُعدّ التعريف بالمصطلحات من أوليات عملية البحث العلمي؛ إذ كيف يسوغ للباحث أن يَدْخُل في مضمون عمله العلمي، دون أن يُعرّف بمصطلحاته؟ ولذلك دَرَج أهل العلم في القديم والحديث على البدء بتعريف المصطلح محلّ البحث، لغة واصطلاحًا، ومن ثمّ ينطلقون من التّعريف إلى مقاصدهم من البحث، وتعريف المصطلح ليس من نافلة القول؛ بل هو من صُلب العمل العلمي، ومن الأقوال المشهورة في هذا الباب: «الحُكْم على الشّيء فرع عن تصوّره»⁽¹⁾، فمن هذا المنطلق أشرع في بيان معنى "العظیم" في اللّغة، وخصّصتُ المطلب الأول لهذا الغرض، ثم أتبعه ببيان معناه في الاصطلاح، وذلك في المطلب الآخر منه.

المطلب الأول- تعريف العظیم لغة:

تَسْتَعْمَل العرب مادة: "عظم" لمعانٍ عدّة، جمعها أصحاب معاجم اللّغة، فمن هذه المعاني ما ذكره الجوهري بقوله: «عَظُمَ الشّيء عِظْمًا: كَبُرَ، فهو عَظِيمٌ، والعُظْمُ بالضم مثله، وعُظُمَ الشّيء: أَكْثَرَهُ ومعظمه، وقولهم في التعجب: عَظُمَ البطن بطنك، بمعنى عَظُمَ، إنما هو مخفف منقول، وإنما يكون ذلك فيما كان مدحًا أو ذمًّا... وأعظم الأمر وعَظَّمه، أي: فَخَّمه، والتَّعْظِيمُ: التَّجِيلُ، واستَعْظَمه: عدّه عظيمًا، واستعظّم وتَعَظَّم: تكبّر، والاسم العُظْمُ، وتَعَاظَمَهُ أمرٌ كذا، وتقول: أصابنا مطر لا يتعاضمه شيء، أي: لا يعظم عنده شيء، والعظيمة والمُعْظِمة: النازلة الشديدة، والإعْظامةُ والعِظامةُ: كالوسادة تُعْظَمُ بها المرأة عجيزتها، وكذلك العُظمة بالضم والعُظامة بالتشديد، والعِظامة: الكبرياء، وعِظمة الذراع أيضًا مُسْتَعْظِطُها، والعِظْمُ: واحد العِظام»⁽²⁾.

وقال ابن فارس: «العين، والطاء، والميم، أصل واحد صحيح، يدلّ على كِبَر وقوة، فالعِظْمُ: مصدر الشّيء العظيم، تقول: عَظُمَ يعْظُمُ عِظْمًا، وعَظَمْتُهُ أنا، فإذا عَظُمَ في عينيك قلت: أعظمته واستعظمته، ومُعْظَمُ الشّيء: أكثره، وعِظْمَةُ الذراع: مستغلظها، وهي العظيمة: النازلة المُلِمة الشديدة»⁽³⁾.

(1) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لابن نجيم المصري، 1/ 232.

(2) الصّاح تاج اللّغة وصحاح العربية، 5/ 988، (مادة: عظم).

(3) معجم مقاييس اللّغة، 4/ 355، (مادة: عظم).

وقريباً من هذه المعاني ما ذكره صاحب القاموس من معاني مادة "عظم"، فقال: «العِظْمُ، بكسر العَيْنِ: خِلافُ الصَّعْرِ، عِظْمٌ، كصَعْرٍ، عِظْمًا وَعِظَامَةً، فهو عَظِيمٌ وَعُظَامٌ... وَعِظْمُهُ تَعْظِيمًا وَأَعْظَمُهُ: فَخْمُهُ، وَكِبْرُهُ، واستعظمه: رآه عَظِيمًا... والعظُموت، كجبروت: الكِبْرُ، والنخوة، والزَّهْوُ، وأما عظمة الله - تعالى- فلا توصف بهذا... والعِظْمُ: قِصَبُ الحيوان الذي عليه اللَّحْمُ... وَعِظَمَاتُ القوم: ساداتهم»⁽¹⁾.

والعظيم من أسماء الله - تعالى-، ويُستقَّ من هذا الاسم صفة العظمة له - تعالى-، وهي صفة ثابتة له، وليست كصفات المخلوقين، قال في لسان العرب: «العظيم: الذي جاوز قدره، وجَلَّ عن حدود العقول؛ حتى لا تُتصوَّر الإحاطة بكنهه وحقيقته... وعظمة الله - سبحانه- لا تُكَيَّف ولا تُحدَّ ولا تمثَّل بشيء، ويجب على العباد أن يعلموا أنَّه عظيم، كما وصف نفسه وفوق ذلك، بلا كيفية ولا تحديد»⁽²⁾، وصفة العظمة لله من صفات الكمال، وقد أمرنا نبيُّنا - ﷺ - بتعظيم الله - تعالى- في صلاتنا فقال: «أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظَّمُوا فِيهِ الرَّبَّ - عَزَّ وَجَلَّ- وَأَمَّا السُّجُودُ فَاَجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ؛ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»⁽³⁾، ومعنى عَظَّمُوا فِيهِ الرَّبَّ، «أي: اجعلوه في أنفسكم ذا عظمة»⁽⁴⁾، ولأنَّ العظمة من صفات الله - تعالى- نُهينا عن التَّعْظُم، فقال - ﷺ -: «من تعَظَّم في نفسه، أو اختال في مشيئته، لقي الله وهو عليه غُضبان»⁽⁵⁾، والتعَظُّم في النفس بمعنى: الكِبْرُ والنخوة والزَّهْوُ⁽⁶⁾، «وإذا وُصِفَ العبد بالعظمة فهو ذمٌّ؛ لأنَّ العظمة في الحقيقة لله - عزَّ وجلَّ- وأمَّا عظمة العبد فهو كِبْرُه المذموم وتجبُّرُه»⁽⁷⁾، والعِظْمُ إذا وُصِفَ به الجسم فهو يدلُّ على كِبَرِ الطُّولِ، والعِرْضِ، والعمق⁽⁸⁾.

(1) القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ص 1138-1139، (مادة: عظم).

(2) لسان العرب، 409/12، (مادة: عظم).

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-، كتاب: الصلاة، باب: النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، برقم: (479)، 348/1.

(4) تهذيب اللغة، 2/182، (مادة: عظم).

(5) أخرجه أحمد في مسنده، من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- مسند عبد الله بن عمر، برقم: (5995)، 335/5، وصحَّ إسناده أحمد شاكر، في تحقيقه للمسند.

(6) ينظر: لسان العرب، 409/12، (مادة: عظم).

(7) تهذيب اللغة، 2/182، (مادة: عظم).

(8) ينظر: المصدر نفسه.

ومن معاني العَظْمَة الحُرْمَة التي يُعْظَم لأجلها⁽¹⁾، ومن معاني العظيمة: المُلمّة⁽²⁾، ويطلق العَظِيم على السيّد الشريف⁽³⁾، والأمر العظيم: هو الأمر المهول، ومنه قولهم: ما يَعْظِمُنِي أَنْ أَفْعَلَ كَذَا، أي: ما يهولني⁽⁴⁾.

وقد استعمل العرب لفظ "العظيم" للدلالة على عدّة معانٍ، منها: التكثير، كما في قول عمرو ابن قُمَيْئَة⁽⁵⁾:

عَظِيمٌ رَمَادِ الْقَدْرِ لَا مُتَعَبَسٌ وَلَا مُؤَيَسٌ مِنْهَا إِذَا هُوَ أَوْقَدًا⁽⁶⁾

واستعملوا "العظيم" للدلالة على الكِبَر، ونجد ذلك في قول طرفة⁽⁷⁾:

قَدْ يَبْعَثُ الْأَمْرَ الْعَظِيمَ صَغِيرُهُ حَتَّى تَظَلَّ لَهُ الدَّمَاءُ تَصَبَّبًا⁽⁸⁾

واستعملوا "العظيمة" بمعنى المُلمّة؛ وذلك كما في قول قيس بن الخطيم⁽⁹⁾:

وَإِذَا تَكُونُ عَظِيمَةً فِي عَامِرٍ فَهُوَ الْمُدَافِعُ عَنْهُمْ وَالْكَافِي⁽¹⁰⁾

ومثله قول ذي الرُّمّة⁽¹¹⁾:

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَأَيُّ لَأِ إِخَالِكَ نَاجِيًا⁽¹²⁾

كما استعملوه للدلالة على السعة، والضخامة، وذلك كقول جرير⁽¹⁾:

(1) ينظر: تهذيب اللغة، 2/ 182، (مادة: عظم).

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه.

(5) هو: عمرو بن قميئة: «من قيس بن ثعلبة، من بنى سعد بن مالك، رهط طرفة بن العبد، وهو قديم جاهليّ، كان مع حجر، أبي امرئ القيس، فلما خرج امرؤ القيس إلى بلاد الروم صحبه». الشعر والشعراء، لابن قتيبة، 1/ 364.

(6) ديوان عمرو بن قميئة، ص 30، وهو من البحر الطويل.

(7) هو: طرفة بن العبد بن سفيان، وهو أجودهم طويلاً، وكان في حسب من قومه، جريئاً على هجائهم وهجاء غيرهم، قُتِلَ وعمره عشرون عاماً. ينظر: الشعر والشعراء، 1/ 182.

(8) ديوان طرفة بن العبد، ص 12، وهو من البحر الوافر.

(9) هو: قيس بن الخطيم واسمه ثابت بن عيدي بن عمرو، شاعر، مجيد، فحل، ومن الناس من يفضله على حسان شعراً. ينظر: معجم الشعراء، للمرزباني، ص 322.

(10) ديوان قيس بن الخطيم، ص 193، وهو من البحر الكامل.

(11) هو: غيلان بن عقبة بن بهيش، ويكنى أبا الحارث، وكان ذو الرُّمّة أحد عشاق العرب المشهورين بذلك، وصاحبته مية، ينظر: الشعر والشعراء، 1/ 515.

(12) ديوان ذي الرُّمّة، 3/ 1924، وهو من البحر الطويل.

وَخَالِي مِنْ خُرَيْمَةَ يَا ابْنَ تَيْمٍ عَظِيمُ الْبَيْتِ مُرْتَفَعُ السَّوَارِي (2)

واستعملوه بمعنى الشريف، وذلك في قول جرير:

سَمَا أَوْلَادُ بَرَّةَ بِنْتِ مُرٍّ إِلَى الْعُلَيَاءِ فِي الْحَسَبِ الْعَظِيمِ (3)

واستعملوه للدلالة على الأمر المهول، كما قال أبو الأسود (4):

لَا تَنَّةَ عَن خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمِ (5)

فتبين من هذه المعاني أنّ مادة "عظم" لا تُستعمل في أمر مألوف، وإنما تُستعمل في أمر خرج عن المألوف، إما في كبر جسم، أو عمق، أو طول، وإما في شيء مهول، وإما في نازلة شديدة، وإما في عظم شأن، وإما في شرف وسؤدد، وإما في قوة، وتستعمل مادة "عظم" في المدح غالباً، وقد تستعمل في الذمّ كما مرّ فيمن تعظّم في نفسه، ولا تستعمل مادة "عظم" في أمر حقير، أو شيء قليل، وإنما استعمالها في تقخيم أمر وتهويله، والإشادة به؛ ولذلك مرّ بنا كلام ابن فارس أنّ العين، والطاء، والميم أصل واحد يدلّ على كبر الشيء وقوته.

المطلب الآخر- تعريف العظیم اصطلاحاً:

لمّا تعدّدت المعاني اللّغوية التي يحتملها لفظ "العظيم"، تعدّدت تبعاً لذلك معانيه في الاصطلاح، فقد ذكر أهل العلم أنّ للعظيم عدّة معانٍ، منها: ما ذكره الطبري عند تفسيره لقول الله - جلّ وعلا-: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (6)، أنّ العظيم في الآية يحتمل عدّة معانٍ، منها: العظيم بمعنى ذي العظمة، ومعناه كلّ شيءٍ دونه، فلا أعظم منه، ومنها: أنّ العظيم الذي كمل في عظّمته، ومنها: أنّ العظيم بمعنى المُعظّم أي: الذي يُعظّمه خلقه، ويهابونه، ويتّقونه، ومنها: أنّ له عظمة هي له صفة.

(1) هو: جرير بن عطية بن الخطفي واسم الخطفي خديفة، وهو في الطبقة الأولى من طبقات الشعراء الإسلاميين. ينظر: طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي، 297 / 2.

(2) ديوان جرير، 252 / 1، وهو من البحر الوافر.

(3) المصدر نفسه، 220 / 1، وهو من البحر الوافر.

(4) هو: ظالم بن عمرو بن جندل بن سفيان، أبو الأسود الدؤلي، من كنانة، يُعدّ في الشعراء، والتابعين، والمحدثين، توفي عام: 99هـ في طاعون الجارف. ينظر: الشعر والشعراء، 719 / 2.

(5) ديوان أبي الأسود الدؤلي، ص 404، وهو من البحر الكامل.

(6) سورة البقرة، من الآية 255.

ومنها: أنّ العظيم وَصَفَ منه لنفسه بِالْعِظْمِ، فَكَلَّ ما دونه من خلقه بمعنى الصَّعْر؛ لصغرهم عن عظمتهم (1)، وذكر عند تفسير قول الله - تعالى -: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (2)، أنّ معنى العظيم الذي يصغر كلّ شيء في عظمتهم (3).

ومن المعاني التي ذكرها الطبري للفظ العظيم أنه يأتي بمعنى عِظْم القَدْر، وعِظْم الخَطَر، وذلك عند تفسيره لقول الله - تبارك وتعالى -: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (4)، قال: «عُنِيَ بالعظيم في هذا الموضع: العظيم في قَدْرِهِ، وعِظْم خَطَرِهِ، لا عِظْمَهُ في الكِبَرِ والسَّعَةِ» (5)، وعند تفسير قول الله - جلّ وعلا -: ﴿وَفَدَيْتُهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (6)، ذكر أنّ معنى العظيم في الآية، المُتَقَبَّلُ (7)، وقيل: سُمِّيَ عَظِيمًا؛ لِأَنَّهُ ذُبِحَ بِالْحَقِّ، وَهُوَ الذَّبْحُ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ- (8).

ومن معانيه أيضًا الوافر، ذكر ذلك الواحدي عند تفسير قول الله - تعالى -: ﴿لَأُدْخِلَنَّكَ عَظِيمًا﴾ (9): «أي: نصيب وافر من الدنيا» (10)، ومن المعاني التي ذكرها عبد القاهر الجرجاني (11) للفظ العظيم أنه الممتنع بجلاله عن أن يحاط به (12)، ويطلق العظيم اصطلاحًا على الضخم، قال السمعاني عند تفسير قول الله - جلّ وعلا -: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (13): «أي: السرير الضخم» (14)، ففسّر العرش بالسرير، وفسّر العظيم بالضخم.

(1) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 4 / 544.

(2) سورة الواقعة، الآية 74.

(3) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 23 / 247.

(4) سورة النمل، من الآية 23.

(5) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 18 / 39.

(6) سورة الصافات، الآية 107.

(7) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 19 / 605.

(8) المصدر نفسه.

(9) سورة القصص، من الآية 79.

(10) التفسير البسيط، 17 / 464.

(11) هو: أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، من أكابر النحاة علمًا، وفضلًا، فقيه شافعي، صنّف مصنفات نفع الله بها، منها: كتاب المغني في شرح الإيضاح، وكتاب إعجاز القرآن، وكتاب أسرار البلاغة، توفي عام: 471هـ. ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص 264، وطبقات الشافعية الكبرى، 5 / 149.

(12) درج الدرر في تفسير الآي والسور، عبد القاهر الجرجاني، 1 / 429.

(13) سورة المؤمنون، الآية 86.

(14) تفسير السمعاني، 3 / 487.

ومن معاني العظیم اصطلاحًا: الرئيس المقدم، قال الزمخشري في قول الله - تعالى:-
﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِثِيِّينَ عَظِيمٍ﴾⁽¹⁾: «أرادوا بعظم الرجل: رياسته
وتقدمه في الدنيا، وعزب عن عقولهم أن العظیم من كان عند الله عظيمًا»⁽²⁾، ويرى البيضاوي أن
من معاني العظیم، المستحقر بالإضافة إليه كل ما سواه⁽³⁾.

ومن معانيه الاصطلاحية: الشريف، قال القرطبي في قول الله - سبحانه:- ﴿وَفَدَيْتَهُ بِذَبْحِ
عَظِيمٍ﴾⁽⁴⁾: «أهل التفسير على أنه هاهنا للشريف، أو المتقبل»⁽⁵⁾، ومن معانيه أيضًا، ما ذكره
السمين الحلبي بقوله: «وأصل العظم، الكبر والزيادة في الأجزاء المحسوسة، هذا أصله، ثم
يُتَّجَوَّزُ به في المعاني، نحو قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁶⁾، قال بعضهم: أصله من عظم الرجل:
كبر عظمه وكثر، ثم استعير لكل كثرة، محسوسًا كان ذلك الشيء أو معقولًا، قال: والعظیم إذا
استعمل في الأعيان فأصله أن يقال في الأجزاء المتصلة، والكثير في الأجزاء المنفصلة، ثم قد
يقال في المنفصل: عظیم، نحو: جيش عظیم، ومال عظیم، أي: كثير»⁽⁷⁾.

ويُستعمل العظیم اصطلاحًا بمعنى الهائل، قال ابن كثير في قول الله - تبارك وتعالى:-
﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾⁽⁸⁾: «يعني: الخبر الهائل المفظع الباهر»⁽⁹⁾، ويستعمل أيضًا بمعنى الكبير،
كما في قول الله - سبحانه:- ﴿إِنَّ زُلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁰⁾، قال ابن كثير: «أي: أمر كبير،
وخطب جليل، وطارق مفظع، وحادث هائل، وكائن عجيب»⁽¹¹⁾.

ويطلق العظیم اصطلاحًا على الكثير الزائد في الطول، والعمق، والعرض، قال صاحب
اللباب في علوم الكتاب: «الأجر العظیم: الكثير الزائد في الطول، وفي العرض، وفي العمق،
حتى لو كان زائدًا في الطول يقال له: طويل، ولو كان زائدًا في العرض يقال له: عريض، وكذلك

(1) سورة الزخرف، الآية 31.
(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 4/ 248.
(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، 1/ 154.
(4) سورة الصافات، الآية 107.
(5) الجامع لأحكام القرآن، 15/ 107.
(6) سورة آل عمران، الآية 176.
(7) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي، 3/ 95، (مادة: عظم).
(8) سورة النبأ، الآية 2.
(9) تفسير القرآن العظیم، لابن كثير، 8/ 302.
(10) سورة الحج، من الآية 1.
(11) تفسير القرآن العظیم، 5/ 393.

العميق، فإذا وُجدت منه الأمور الثلاثة قيل: «عظيم»⁽¹⁾، وفَسَّرَ العظيم في موطن آخر بأنه القريب من الكُلِّ؛ لأنَّ الصغير إذا قُرِبَ من شيء بُعِدَ عن غيره⁽²⁾.

ومن معاني العظيم اصطلاحًا، الآخذ في الجهات كُلِّها⁽³⁾، ومن معانيه أيضًا: «الذي لا يُحصَرُ بِحدٍّ ولا يدخل تحت عدٍّ»⁽⁴⁾، ويُطلق أيضًا على ما يَسْتَعْرِقُ، قال البقاعي: «العظيم هو ما يَسْتَعْرِقُ، كما يستغرق الجسم العظيم جميع الأقطار»⁽⁵⁾، ويُطلق العظيم على المحيط بالأجسام، قال البقاعي: في قول الله - تعالى -: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾⁽⁶⁾: «أي: المحيط بجميع الأجسام، الحاوي لسائر الأجرام، الذي ثبت بأية الكرسي وغيرها أنَّ ربَّه أعظم منه؛ لأنَّ عظمتَه على الإطلاق، فلا شيء إلا هو في قبضته، وداخل في دائرة مملكته»⁽⁷⁾، ويطلق العظيم على الثابت غير المنفك⁽⁸⁾.

ومن المعاني التي يحتملها لفظ "العظيم" ما ذكره الشوكاني عند تفسير قول الله - تبارك اسمه -: ﴿ذَلِكَ الْخَزِيُّ الْعَظِيمُ﴾⁽⁹⁾، قال: «أي: الخزي البالغ إلى الغاية التي لا يبلغ إليها غيره»⁽¹⁰⁾، ومن معاني العظيم في الاصطلاح، الكبير مكانه وبرهانه⁽¹¹⁾، ومن معانيه أيضًا القوي في نوعه⁽¹²⁾.

ويأتي العظيم بمعنى الأكرم، كما في قول الله - سبحانه -: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁽¹³⁾، قال ابن عاشور: «والخلق العظيم: هو الخلق الأكرم في نوع الأخلاق، وهو البالغ أشدَّ الكمال المحمود في طبع الإنسان»⁽¹⁴⁾.

(1) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي، 15 / 538.

(2) المصدر نفسه، 18 / 428.

(3) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 1 / 98.

(4) المصدر نفسه، 2 / 90.

(5) المصدر نفسه، 4 / 37.

(6) سورة التوبة، من الآية 129.

(7) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 9 / 61.

(8) ينظر: المصدر نفسه، 11 / 246.

(9) سورة التوبة، من الآية 63.

(10) فتح القدير، للشوكاني، 2 / 429.

(11) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، للفتوح، 12 / 274.

(12) ينظر: التحرير والتنوير، 27 / 306.

(13) سورة الفلم، الآية 4.

(14) التحرير والتنوير، 29 / 64.

ومن المعاني الاصطلاحية التي وردت في القرآن الكريم للفظ "العظيم" ما ذكره صاحب كتاب "الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز" من أنّ له عشرة معانٍ، وهي: الجليل، والشديد، والمتقبل، والهائل، والعاصم، والثقيل، والرئيس، والحسن، والكبير الحجم، والشريف⁽¹⁾، ثم شرع يستدل لهذه المعاني من القرآن الكريم، فقال:

1- العظيم بمعنى الجليل في قدره، ومنه قوله - تعالى-: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾⁽²⁾، وقوله

أيضاً: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَكَ سَبْعًا مِّنَ الْأَمْثَانِ وَالْفُرْعَانَ الْعَظِيمِ﴾⁽³⁾، فالعظيم في الآيتين عنده

بمعنى الجليل.

2- والعظيم بمعنى الشديد، كما في قول الله - سبحانه-: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁴⁾، فالعذاب

العظيم هو الشديد.

3- والعظيم بمعنى المتقبل، ومنه ما جاء في قول الله - تبارك وتعالى-: ﴿وَفَدَيْتَهُ بِذَبْحِ

عَظِيمٍ﴾⁽⁵⁾، أي ذبح متقبل.

4- والعظيم بمعنى الهائل، ورد في قول الله - عز وجل-: ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾⁽⁶⁾، والمراد باليوم هو

يوم القيامة، وهو يوم شديد الهول.

5- والعظيم بمعنى العاصم، ومنه قول الله - جل وعلا-: ﴿إِنَّ كَيْدُكَ عَظِيمٌ﴾⁽⁷⁾، فسره

بالعاصم، الذي يخلص إلى البريء والسقيم.

6- والعظيم بمعنى الثقيل، وجاء في قول الله - تعالى-: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁸⁾، فهو

بهتان، أي: كذب وافتراء ثقيل.

7- والعظيم بمعنى الرئيس الكبير، وقد ورد في قوله - سبحانه-: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا

الْفُرْعَانُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾⁽⁹⁾، فهم يعنون بالعظيم الرئيس الكبير.

(1) ينظر: الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، للدامغاني، ص 336.

(2) سورة البقرة، من الآية 255.

(3) سورة الحجر، الآية 87.

(4) سورة البقرة، من الآية 7.

(5) سورة الصافات، الآية 107.

(6) سورة المطففين، الآية 10.

(7) سورة يوسف، من الآية 28.

(8) سورة النور، من الآية 16.

(9) سورة الزخرف، الآية 31.

8- والعظيم بمعنى الحسن المزين، وقد جاء مثله في قول الله - تبارك اسمه-: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ

عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾، أي: سريراً حسناً مزيئاً، ومنه أيضاً ما جاء في قول الله - تعالى-: ﴿وَإِنَّكَ

لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁽²⁾، أي خُلُق حسن.

9- والعظيم بمعنى الطويل العريض العميق، وقد جاء في قول الله - عز وجل-: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ

إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾⁽³⁾، فسّر العظيم بالكبير في حجمه.

10- والعظيم بمعنى الشريف، ومنه قول الله - تبارك وتعالى-: ﴿قُلْ هُوَ نَبَوًّا عَظِيمٌ﴾⁽⁴⁾،

فالمراد بالنبأ العظيم أي: الشريف الكريم، ومنه أيضاً قول الله - سبحانه-: ﴿عَنِ النَّبِإِ

الْعَظِيمِ﴾⁽⁵⁾، فالنبأ العظيم هو الخبر الشريف⁽⁶⁾.

وبتأمل العلاقة بين هذه التعريفات نجد أنّ بينها تقارباً، وترابطاً، فكُلّها تدور حول التنويه بالشيء الموصوف بالعِظَم، والتفخيم من شأنه، فالعظيم هو الكبير، والضخم، والجليل، والثقل، والحسن المزين، والسيد، والشريف، والهائل، والمتقبل، والشديد، والثابت غير المنفك، والذي يصغر كل شيء بالنسبة إليه، والمستحقر ما سواه بالإضافة إليه، وغير ذلك من المعاني التي ذكرها أهل التفسير، وهذا يدلّ على تصريف القول في هذا اللفظ، وأنّ وروده في غير موضع ليس من باب التكرار القبيح، الخالي عن فائدة؛ بل تصريفه مما يدلّ على البلاغة العالية للقرآن الكريم، فكُلّما تعددت معاني اللفظة، تعدّدت دلالاتها وأساليبها، وهو وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

(1) سورة النمل، من الآية 23.

(2) سورة القلم، الآية 4.

(3) سورة النمل، الآية 26.

(4) سورة ص، الآية 67.

(5) سورة النبأ، الآية 2.

(6) ينظر: الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، ص 336-337.

المبحث الثاني- إطلاق لفظ "العظيم" على الذوات في القرآن الكريم:

بتتبع لفظ "العظيم" في القرآن الكريم يظهر لنا أنه جاء في عدّة سياقات، واستعمل بمعانٍ عدّة، وأطلق على الذوات، وعلى غير الذوات، وقد خصصتُ هذا المبحث لإطلاق لفظ "العظيم" على الذوات، وأعظم الذوات هي الذات الإلهية، ولذلك جعلتُ المطلب الأول عن إطلاق لفظ "العظيم" على الذات الإلهية، وتكلمتُ في المطلب الآخر عن إطلاقه على الذوات غير الذات الإلهية.

المطلب الأول- إطلاق لفظ "العظيم" على الذات الإلهية:

عظمة الله - تعالى- هي عظمة مطلقة، فانه - سبحانه- هو العظيم المطلق، وأما غيره فعظمته ناقصة، قال الغزالي: «وكلّ عظيم يُفرض غير الله - عز وجلّ- فهو ناقص، وليس بعظيم مطلق؛ لأنه إنما يظهر بالإضافة إلى شيء دون شيء، سوى عظمة الله - تعالى- فإنه العظيم المطلق لا بطريق الإضافة»⁽¹⁾، وقال السعدي⁽²⁾: «ويُعرف العارفون أنّ عظمة كلّ شيء، وإن جأت عن الصّفة، فإنها مُضمحلة في جانب عظمة العلي العظيم»⁽³⁾، وقد أطلق الله - تعالى- على نفسه وصف العظمة، وسمّى نفسه "العظيم" في ستة مواضع من القرآن الكريم، وقد أفردتُ هذا المطلب لتتبع إطلاقات لفظ "العظيم" على الذات الإلهية في القرآن الكريم، وذلك بذكر الآية التي ورد فيها لفظ "العظيم"، ثم أتبعها بذكر معناه الذي ذكره أهل التفسير في الآية.

الموضع الأول- قال الله - تبارك وتعالى- في سورة البقرة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾⁽⁴⁾، قال الطبري عند تفسير هذه الآية:

«﴿الْعَظِيمُ﴾ ذو العظمة، الذي كل شيء دونه، فلا شيء أعظم منه»⁽⁵⁾، ونقل في معناه قولاً آخر،

وهو أنّ «﴿الْعَظِيمُ﴾ في هذا الموضع: المُعظَّم، صُرف المُفَعَّل إلى فعيل، كما قيل للخمر المُعْتَقَّة:

(1) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، للغزالي، ص 105.

(2) هو: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، مفسر، فقيه حنبلي، مشارك في عدّة فنون، له مصنّفات نافعة، منها: تيسير الكريم المنان، في تفسير القرآن، وتيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن، والقواعد الحسان في تفسير القرآن، توفي عام: 1376هـ. ينظر: الأعلام للزركلي، 3/ 340.

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص 954.

(4) الآية 255.

(5) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 4/ 544.

خمر عتيق»⁽¹⁾، وذكر الواحدي أنّ ﴿الْعَظِيمُ﴾ في الآية بمعنى «عظيم الشأن، لا يعجزه شيء، ولا نهاية لمقدوره ومعلومه»⁽²⁾، وذكر السمعاني أنّ ﴿الْعَظِيمُ﴾ هنا بمعنى الكبير⁽³⁾، ويرى النسفي⁽⁴⁾ أنّه بمعنى «الموصوفُ بكلّ الصفات التي تليق به»⁽⁵⁾، وحكى ابن عطية أنّ ﴿الْعَظِيمُ﴾ في الآية «صفة بمعنى عِظَمِ القدر والخطر، لا على معنى عِظَمِ الأجرام»⁽⁶⁾، ويرى ابن الجوزي⁽⁷⁾ أنّ ﴿الْعَظِيمُ﴾ معناه «ذو العظمة والجلال»⁽⁸⁾، ثم ذكر أنّ معنى العِظَمِ يختلف إذا أُضيف إلى الله - تعالى - فقال: «والعِظَمُ في حقه - تعالى - مُنصرف إلى عِظَمِ الشأن، وجماله القدر، دون العِظَمِ الذي هو من نعوت الأجسام»⁽⁹⁾، ولأبي حيان أنّ ﴿الْعَظِيمُ﴾ هو «ذو العظمة الذي كل شيء دونه، فلا شيء أعظم منه»⁽¹⁰⁾، ويقرّر السمين الحلبي أنّ العِظَمَ الموصوف به الله - سبحانه - ليس كالموصوف به من سواه، فقال في ذلك: «العِظَمُ الموصوف به الباري - تعالى - عبارة عن كبريائه، وجماله، وجبروته، وقدرته، وأنه متّصف بصفات الكمال»⁽¹¹⁾، وعند السعدي أنّ ﴿الْعَظِيمُ﴾ هو «الذي تتضائل عند عظمته جبروت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة»⁽¹²⁾، وكلّ هذه المعاني ثابتة لله - تعالى - فهو ذو العظمة المطلقة التي لا تضاهيها عظمة مخلوق.

الموضع الثاني- قال الله - تبارك وتعالى - في سورة الشورى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا

فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾⁽¹³⁾، سمّى الله - عز وجلّ - نفسه بالعظيم، ووصف نفسه بالعظمة،

(1) المصدر نفسه.

(2) التفسير البسيط، 4 / 358.

(3) ينظر: تفسير السمعاني، 1 / 259.

(4) هو: عمر بن محمد بن أحمد، نجم الدين النسفي، إمام، زاهد، مفسّر، فقيه حنفي، له مصنّفات في الفقه، والحديث، والتفسير، منها: التيسير في التفسير، وطلبة الطلبة، وتاريخ بخارى، توفي عام: 537هـ. ينظر: الجواهر المضبية في طبقات الحنفية، أبو الوفاء الحنفي، 2 / 660، والأعلام للزركلي، 5 / 60.

(5) التيسير في التفسير، للنسفي، 3 / 332.

(6) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 1 / 342.

(7) هو: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، ابن الجوزي، كان فاضلاً، بارعاً، واعظاً، جمع فنوناً شتى من العلم، وبرع في الوعظ، حتى كان الخلفاء، والوزراء، والعلماء، والأعيان يشهدون مجالس وعظه، له مصنّفات، منها: زاد المسير في علم التفسير، والمنتظم في تاريخ الأمم، وأخبار الأذكىاء، توفي عام: 597هـ. ينظر: ذيل طبقات الحنابلة، 4 / 26، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، 1 / 47.

(8) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، 1 / 230.

(9) المصدر نفسه.

(10) البحر المحيط في التفسير، 2 / 614.

(11) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، 3 / 95، (مادة: عظم).

(12) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 110.

(13) الآية 4.

ويقال في معناه هنا ما قيل في الموضع السابق الذي جاء في سورة البقرة، والمتأمل في سياق لفظ "العظيم" في هذا الموضع، والموضع السابق يظهر له التناسب بين الموضعين، فكلاهما جاء بعد ذكر الرّسل -عليهم السلام-، فجاء في سياق الموضع الأول قوله - تعالى-: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَا فَضْلَنَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾⁽¹⁾، وفي سياق الموضع الآخر ورد قوله - تعالى- قبله: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁽²⁾، ويختلف الموضعان في أنّ الأول فيه ذكر تفضيل بعض الرسل على بعض، وفي الآخر إثبات الوحي للرسل قبل محمد □، دون ذكر التفضيل، وهذا من تصريف القول في القرآن الكريم.

الموضع الثالث، والرابع، والخامس- قال الله - تعالى- في موضعين من سورة الواقعة، وموضع في سورة الحاقة: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾⁽³⁾، قال الطبري عن معنى ﴿الْعَظِيمِ﴾ في الآية: «الذي كلّ شيء في عظمته صغير»⁽⁴⁾، والعظيم في الآية نعت للربّ، ويحتمل أن يكون للاسم، وقال ابن عطية: «﴿الْعَظِيمِ﴾ صفة للربّ، وقد يحتمل أن يكون الاسم هنا واحداً مقصوداً، ويكون ﴿الْعَظِيمِ﴾ صفة له، فكأنه أمره أن يُسَبِّحَه باسمه الأعظم، وإن كان لم يَنْصَحْ عليه»⁽⁵⁾، وذكر الرازي أنّ الاسم مُقَحَّم، وفي ذكره زيادة تعظيم للربّ⁽⁶⁾، ونقل الشوكاني أنّ الاسم بمعنى الذات⁽⁷⁾، ويرى ابن عاشور أنّ «﴿الْعَظِيمِ﴾ صالح لأن يُجعل وصفاً لربك، وهو عظيم بمعنى ثبوت جميع الكمال له، وهذا مجاز شائع ملحق بالحقيقة، وصالح لأن يكون وصفاً لاسم، والاسم عظيم عظمة مجازية، ليُمنه ولعظمة المسمى به»⁽⁸⁾.

وتعظيم الاسم هو تعظيم للذات، وهذه الآيات الثلاث ليس بينها تكرار كما يُتوهم، وإنما هو تصريف للآيات، ففي الآية الأولى في سورة الواقعة ذكر الله - سبحانه- جزاء المكذبين، ثم ردّ على تكذيبهم ببيان النعم التي أنعم بها عليهم، ثم ختم النعم بالأمر بتسبيحه - سبحانه- وهو تنزيهه عما كذب به المكذبون، وفي الآية الثانية من سورة الواقعة ذكر الله جزاء الناس يوم

(1) سورة البقرة، من الآية 253.

(2) سورة الشورى، الآية 3.

(3) سورة الواقعة، الآية 74، والآية 96، وسورة الحاقة، الآية 52.

(4) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 247 / 23.

(5) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 255 / 5.

(6) التفسير الكبير، 423 / 29.

(7) ينظر: فتح القدير، للشوكاني، 195 / 5.

(8) التحرير والتنوير، 329 / 27.

القيامة، وختم بجزاء المكذبين، ثم أمر بتنزيهه عما كذب به المكذّبون، وفي سورة الحاقة ذكر - تعالى- أنّ القرآن نزل من عنده، وأنّ النبي -ﷺ- صادق فيما جاء به عن ربّه، ثم ختم بأنه يعلم أنّ من الناس من سيكذبون بهذا القرآن، فأمر بتنزيهه -عز وجلّ- عما كذب به المكذبون.

الموضع السادس- قال الله - تبارك وتعالى- في سورة الحاقة: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ

الْعَظِيمِ﴾⁽¹⁾، قال البيضاوي عند هذا الموضع من تفسيره: «ذَكَرَ الْعَظِيمَ لِلإِشْعَارِ بِأَنَّهُ هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِظْمَةِ»⁽²⁾، وقال الألوسي⁽³⁾ عند هذا الموضع أيضًا: «ذَكَرَ الْعَظِيمَ لِلإِشْعَارِ إِلَى وَجْهِ عِظْمِ عَذَابِهِ، وَقِيلَ: لِلإِشْعَارِ بِأَنَّهُ -عز وجلّ- الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِظْمَةِ فَحَسَبَ، فَمِنْ نَسَبِهَا إِلَى نَفْسِهِ اسْتَحَقَّ أَعْظَمَ الْعُقُوبَاتِ»⁽⁴⁾، و﴿الْعَظِيمِ﴾ في هذا السياق بمعنى الكبير، والذي يصغر كل شيء إذا أضيف إليه، والمُعْظَم.

المطلب الآخر- إطلاق لفظ العظيم على الذوات غير الذات الإلهية:

وصف الله - تعالى- بعض الذوات بالعظمة، وإن كانت عظمتها مقيدة بالنسبة لغيرها، وليست كعظمة الله - سبحانه- وقد تتبعتُ في المطلب السابق إطلاق لفظ "العظيم" على الذوات الإلهية.

وفي هذا المطلب سأذكر الذوات التي وصفها الله -عز وجلّ- بالعظم في كتابه الكريم، وأسلك فيها المسلك السابق، فأذكر الآيات، ثم أنقل أقوال المفسرين في معنى "العظيم" فيها ما

(1) الآية 33.

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 5/ 242.

(3) هو: محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، تقلّد الإفتاء، ثم عُزل، ففترغ للعلم، صنّف العديد من المصنّفات، منها: روح المعاني، في التفسير، والخريدة الغيبية، كشف الطرة عن الغرة، توفي عام: 1270 هـ. ينظر: الأعلام للزركلي، 7/ 176.

(4) تفسير الألوسي، 15/ 57.

وجدتُ لهم قولاً، وإلا اجتهدت في بيان معناه بما مرّ في المعاني الاصطلاحية لهذا اللفظ، وذلك في الفرعين الآتيين:

الفرع الأول- إطلاق لفظ العظیم على العرش:

وصف الله -عزّ وجلّ- عرشه بالعظیم في ثلاثة مواضع، ووصف عرش ملكة سبأ بالعظیم في موضع واحد، وبيانها كالاتي:

- قال الله - سبحانه- في سورة التوبة واصفاً عرشه بالعظیم: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا

إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾⁽¹⁾، قال الطبري في معناه إنه: «مالك

العرش العظیم، الذي كلّ عرش وإن عظم فدونه»⁽²⁾، وذكر الماوردي أنّ وصف

العرش بالعظیم «يحتمل وجهين، أحدهما: لِسَعْتِهِ، الثاني: لجلالته»⁽³⁾، ومن معانيه إن

جُعِلَ نَعْتًا للعرش: الضّم⁽⁴⁾، وقال الرّازي: «إن جعلناه صفة للعرش، كان المراد من

كونه عظيمًا كِبَرُ جُرْمِهِ، وعِظَمُ حِجْمِهِ، واتّساع جوانبيه، على ما هو مذكور في

الأخبار»⁽⁵⁾، ومن معانيه في مثل هذا السياق: «المحيط بجميع الأجسام، الحاوي لسائر

الأجرام»⁽⁶⁾، وهذه المعاني التي ذكرها أهل العلم متفقة في تعظيم عرش الله - تعالى-

فهو عرش لا كسائر العروش؛ بل كما وصفه الله بأنه عرش عظيم.

- جاء في وصف العرش بالعظیم أيضًا في قول الله - سبحانه- في سورة المؤمنون: ﴿قُلْ

مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾⁽⁷⁾، فمعاني العرش هنا هي نفسها المعاني

التي في الآية السابقة، فهو عرش كبير، وضخم، وواسع، ومحيط بالأجسام.

- قال الله - تعالى- في سورة النمل عن الهدد أنه قال لسليمان -عليه السلام- في وصف

عرش ملكة سبأ: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ

عَظِيمٌ﴾⁽⁸⁾، فوصف الهدد عرش المرأة بالعظیم، وهو عِظَمُ بالنسبة لعروش بني جنسها

(1) الآية 129.

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 44 / 18.

(3) النكت والعيون، 419 / 2.

(4) ينظر: تفسير السمعي، 487 / 3.

(5) التفسير الكبير، 179 / 16.

(6) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 61 / 9.

(7) الآية 86.

(8) الآية 23.

من البشر، قال الطبري مبيِّناً معناه هنا: «يقول: ولها كرسي عظيم، وعُني بالعظيم في هذا الموضع: العظيم في قدره، وعِظْم خطره، لا عِظْمه في الكِبَر والسعة»⁽¹⁾، ومن معاني ﴿عَظِيمٌ﴾ هنا أنه الحسن⁽²⁾، ومن المعاني التي ذكرها أهل العلم لهذا الموضع أنه بمعنى الضخم⁽³⁾.

- قال -تعالى- في سورة النمل واصفاً عرشه بالعِظْم: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾⁽⁴⁾، وقيل: إنَّ القائل هو الهدهد، ووصف عرش الله - سبحانه- بالعِظْم إنما هو بالنسبة لسائر المخلوقات، وتقدّم معنى العظيم في وصف عرش الله - تعالى-.

بقي أن يقال: إنَّ وصف عرش الله - تعالى- بالعِظْم في ثلاثة مواضع ليس من التكرار في شيء؛ بل هو تصريف للقول، فإذا تأملنا السياق الوارد فيه تبين لنا الفرق، وذلك أنَّ الموضع الأول في سورة التوبة جاء بعد ذكر تَوَلَّى الكفار عن النَّبِيِّ - ﷺ - فقال - سبحانه-: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾⁽⁵⁾، فجاء وصف العرش بالعِظْم بعد ذكر توليهم، والموضع الثاني في سورة المؤمنون جاء في ردِّ تكذيبهم وإلزامهم الحجة، فقال - تبارك اسمه- في الآيات التي قبله: ﴿قَالُوا أَعِدْنَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعِنَّا لَمَبْعُوثُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَعَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾⁽⁶⁾.

أما في سورة النمل فجاء بعد ذكر إشراك قوم ملكة سبأ بالله، وسجودهم للشمس، قال - تعالى- عن الهدهد قبل وصف عرشه بالعِظْم: ﴿وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ

(1) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 39 / 18.

(2) ينظر: تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين، 299 / 3.

(3) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 227 / 20.

(4) الآية 26.

(5) من الآية 129.

(6) الأيتان 82- 83.

وَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ⁽¹⁾، وهكذا يُصَرِّفُ اللهُ - سبحانه - آياته للناس لعلهم يتذكرون ويهتدون.

الفرع الآخر- إطلاق لفظ العظيم على غير العرش من الذوات:

أطلق الله - تعالى- وصف العظيم على بعض الذوات غير العرش، وهذه الذوات هي: الطَّود، والرَّجُل، والدَّبْح، وبيانها كالآتي:

- وصف الله - سبحانه- الطَّود بالعِظْم في موضع واحد من كتابه، وذلك في سورة الشعراء، وهو قوله - تعالى-: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَنَفْثَ فَنَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ⁽²⁾، قال الثعلبي في معنى قوله -تعالى-: ﴿كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾: إنَّ معناه كالجبل الضخم⁽³⁾، ففسر ﴿الْعَظِيمِ﴾ بالضخم، وللقرطبي أنَّ ﴿الْعَظِيمِ﴾ بمعنى الكبير⁽⁴⁾، وذهب البيضاوي إلى أنَّ ﴿الْعَظِيمِ﴾ بمعنى الثَّابِت المستقر⁽⁵⁾، وكلَّ هذه المعاني محتملة، فهو جبل ضخم، وكبير، وثابت مستقر.

- وصف الله - عز وجل- الرَّجُلَ بالعظيم في موضع واحد، وذلك في سورة الزخرف، فقال - سبحانه وتعالى-: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ⁽⁶⁾، فلفظ ﴿عَظِيمٍ﴾ في هذا الموضع يمكن أن يكون بمعنى الرئيس الكبير⁽⁷⁾، ويفهم ذلك من كلام الزمخشري في تفسيره عند بلوغ هذا الموضع، حيث قال: «أرادوا بعِظَم الرَّجُل: رياسته وتقدّمه في الدنيا»⁽⁸⁾، ويمكن أن يكون بمعنى كبير، أي: كبير في أعينهم⁽⁹⁾، وأشار ابن عاشور إلى أنَّ المراد بالعظيم هنا السيّد⁽¹⁰⁾.

(1) الآية 24.

(2) الآية 63.

(3) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 165 / 7.

(4) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 229 / 11.

(5) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 140 / 4.

(6) الآية 31.

(7) ينظر: إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ص 336.

(8) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 248 / 4.

(9) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 225 / 7.

(10) ينظر: التحرير والتنوير، 200 / 25.

- وصف الله - تقدست أسماؤه- الذَّبْحُ بالعظيم في موضع واحد، وقع ذلك في سورة الصافات، وذلك في قول الله - جَلَّ جلاله- عن إسماعيل -عليه السلام-: ﴿وَفَدَيْتَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾⁽¹⁾، و﴿عَظِيمٍ﴾ في هذا السياق بمعنى متقبَّل⁽²⁾، ويحتمل أن يكون معناه، الذي يصغر مقدار غيره بالإضافة إليه⁽³⁾، ومن معانيه التي تصلح في هذا السياق ما ذكره القرطبي أنه بمعنى ضخم الجثة⁽⁴⁾، ونقل الشوكاني عن أهل التفسير أنه في هذه الآية بمعنى الشَّرِيف⁽⁵⁾، والذَّبْحُ الذي فدى الله به إسماعيل -عليه السلام- متقبَّل، وضخم يصغر مقدار غيره بالإضافة إليه، وهو أيضًا شريف.

(1) الآية 107.

(2) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 605 / 19.

(3) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 395 / 22.

(4) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 107 / 15.

(5) ينظر: فتح القدير 4 / 465.

المبحث الثالث- إطلاق لفظ العظيم على الثواب في القرآن الكريم.

يُطَلَّق الثَّوَابُ عَلَى جِزَاءِ الطَّاعَاتِ، قَالَ فِي الصَّحَاحِ: «الثَّوَابُ: جِزَاءُ الطَّاعَةِ، وَكَذَلِكَ الْمَثُوبَةُ، قَالَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -: ﴿الْمَثُوبَةُ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ حَيْرٌ﴾⁽¹⁾»،⁽²⁾ وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ - تَعَالَى - الثَّوَابَ بِالْعِظَمِ، فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ، وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْمَبْحَثُ مَخْصَصًا لِإِطْلَاقِ لَفْظِ "العَظِيمِ" عَلَى الثَّوَابِ، جَعَلْتُ الْمَطْلَبَ الْأَوَّلَ مِنْهُ لِإِطْلَاقِهِ عَلَى الْأَجْرِ، وَخَصَّصْتُ الْمَطْلَبَ الثَّانِي لِإِطْلَاقِهِ عَلَى الْفَضْلِ، وَتَعَرَّضْتُ فِي الْمَطْلَبِ الثَّلَاثِ لِإِطْلَاقِهِ عَلَى الْفَوْزِ وَالْحِظِّ.

المطلب الأول- إطلاقه على الأجر.

وَصَفَّ اللَّهُ - سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى - الْأَجْرَ بِالْعِظَمِ فِي ثَمَانِيَةِ عَشْرَ مَوْضِعًا مِنْ كِتَابِهِ، وَقَدْ قَصَرْتُ هَذَا الْمَطْلَبَ لِنَتَبِّعَ هَذِهِ الْمَوَاضِعَ، فَأَذْكَرُ اسْمَ السُّورَةِ الْوَارِدِ فِيهَا مَقْتَفِيًّا تَرْتِيبًا الْمُصْحَفِ، ثُمَّ أَذْكَرُ الْآيَةَ كَامِلَةً، ثُمَّ أَذْكَرُ مَعْنَى "العَظِيمِ" عِنْدَ كُلِّ مَوْضِعٍ؛ وَذَلِكَ بِالرُّجُوعِ لِأَقْوَالِ الْمَفْسَّرِينَ، فَإِنَّ لَمْ أَجِدْ لَهُمْ قَوْلًا اجْتَهَدْتُ فِي بَيَانِ مَا يَحْتَمِلُهُ مِنْ مَرَادٍ، حَسَبَ الْمَعَانِي الْإِصْطِلَاحِيَّةِ الَّتِي ذَكَرْتَهَا لِلْفِظِ "العَظِيمِ" فِي الْمَبْحَثِ الْأَوَّلِ.

الموضع الأول- قَالَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِمَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾⁽³⁾، مِنْ مَعَانِي ﴿عَظِيمٌ﴾ فِي مِثْلِ هَذَا السِّيَاقِ: مَا ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ بِأَنَّهُ غَيْرُ الْمَحْدُودِ، وَلَا يَعْلَمُ مِنْتَهَاهُ إِلَّا اللَّهُ⁽⁴⁾، وَذَهَبَ السَّمْرَقَنْدِيُّ⁽⁵⁾ إِلَى أَنَّ الْعَظِيمَ هُنَا بِمَعْنَى الْكَثِيرِ⁽⁶⁾، وَعِنْدَ الثَّعْلَبِيِّ أَنَّهُ بِمَعْنَى الْكَبِيرِ⁽⁷⁾، وَيُرَى مُحَمَّدَ رَشِيدِ رِضَا أَنَّ الْأَجْرَ الْعَظِيمَ هُنَا بِمَعْنَى الَّذِي لَا يُقَدَّرُ قَدْرَهُ⁽⁸⁾، وَالْأَجْرَ الْعَظِيمَ هُوَ الَّذِي لَا يَسْتِطَاعُ الْوَصُولَ إِلَى حَقِيقَةِ كُنْهِهِ⁽⁹⁾.

(1) سورة البقرة، من الآية 103.

(2) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 1/ 95، (مادة: ثوب).

(3) الآية 172.

(4) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 8/ 226.

(5) هو: نصر بن محمد بن أحمد، أبو الليث السمرقندي، معروف بإمام الهدى، فقيه حنفي، مفسر، له مصنفات نفع الله بها، منها: تفسير القرآن، وكتاب النوازل، في الفقه، وعيون المسائل، توفي عام: 393 هـ. ينظر: تاج التراجم في طبقات الحنفية، ص 310، وطبقات المفسرين، للداوودي، 2/ 346.

(6) ينظر: بحر العلوم، 1/ 266.

(7) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 9/ 444.

(8) ينظر: تفسير المنار، 4/ 209.

(9) ينظر: تفسير المراغي، 4/ 143.

وَيَصِحُّ أَنْ يَجْعَلَ بِمَعْنَى الْحَسَنِ، كَمَا قَالَ - سُبْحَانَهُ - وَاصِفًا الْأَجْرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ:
﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾⁽¹⁾، وكلّ هذه المعاني تصلح
لحمل اللفظ عليها، فهو أجر ليس كسائر الأجور؛ لأنه موصوف بالعظمة.

الموضع الثاني- قال الله - تبارك وتعالى- في سورة آل عمران أيضًا: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ
الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ
اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِنْ رُسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَمِنْ أَهْلِ الْأَنْبِيَاءِ مَا نُحِبُّ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾⁽²⁾،
الأجر العظيم كسابقه، فهو غير المحدود، الذي لا يعلم منتهاه إلا الله، وهو أيضًا الكبير، والكثير،
والذي لا يُقدر قدره، وليس هناك تكرار بين الأجر في الآية السابقة وهذه الآية، فالسياق في
الأولى هو في الذين استجابوا لله ورسوله من بعد ما أصابهم من الجراح في غزوة أحد، وهذا
السياق في عموم المؤمنين، ولا شك أنّ الأولين أعلى منزلة من هؤلاء، فلأجل ذلك اختلف أجر
أولئك عن أجر هؤلاء.

الموضع الثالث- قال الله - سبحانه- في سورة النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ
حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽³⁾، من معاني ﴿عَظِيمًا﴾ التي يحتملها السياق، أنه
الذي لا يُقدر قدره⁽⁴⁾، ومنها أنه الكبير⁽⁵⁾، والحسن، وسياق الآية في حثّ الكفار على الإيمان،
وبيان أنّ الله لا يبخس أحدًا من خلقه أنفق في سبيله؛ بل يضاعف الحسنات ويؤت من عنده أجرًا
عظيمًا للمؤمنين⁽⁶⁾.

الموضع الرابع- قال الله - سبحانه- في سورة النساء: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ
يَشْتَرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا
عَظِيمًا﴾⁽⁷⁾، المراد بالعظيم في هذا السياق الذي لا يُقدر قدره⁽⁸⁾، وهو أيضًا الكثير الواسع⁽¹⁾،

(1) سورة الكهف، من الآية 2.

(2) الآية 179.

(3) الآية 40.

(4) ينظر: تفسير النسفي، 358/1.

(5) ينظر: تفسير المراغي، 43/5.

(6) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 29/7.

(7) الآية 74.

(8) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 223/7.

وهو الوافر⁽²⁾، ومن معانيه التي يحتملها أيضاً: الكبير والحسن، والأجر العظيم هنا للمجاهدين في سبيل الله.

الموضع الخامس- قال الله - عزَّ وجلَّ- في سورة النساء أيضاً: ﴿وَإِذَا لَاتِيَهُمْ مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽³⁾، ﴿عَظِيمًا﴾ في هذا السياق بمعنى الوافر⁽⁴⁾، ومن معانيه التي يحتملها السياق أيضاً أنه الكثير⁽⁵⁾، وتقدّمت المعاني التي يحتملها لفظ ﴿عَظِيمٌ﴾ إذا نُعت به الأجر، وهي: غير المحدود، والذي لا يعلم منتهاه إلا الله، والكثير، والكبير، والذي لا يُقدَّر قدره، والذي لا يستطيع الوصول إلى حقيقة كنهه، والحسن، والسياق في الحديث عن المنافقين الذين يدعون الإيمان ويتحاكمون إلى الطاغوت، فأخبر الله - تعالى- أنهم لو أنهم فعلوا ما وُعدوا به لكان خيراً لهم، ولأتاهم الله أجراً عظيماً من عنده⁽⁶⁾.

الموضع السادس- قال الله - تعالى- في سورة النساء: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽⁷⁾، الأجر العظيم هو الذي لا يُقدَّر قدره، والكثير الواسع، والوافر، والحسن، والكبير، والسياق هنا في تفضيل المجاهدين على القاعدين، فالأجر العظيم هنا للمجاهدين في سبيل الله.

الموضع السابع، والثامن- قال الله - جلَّ وعلا- في سورة النساء: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽⁸⁾، وفيها أيضاً: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽⁹⁾، تقدّم أنّ

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم، 2/ 412.

(2) ينظر: الدر المنثور، للسيوطي، 2/ 593.

(3) الآية 67.

(4) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 10/ 464.

(5) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 1/ 371.

(6) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، 1/ 429.

(7) الآية 95.

(8) الآية 114.

(9) الآية 146.

من معاني العظيم إذا نعت به الأجر أنه الذي لا يقدر قدره، والكبير، والوافر، والحسن، والسياق في الأولى في كل من أمر بالصدقات، وأمر بالمعروف، وأصلح بين الناس، فإن الله وعد المخلصين منهم أجراً عظيماً، والسياق في الأخرى فيمن تاب من المنافقين وأصلح وأخلص دينه الله، فإنه يصير مؤمناً، وجزاؤه الأجر العظيم، فالأجر العظيم في الآية الأولى ليس هو الأجر العظيم في الآية الأخرى.

الموضع التاسع- قال الله - جلّ وعلا- في سورة النساء: ﴿لَكِنَّ الرُّسُخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽¹⁾، سبق ذكر معنى العظيم إذا نعت به الأجر، وهو الكبير، والحسن، والوافر، والكثير، والذي لا يقدر قدره ولا يعلم كنهه، والسياق هنا في وصف المؤمنين، فإنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويؤمنون بما أنزله من كتبه، ويقومون الصلاة، ويؤتون الزكاة، فهؤلاء وعدهم الله الأجر العظيم.

الموضع العاشر- قال الله - جلّ جلاله- في سورة المائدة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾⁽²⁾، تقدّم معنى العظيم المقترن بالأجر، والسياق هنا في ثواب المؤمنين في الآخرة، وهو تحقيق وعدهم الله لهم بالأجر العظيم.

الموضع الحادي عشر- قال الله - تعالى- في سورة الأنفال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَنُوا بِكُمْ وَأَوْلَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾⁽³⁾، الأجر العظيم يكون بمعنى الكبير، والكثير، والذي لا يقدر قدره، والذي لا يستطيع الوصول إلى حقيقته، والسياق هنا في التحذير من فتنة الأموال والأولاد، وأن الأجر الذي عند الله - تعالى- لا يدانيه نعيم الدنيا، فهو أجر عظيم.

الموضع الثاني عشر- قال الله - تعالى- في سورة التوبة عن أهل الجنة: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁴⁾، من معاني الأجر العظيم كما سبق، الكبير، والكثير، والذي لا

(1) الآية 162.

(2) الآية 9.

(3) الآية 28.

(4) الآية 22.

يقدر قدره، ولا يستطيع الوصول إلى حقيقته، وهذه الآية في بيان جزاء المؤمنين المهاجرين المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فبين الله أن لهؤلاء المؤمنين جنات خالدين فيها أبداً، وأن هذا الأجر عظيم كما وصفه الله - سبحانه - وليس كسائر الأجور.

الموضع الثالث عشر، والرابع عشر - قال الله - تعالى - في سورة الأحزاب: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ

تُردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنين منكم أجراً عظيماً﴾⁽¹⁾، وفيها أيضاً:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْفَتَاتِ وَالْفَاتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عظيماً﴾⁽²⁾، الأجر العظيم هو الكبير، والحسن، والوافر، والمضاعف، ويختلف الأجر باختلاف

الموعود به، فأمهات المؤمنين - رضي الله عنهم - أعظم أجراً من غيرهن، والفرق بين السياقين ظاهر، فالأول خاص في وصف الأجر الذي وعدت به أمهات المؤمنين - رضي الله عنهم - والثاني عام في وصف الأجر الذي وعد به المسلمون والمسلمات.

الموضع الخامس عشر، والسادس عشر - قال الله - تعالى - في سورة الفتح: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

يُبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾⁽³⁾، وفيها أيضاً جاء قوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ

أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عظيماً﴾⁽⁴⁾، الأجر العظيم، هو الكبير، والحسن، والمضاعف،

والذي لا يقدر قدره، والفرق بين الآيتين لا يخفى فالأجر في الآية الأولى هو لأصحاب بيعة الرضوان من الصحابة - رضي الله عنهم - والأجر في الآية الأخرى عام لجميع الصحابة.

(1) الآية 29.

(2) الآية 35.

(3) الآية 10.

(4) الآية 29.

الموضع السابع عشر- قال الله - تبارك وتعالى- في سورة الحجرات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ
أَصْوَتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾،
الأجر العظيم: هو الكبير، كما قال - سبحانه- في موضع آخر: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾⁽²⁾، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾⁽³⁾، ويحتمل أيضاً أن يكون الأجر العظيم بمعنى الأجر الحسن، كما قال - جلّ
وعلا-: ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾⁽⁴⁾، وهي أوصاف تصدق
على الأجر الذي وُعد به المؤمنون، والأجر المذكور في الآية هو لمن اتّصف بصفة غض
الصوت عند رسول الله □.

الموضع الثامن عشر- قال الله - تقدّست أسماؤه- في سورة التغابن: ﴿إِنَّمَا أَهْوُلُكُمْ
وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁵⁾، تقدّم نحو هذا السياق، وهو نعت الأجر بالعظيم، ومن
معانيه التي يصلح أن يُحمل عليها، أنه غير المحدود، والكثير، والكبير، وكلّها معانٍ تصلح لهذا
السياق، ولكن لعلّ أقربها أن يكون بمعنى الكبير، فإنّ السياق في الحديث عن الأموال، وقد
وصف - عزّ وجلّ- في موضع آخر الأجر بالكبير، وذلك في معرض الحديث عن الأموال أيضاً،
فقال: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾⁽⁶⁾،
والأجر في الآية هو لمن لم يفتتن بماله وولده.

فهذه المواضع من القرآن جاء فيها لفظ ﴿عَظِيمٌ﴾ نعتاً للأجر، وقد تصرّف معناه
باختلاف موقعه في السياق، وهذا من بلاغة القرآن وإعجازه، وأنه نزل من عند الله - سبحانه-.

المطلب الثاني- إطلاقه على الفوز.

وصف الله - سبحانه- الفوز بالعظم في ستة عشر موضعاً من كتابه، ولمّا كان هذا
المطلب مخصّصاً لإطلاقات لفظ "العظيم" على الفوز جمعتُ فيه الآيات التي وصف الله

- (1) الآية 3.
(2) سورة هود، الآية 11.
(3) سورة الملك، الآية 12.
(4) سورة الكهف، من الآية 2.
(5) الآية 15.
(6) سورة الحديد، الآية 7.

فيها الفوز بالعظم، وذلك بذكر اسم السورة، ثم ذكر الآية، ثم ذكر المعاني التي يحتملها اللفظ في سياقه، تحرصت على نقل أقوال المفسرين ما وجدت لهم قولاً.

الموضع الأول- قال الله - تعالى- في سورة النساء: ﴿يَلِيَّتِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا

عَظِيمًا﴾⁽¹⁾، ﴿عَظِيمًا﴾ في الآية بمعنى وافراً، أي: أنال حظاً وافراً من الغنيمة⁽²⁾، قلت: ويحتمل أن يكون العظيم في هذه الآية بمعنى الكبير، فإن الله - تعالى- وصف الفوز الذي أعده لأولياته بالكبير، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾⁽³⁾، فيفسر الفوز العظيم بالفوز الكبير، والسياق في الحديث عن المنافقين، فهؤلاء المنافقون إن أصاب المسلمون غنيمة تمنوا أنهم كانوا معهم في الجهاد، وذلك ليفوزوا بالغنيمة⁽⁴⁾، فهم يرون أن الظفر بالغنيمة فوز عظيم؛ لأن الدنيا أكبر همهم.

الموضع الثاني- قال الله - سبحانه وتعالى- في سورة النساء: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِع

اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽⁵⁾، ﴿الْعَظِيمُ﴾ في مثل هذا السياق يحتمل عدّة معانٍ، منها: الوافر، قاله السمرقندي⁽⁶⁾، ومنها: الكبير⁽⁷⁾، ومنها: «الذي يُستصغر دونه كل شيء من أمور الدنيا والآخرة»⁽⁸⁾، ومنها: ما ذكره الشوكاني أن ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ هو «الذي لا يقادر قدره، ولا يمكن الإحاطة بوصفه»⁽⁹⁾، وكلّ ما ذكر من المعاني تصلح وصفاً للفوز في هذا السياق، وسياق الآية في التزام حدود الله، والعمل بما أمر به والانتهاز إلى ما حدّه من قسمة المواريث⁽¹⁰⁾، فإنّ مَنْ فعل ذلك أدخله الله الجنة، وخلّده فيها وهذا الفوز هو الفوز العظيم.

-
- (1) الآية 73.
(2) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 471 / 10.
(3) سورة البروج، الآية 11.
(4) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 221 / 7.
(5) الآية 13.
(6) ينظر: بحر العلوم، 84 / 2.
(7) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 296 / 15.
(8) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 546 / 8.
(9) فتح القدير، 456 / 4.
(10) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 489 / 6.

الموضع الثالث- قال الله -عزَّ وجلَّ- في سورة المائدة: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽¹⁾، ﴿الْعَظِيمُ﴾ الموصوف به الفوز يُحتمل في هذا السياق أن يكون بمعنى: الوافر، والكبير، والذي يستصغر دونه كل شيء، والذي لا يقادر قدره، وكلها صادقة في وصف الفوز، والسياق في بيان ما أعدّه الله للصادقين في الدنيا من الثواب في الآخرة، وهو الجنة خالدين فيها، ثم وصف دخولهم الجنة بالفوز العظيم.

الموضع الرابع، والخامس، والسادس، والسابع- قال الله - تبارك وتعالى- في سورة التوبة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽²⁾، وقال فيها أيضاً: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽³⁾، وفيها أيضاً: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽⁴⁾، وفيها: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا ببيِعْتِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽⁵⁾، في سياق هذه الآيات بمعنى: الذي لا يقادر قدره، أو الذي لا يعلوه فوز، أو الكبير، وكلها محتملة، ولا يوجد تكرار بين هذه الآيات، وإنما هو تصريف للقول؛ فإن الآية الأولى عامة لجميع المؤمنين والمؤمنات، والثانية في رسول الله -ﷺ- والذين آمنوا معه، والثالثة في السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، والرابعة في الشهداء.

(1) الآية 119.

(2) الآية 72.

(3) الآية 89.

(4) الآية 100.

(5) الآية 111.

الموضع الثامن- قال الله - سبحانه وتعالى- في سورة يونس -عليه السلام-: ﴿لَهُمْ
 النَّبَشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽¹⁾، معنى
 ﴿الْعَظِيمُ﴾ في سياق هذه الآية «الذي لا يقادر قدره ولا يماثله غيره»⁽²⁾، وفسر محمد رشيد رضا
 ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: بأنه الفوز الذي لا يعلوه فوز⁽³⁾، والسياق هنا في بيان جزاء أولياء الله في الدنيا
 والآخرة، وهو أن لهم البشرى في الدنيا، وهي: «الرؤية الصالحة يراها الرجل المسلم أو تُرى له،
 وفي الآخرة الجنة»⁽⁴⁾.

الموضع التاسع- قال الله - عز وجل- في سورة الأحزاب: ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
 ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾⁽⁵⁾، معنى ﴿الْعَظِيمُ﴾ في هذا السياق:
 الوافر، والكبير، والذي يُستصغر دونه كل شيء، والذي لا يقادر قدره، ولا يمكن الإحاطة
 بوصفه، وسياق الآية في بيان جزاء من اتقى الله، وقال قولاً سديداً، وأطاع الله ورسوله، فإنه
 يفوز فوزاً لا يدانيه فوز.

الموضع العاشر- قال الله - جلّ وعلا- في سورة الصافات: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ
 الْعَظِيمُ﴾⁽⁶⁾، من المعاني التي يحتملها ﴿الْعَظِيمُ﴾ في هذا السياق: الكبير، والوافر، والذي
 يستصغر دونه كل شيء، والسياق في بيان ما أعدّه الله لأهل الجنة، وأنهم لا يموتون فيها، ولا
 يُعذبون، فهذا فوز عظيم يناله المؤمنون عند دخولهم الجنة.

الموضع الحادي عشر- قال الله - جلّ في علاه- في سورة غافر: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ
 تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽⁷⁾، من المعاني التي يحتملها ﴿الْعَظِيمُ﴾
 في هذا السياق الكبير، وسياق الآية في دعاء الملائكة للمؤمنين، فقد قال الله - عز وجل- في

(1) الآية 64.

(2) فتح البيان في مقاصد القرآن، للفتوحى، 6 / 93.

(3) تفسير المنار، 11 / 342.

(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 12 / 214.

(5) الآية 71.

(6) الآية 60.

(7) الآية 9.

الآيات التي قبلها: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾⁽¹⁾، والسبب في الآية بمعنى العذاب⁽²⁾، فمن وقاه الله العذاب من المؤمنين فاز فوزاً عظيماً يصغر كل فوز بالنسبة إليه.

الموضع الثاني عشر- قال الله - تبارك وتعالى- في سورة الفتح: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾⁽³⁾، الفوز العظيم هنا بمعنى: الوافر، والكبير، والذي يستصغر كل فوز بالإضافة إليه، وسياق الآية في معرض الامتنان على المؤمنين، فقد أتى باللام في قوله: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وتأويله: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ⁽⁴⁾.

الموضع الثالث عشر- قال الله - تعالى- في سورة الذخان: ﴿فَضَلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽⁵⁾، من معاني الفوز العظيم هنا: أنه الفوز الكبير، وقد جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن لباس أهل الجنة، وذكر زوجاتهم، وذكر أكلهم، وذكر أنهم من الموت والعذاب، فكان الفوز بهذه النعم فوزاً عظيماً.

الموضع الرابع عشر- قال الله - تعالى- في سورة الحديد: ﴿بُشْرًا لَّكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽⁶⁾، من معاني ﴿الْعَظِيمُ﴾ التي يصلح أن يحمل عليها في هذا السياق: أن يكون بمعنى الكبير، كما قال - سبحانه- في موضع آخر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾⁽⁷⁾، ومن معانيه أيضاً: الوافر، والذي لا يقادر قدره، والذي يستصغر كل شيء بالنسبة إليه، فهو فوز فوق

(1) سورة غافر، من الآية 7.

(2) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 287 / 20.

(3) الآية 5.

(4) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 43 / 9.

(5) الآية 57.

(6) الآية 12.

(7) سورة البروج، الآية 11.

كل فوز، وهذه الآية جاءت في وصف يوم القيامة، حال كون المؤمنين على الصراط، فإن الملائكة تبشرهم بالجنة خالدين فيها، وبأمنهم من العذاب، فذلك فوز عظيم حصل لهم⁽¹⁾.

الموضع الخامس عشر- قال الله - جلّ وعلا- في سورة الصف: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽²⁾، الفوز

في هذه الآية يحتمل أن يكون بمعنى الكبير والوافر، والذي يستصغر غيره إذا نسب إليه، والذي لا يقادر قدره، وسياق الآية في ذكر مغفرة الذنوب، ودخول الجنة، وذكر مساكن أهلها، فذلك فوز لا يدانيه فوز.

الموضع السادس عشر- قال الله - سبحانه- في سورة التغابن: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ

ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽³⁾، هنا بمعنى الكبير، والوافر، والذي

يستصغر كل شيء بالنسبة إليه، والذي لا يقادر قدره، والآية فيها ذكر تكفير السيئات، ودخول الجنات والتأييد فيها، وهذا فوز عظيم حصل للمؤمنين.

تبيّن من هذا العرض أنّ اللفظ لم يتغير؛ بل ورد في غير موضع بعينه، ولكن بتتبع السياق يظهر أنّ وصف الفوز بالعظم يتغير معناه بتغير الموضع الذي ورد فيه، وهذا من تصريف الآيات الذي ذكره الله - سبحانه- في غير ما موضع من كتابه.

المطلب الثالث- إطلاقه على الفضل والحظ.

جاء وصف الفضل بالعظم في مواضع من القرآن الكريم، أما الحظ فقد ذكر في موضعين من القرآن الكريم، وفي هذا المطلب سأذكر هذه المواضع حسب ورودها في ترتيب المصحف، ثم أتبعها بذكر المعاني التي يحتملها لفظ "العظيم" في الآية كما فعلت في المطلبين السابقين.

(1) ينظر: بحر العلوم، للسمرقندي، 3/ 404.

(2) الآية 12.

(3) الآية 9.

الفرع الأول- إطلاقه على الفضل.

وُصف الفضل بالعظم في ثمانية مواضع من القرآن الكريم، وهذه المواضع كالآتي:

الموضع الأول- قال الله - تعالى- في سورة البقرة: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾⁽¹⁾، ﴿الْعَظِيمِ﴾ يُحتمل أن يُراد به في الآية الكثير الواسع، قال أبو حيان: «وعظمه من جهة سعته وكثرته»⁽²⁾، قال الباحث: تفسير أبي حيان للعظيم بالواسع الكثير وإن كانت تساعد عليه اللُغة، ولكن لعل الأولى أن يُفسر الفضل العظيم بالفضل الكبير، فإنّ في الآية إشارة لنبوة محمد -ﷺ-، وقد قال الله - تعالى- في موضع آخر لنبيه -ﷺ-: ﴿إِنْ فَضَّلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾⁽³⁾، والقرآن يفسر بعضه بعضاً، فيكون العظيم في هذا السياق بمعنى الكبير.

الموضع الثاني- قال الله - تعالى- في سورة آل عمران: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ

ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾⁽⁴⁾، من معاني ﴿الْعَظِيمِ﴾ هنا: الكثير، والواسع، والكبير، وليس بين الموضع السابق من سورة البقرة وهذا الموضع تكرار؛ لأنّ ما ذكره الله - تعالى- في سورة البقرة بيان لحال أهل الكتاب، وإخبار من الله - تعالى- أنه اختصّ محمداً -ﷺ- بالرسالة، فإنّه قال - سبحانه-: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾⁽⁵⁾، وأما ما جاء في سورة آل عمران فهو ردّ على أهل الكتاب، وأمر من الله لنبيه -ﷺ- أن يقوله لأهل الكتاب، حيث قال - تعالى-: ﴿وَقَالَتْ طَافَةَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهِ النَّهَارِ وَآكْفُرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٧٢ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ فَمَا أُوْتِيْتُمْ أَوْ يَحَاجُّوَكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ أَلْفَضَلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مِنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ٧٣ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ

(1) الآية 105.

(2) البحر المحيط في التفسير، 1/ 546.

(3) سورة الإسراء، من الآية 87.

(4) الآية 74.

(5) الآية 105.

مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ⁽¹⁾، وهذا الأسلوب هو تصريح الآيات، وقد أشار إليه القرآن الكريم في مواضع عديدة.

الموضع الثالث- قال الله - سبحانه- في سورة آل عمران أيضاً: ﴿فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْتَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾⁽²⁾، يقال في معنى عظيم هنا مثل ما قيل في الموضعين السابقين، فهو بمعنى الكثير، والواسع، والكبير، ولكن سياق الآية هنا في ذكر المؤمنين الذين استجابوا لله، واستجابوا لرسوله، ولم يخشوا غير الله - سبحانه- فمن الله عليهم بأنهم سلموا من أعدائهم، وأطاعوا ربهم، فجمعوا بين الأجر والعافية⁽³⁾.

الموضع الرابع- قال الله - تبارك اسمه- في سورة النساء: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾⁽⁴⁾، معنى ﴿عَظِيمًا﴾ في هذا السياق: الكبير، فقد وصف الله - تعالى- الفضل بالكبر في مواضع من كتابه، منها قوله: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقُ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾⁽⁵⁾، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾⁽⁶⁾، وأصرح من ذلك قوله - سبحانه- مخاطباً نبيه -ﷺ-: ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾⁽⁷⁾.

والآية في معرض الامتنان على النبي -ﷺ- فقد أنزل الله عليه الكتاب، والحكمة، وعلمه ما لم يكن يعلم، وهذا فضل عظيم من الله على نبيه ﷺ.

(1) الآية 74.
(2) الآية 174.
(3) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 6/ 253.
(4) الآية 113.
(5) سورة فاطر، من الآية 32.
(6) سورة الشورى، من الآية 22.
(7) سورة الإسراء، من الآية 87.

الموضع الخامس- قال الله - عزّ وجلّ- في سورة الأنفال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا

اللَّهُ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾⁽¹⁾، ﴿الْعَظِيمِ﴾
يحتمل أن يكون بمعنى الكثير، أو الواسع، أو الكبير، وكلها معانٍ تصدق على الفضل، والكبير
أظهر معانيه في هذا السياق؛ لمجيئه في القرآن الكريم، فسياق الآية في الحث على تقوى الله -
تعالى- فإنّ مَنْ اتَّقَى الله جعل له فرقانًا، وكفّر عنه سيئاته، وغفر ذنبه، وذلك فضل عظيم من الله
للمتقين.

الموضع السادس، والسابع - قال الله - سبحانه- في سورة الحديد: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ

مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ
يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾⁽²⁾، وقال في سورة الحديد أيضًا: ﴿لَنَلَّا يَعْلَمَ أَهْلَ الْكِتَابِ
أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ﴾⁽³⁾، ﴿الْعَظِيمِ﴾ كما تقدّم هو الكبير، وهو أيضًا الكثير، والواسع، والكبير أقرب في
السياق؛ لمجيء الفضل في القرآن الكريم موصوفًا بالكبر، وليس بين الآيتين تكرار، فالأولى
جاءت في معرض الامتنان على المؤمنين، والأخرى جاءت في الردّ على أهل الكتاب، وهو من
تصريف القول.

الموضع الثامن - قال الله - جلّ وعلا- في سورة الجمعة: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾⁽⁴⁾، يقال في هذه الآية ما قيل في سابقتها، وسياق الآية في الحديث عن
نعمة الله على العرب بالإسلام، وبمن تبع العرب وهم العجم على هذا الدين⁽⁵⁾، فالإسلام فضل الله
يؤتيه من يشاء من عباده، ولا شك أنّه فضل عظيم.

الفرع الآخر- إطلاقه على الحظّ.

أطلق الله - تعالى- وصف العظيم على الحظّ في موضعين من كتابه، وهما:

(1) الآية 29.

(2) الآية 21.

(3) الآية 29.

(4) الآية 4.

(5) ينظر: بحر العلوم، للسمرقندي، 3/ 447.

الموضع الأول- قال الله - جلّ في علاه- في سورة القصص عن قارون: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لِيَلْبِتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾⁽¹⁾، من معاني ﴿عَظِيمٍ﴾ هنا ما ذكره الواحدي عند هذه الآية، أنه الوافر⁽²⁾، ويُحتمل أن يكون بمعنى الكبير، فقارون في أعين الذين يريدون الحياة الدنيا صاحب نصيب وافر، ونصيب كبير.

الموضع الآخر- قال الله - سبحانه- في سورة فصلت: ﴿وَمَا يُقَالُهَا إِلَّا لِلَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقَالُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾⁽³⁾، ﴿عَظِيمٍ﴾: معناه في الآية الوافر، ويحتمل أن يكون بمعنى الكبير، ولا يوجد تكرار بين الموضعين، فالأول من قول الذين يريدون الحياة الدنيا، وهو حظ دنيوي، رآه من تعلق بالدنيا عظيمًا، أما الموضع الآخر فهو حظ عظيم أخروي، وهو الجنة، فما يعطى دَفْعَ السيئة بالحسنة إلا من صبر على المكاره⁽⁴⁾.

(1) الآية 79.

(2) ينظر: التفسير البسيط، 464 / 17.

(3) الآية 35.

(4) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 433-434 / 20.

المبحث الرابع- إطلاق لفظ العظيم على العقاب في القرآن الكريم.

وصف الله - جلّ وعلا- في كتابه أصنافاً من العقاب بالعظم، وهذا العظم بالنسبة لغيره من العقاب، ومن ذلك إطلاق العظم على العذاب، وإطلاقه على الخزي، وإطلاقه على البلاء، وإطلاقه على الكرب، وقد أفردتُ هذا المبحث لأنواع العقاب التي أُطلق عليها لفظ "عظيم" فجعلتُ المطلب الأوّل لإطلاق "العظيم" على العذاب، وتكلمت في المطلب الآخر عن إطلاق "العظيم" على البلاء والكرب والخزي.

المطلب الأول- إطلاق لفظ "العظيم" على العذاب.

أطلق الله - تبارك وتعالى- لفظ "العظيم" على العذاب في خمسة عشر موضعاً من كتابه، فقمتُ في هذا المطلب بتتبع هذه المواضع، فأذكرُ السورة الوارد فيها، ثم آتي بالآية كاملة، ثم أردفها بمعاني "العظيم" التي يحتملها السياق، ناقلاً أقوال المفسرين ما وجدتُ لهم تفسيراً للفظ في سياقه، وإلا اجتهدت بحسب المعاني الاصطلاحية التي تطلق على لفظ "عظيم".

الموضع الأول- قال الله - تبارك وتعالى- في سورة البقرة، في الحديث عن الكفار: ﴿حَتَمَ

اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾، معنى ﴿عَظِيمٌ﴾ في هذه الآية فسره الواحدي فقال: «العظيم: فعيل من العظم، وهو كثرة المقدار في الجثة، ثم قيل: كلام عظيم، وأمر عظيم، أي: عظيم القدر، يريدون به: المبالغة في وصفه»⁽²⁾ وفسر السمعاني: العظيم بالكبير⁽³⁾، وفسر البيضاوي العظيم بأنه: «إذا قيس بسائر ما يجانسه قُصر عنه جميعه، وحُقّر بالإضافة إليه»⁽⁴⁾، وهذه المعاني متقاربة، وكلها محتملة، ويحتمل أيضاً أن يكون بمعنى الشديد، أو بمعنى المضاعف، أو بمعنى الهائل، وسياق الآية في الحديث عن الكفار، حيث توعدّهم الله بالعذاب العظيم.

الموضع الثاني- قال الله - جلّ وعلا- في سورة البقرة: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ

أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا

(1) الآية 7.
(2) التفسير الوسيط، للواحدي، 85 / 1.
(3) ينظر: تفسير السمعي، 47 / 1.
(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 43 / 1.

خَزِيٍّ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ⁽¹⁾، من معاني ﴿عَظِيمٌ﴾: أن يكون بمعنى الذي لا انفكاك له، قال أبو حيان: «وُصِفَ بِالْعِظْمِ لِنِزَائِدِهِ فَلَا انْقِضَاءَ لَهُ، أَوْ لِنِزَائِدِ أَلَمِهِ، أَوْ لِهَمِّهِ»⁽²⁾، قلتُ: ويحتمل أن يكون بمعنى الكبير، فإنَّ عذاب الآخرة كبير بالنسبة لعذاب الدنيا، كما قال - تعالى -: ﴿وَلَنُنذِرَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾⁽³⁾، ويحتمل أيضًا أن يكون بمعنى الشديد، والمضاعف، والهائل، وكلها أوصاف تصدق على عذاب الآخرة، والآية جاءت في بيان عقوبة النصارى، الذين سعوا في خراب بيت المقدس⁽⁴⁾، فكانت عقوبتهم الخزي في الدنيا، والعذاب العظيم في الآخرة، فالعذاب العظيم هنا ليس كالذي في الآية السابقة.

الموضع الثالث - قال الله - تبارك وتعالى - في سورة آل عمران: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁵⁾، من معاني ﴿عَظِيمٌ﴾: أنه الكبير، والشديد، والمضاعف، والهائل، وسياق الآية في اليهود والنصارى⁽⁶⁾، فهم الذين تفرقوا واختلفوا في دين الله، فتوعدهم الله بالعذاب العظيم.

الموضع الرابع - قال الله - عزَّ وجلَّ - في سورة آل عمران: ﴿وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁷⁾، تقدّم معنى العذاب العظيم، وهو بمعنى الكبير، أو الشديد، أو المضاعف، أو الهائل، وكلها معانٍ صحيحة، ويحتملها اللفظ في السياق.

وسياق الآية في بيان جزاء المنافقين، فهم الذين يسارعون في الكفر⁽⁸⁾، وهم المتوعدون بالعذاب العظيم، وهذا العذاب يختلف عن العذاب في الآيات السابقة؛ لأنَّ عذاب المنافقين ليس كسائر العذاب؛ بل هو كما قال الله - سبحانه -: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾⁽⁹⁾.

(1) الآية 114.

(2) البحر المحيط في التفسير، 4 / 263.

(3) سورة السجدة، الآية 21.

(4) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 2 / 444.

(5) الآية 105.

(6) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 5 / 663.

(7) الآية 176.

(8) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 6 / 258.

(9) سورة النساء، من الآية 145.

الموضع الخامس- قال الله -جلّ وعلا- في سورة النساء: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خُلْدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾⁽¹⁾، معنى ﴿عَظِيمًا﴾ في الآية: الذي لا يعلم قدر مبلغه سوى الله - تعالى-⁽²⁾، ومن معانيه المحتملة في هذا السياق أنه المضاعف، وذلك أنّ الله - تعالى- توعدّ القاتل بالعذاب المضاعف فقال: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ٦٨ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾⁽³⁾، والعذاب العظيم في الآية هو جزاء قاتل العمد.

الموضع السادس- قال الله - تقدّست أسماؤه- في سورة المائدة: ﴿إِنَّمَا جَزَاؤُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁴⁾، من معاني ﴿عَظِيمٌ﴾ التي يحتملها السياق: الكبير، والشديد، والمضاعف، والمهول، والعذاب العظيم هنا هو للمحاربين، فعذابهم في الآخرة شديد، ومضاعف، ومهول.

الموضع السابع- قال الله - سبحانه- في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِحَرْفٍ مِنَ الْكَلِمِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاخْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁵⁾، يقال في العظيم: ما قيل في الآيات السابقة، وسياق الآية ينبئ أنّ العذاب العظيم هنا هو لليهود، الذين يحرفون كلام الله، فتوعدّهم الله في الدنيا بالخزي، وفي الآخرة بالعذاب العظيم.

(1) الآية 93.

(2) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 7/ 336.

(3) سورة الفرقان، الآيتان 68- 69.

(4) الآية 33.

(5) الآية 41.

الموضع الثامن- قال الله - سبحانه وتعالى- في سورة الأنفال: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ

لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾، ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، أي: كبير، أو مضاعف، أو شديد، أو مهول، وكلها صادقة في وصف العذاب في هذا السياق، والآية في أهل بدر، الذين أخذوا الفداء من الأسرى، فلولا وجود المانع، وهو الكتاب السابق من الله أنه لا يعذب من شهد بدرًا، لنالهم عذاب عظيم بأخذهم الفداء⁽²⁾.

الموضع التاسع- قال الله - جلّ في علاه- في سورة التوبة: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ

مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾⁽³⁾، العذاب العظيم، هو الكبير، والمضاعف، والشديد، وهو عذاب يوم القيامة، والمتوعّد به في هذه الآية هم المنافقون المقيمون على النفاق من أهل المدينة.

الموضع العاشر- قال الله - تبارك وتعالى- في سورة النحل: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا

بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوَاءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁴⁾، ﴿عَظِيمٌ﴾ في هذه الآية فسّره السمعاني بالكبير⁽⁵⁾، وفسّره السعدي بالمضاعف⁽⁶⁾، وفسّره أبو زهرة بالكبير الشديد⁽⁷⁾، ومن المعاني التي يحتملها هنا: المهول، فعذاب الآخرة كبير، ومضاعف، وشديد، ومهول، قلت: لعلّ الأقرب في هذا السياق أن يكون بمعنى الكبير، فإنّ عذاب الآخرة كبير بالنسبة لعذاب الدنيا، قال - تعالى-: ﴿وَلَنُنذِرَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾⁽⁸⁾، والمتوعّد بالعذاب العظيم هو من اتّخذ أيمانه خديعة يُغري بها الناس، فهو متوعّد في الدنيا بالسوء، وهو العذاب الدنيوي لأهل المعاصي، ومتوعّد في الآخرة بالعذاب العظيم، وهو نار جهنم⁽⁹⁾.

(1) الآية 68.

(2) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 11 / 276.

(3) الآية 101.

(4) الآية 94.

(5) ينظر: تفسير السمعي، 3 / 199.

(6) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص 448.

(7) ينظر: زهرة التفاسير، 8 / 4261.

(8) سورة السجدة، الآية 21.

(9) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 14 / 348.

الموضع الحادي عشر- قال الله - سبحانه- في سورة النحل: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِّنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾، لفظ ﴿عَظِيمٌ﴾ هنا يحتمل أن يكون بمعنى الكبير، أو الشديد، أو المضاعف، أو الهائل، والعذاب العظيم في الآية هو لمن كفر بالله، وشرح صدره بالكفر.

الموضع الثاني عشر- قال الله - سبحانه- في سورة النور: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ آفِيَةٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽²⁾، ﴿عَظِيمٌ﴾ في مثل هذا السياق يحتمل أن يكون بمعنى شديد⁽³⁾، ويحتمل أن يكون بمعنى كبير، أو بمعنى مضاعف، أو بمعنى هائل، وكلها تصدق على العذاب الذي وُعد به مُتَوَلَّى كِبْرِ الْإِفْكِ، والعذاب العظيم في الآية هو لشخص تولى كِبْرَ الْإِثْمِ، فتوعده الله بالعذاب العظيم.

الموضع الثالث عشر- قال الله - جلّ جلاله- في سورة النور: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁴⁾، يحتمل في ﴿عَظِيمٌ﴾ هنا أن يكون بمعنى كبير، أو مضاعف، أو هائل، والعذاب العظيم هو لمن أطلق لسانه في عرض أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها- بالقذف.

الموضع الرابع عشر- قال الله - عزّ وجلّ- في سورة النور أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁵⁾، ﴿عَظِيمٌ﴾ في الآية بمعنى شديد⁽⁶⁾، ويحتمل أن يكون بمعنى كبير، أو بمعنى مضاعف، أو بمعنى هائل، والمتوعد به هنا كل من قذف محصنة من المؤمنات.

(1) الآية 106.

(2) الآية 11.

(3) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 99 / 19.

(4) الآية 14.

(5) الآية 23.

(6) ينظر: تفسير السمرقندي، 505 / 2.

الموضع الخامس عشر- قال الله -عزَّ وجلَّ- في سورة الجاثية: ﴿مَنْ وَرَّانِهِمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾، المعاني المحتملة في هذا السِّياق هي: الكبير، والمضاعف، والشديد، والمهول، والآية في بيان عقوبة المستهزئين بآيات الله، فهم متوعدون بنار جهنم، لهم فيها عذاب عظيم.

والمتأمل في هذه الآيات التي وصفت العذاب بالعظيم لا يجد بينها تكراراً، فإنَّ نوع العذاب يختلف باختلاف الأشخاص، فعذاب الكفار ليس كعذاب أهل الكتاب، وهؤلاء عذابهم ليس كعذاب المنافقين، وعذاب المنافقين ليس كعذاب أهل المعاصي من المؤمنين، والسِّياق هو الذي يبيِّن عدم وقوع التكرار بين الألفاظ، وإنما هو تصريح للآيات.

المطلب الآخر- إطلاقه على البلاء والكره والخزي.

أطلق الله - جلَّ في علاه- لفظ "العظيم" على البلاء والكره والخزي في مواضع من كتابه، وسأنتبع في هذا المطلب هذه المواضع، وأسلك في التعامل معها ما سلكت في المطالب السابقة، ولما كان هذا المطلب يحوي ثلاثة ألفاظ قسمته إلى فرعين، جعلتُ الفرع الأول لإطلاق لفظ "العظيم" على البلاء، وخصصت الفرع الآخر لإطلاق لفظ "العظيم" على الكره والخزي.

الفرع الأول- إطلاق لفظ العظيم على البلاء.

أطلق الله - سبحانه- لفظ العظيم على البلاء في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، وبيان هذه المواضع كالآتي:

الموضع الأول- قال الله -عزَّ وجلَّ- في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاهُ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْتَاءَكَ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكَ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾⁽²⁾، معنى ﴿عَظِيمٌ﴾ المنعوت به البلاء هنا: يحتمل أن يكون بمعنى الكبير، ويحتمل أيضاً أن يكون بمعنى الذي يصغر كل شيء بالنسبة إليه، ويُحتمل أن يكون بمعنى المستحقر ما سواه بالإضافة إليه، ويحتمل أن يكون بمعنى الهائل.

(1) الآية 10.

(2) الآية 49.

الموضع الثاني- قال الله - تبارك وتعالى- في سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ أَنْجَبْنَاكُمْ مِّنْ عَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾، من المعاني الاصطلاحية التي يحتملها لفظ ﴿عَظِيمٌ﴾ في هذا السياق أن يكون بمعنى الكبير، ويحتمل أيضاً أن يكون بمعنى الذي يصغر كل شيء بالنسبة إليه، ويحتمل أن يكون بمعنى المستحق ما سواه بالإضافة إليه، ويحتمل أن يكون بمعنى الهائل، أي: بلاء مهول، فهو بلاء ليس كسائر البلاء.

الموضع الثالث- قال الله - تعالى- في سورة إبراهيم -عليه السلام-: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَبَكُمْ مِّنْ عَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾⁽²⁾، من المعاني المحتملة للفظ ﴿عَظِيمٌ﴾ في مثل هذا السياق أن يكون بمعنى الكبير، ويحتمل أيضاً أن يكون بمعنى الذي يصغر كل شيء بالنسبة إليه، ويحتمل أن يكون بمعنى المستحق ما سواه بالإضافة إليه، ويحتمل أن يكون بمعنى الهائل، وليس بين الآيات تكرار، فالآية الأولى سبقها ذكر منة الله على بني إسرائيل، كما قال - سبحانه- قبلها: ﴿بِئْسَ إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾⁽³⁾، والآية الثانية جاءت بعد محاوره موسى - عليه السلام- لقومه، قال - سبحانه- في سباقها: ﴿وَجَوَّزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾⁽⁴⁾، والآية الثالثة جاءت في تذكير موسى لقومه بنعمة الله عليهم.

الفرع الآخر- إطلاق لفظ "العظيم" على الكرب والخزي.

أطلق الله - تبارك وتعالى- لفظ "العظيم" على الكرب في ثلاثة مواضع من كتابه، في حين أطلق لفظ "العظيم" على الخزي في موضع واحد، وهي كالاتي:

(1) الآية 141.

(2) الآية 6.

(3) سورة البقرة، الآية 47.

(4) سورة الأعراف، الآية 138.

أولاً- إطلاق لفظ العظيم على الكرب.

الموضع الأول- قال الله -عزّ وجلّ- في سورة الأنبياء: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلٍ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾⁽¹⁾، ويراد بالعظيم هنا الشديد، وهو قول السمرقندي⁽²⁾، ويحتمل أن يكون العظيم بمعنى الهائل، أو بمعنى الكبير.

الموضع الثاني، والثالث- قال الله - تعالى- في سورة الصافات عن نوح -عليه السلام-: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾⁽³⁾، وقال عن موسى وهارون -عليهما السلام-: ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾⁽⁴⁾، المراد بالكرب العظيم هنا: الشديد، أو الكبير، أو الهائل، ولكل موضع منهما معنى يخالف الآخر بحسب السياق، فالأول في معرض الحديث عن الكرب الذي نُجِّي منه نوح - عليه السلام- والآخر في الحديث عن الكرب الذي نُجِّي منه موسى وهارون.

ثانياً- إطلاق لفظ "العظيم" على الخزي.

الموضع الأول- قال الله - جلّ وعلا- في سورة التوبة: ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خُلِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخَزِيءُ الْعَظِيمُ﴾⁽⁵⁾، لفظ ﴿الْعَظِيمُ﴾ في مثل هذا السياق يحتمل عدّة معان، منها: الشديد⁽⁶⁾، ومنها: الكبير⁽⁷⁾، وقال الشوكاني عن ﴿الْعَظِيمُ﴾ في هذا

(1) الآية 76.

(2) ينظر: بحر العلوم، 3/ 144.

(3) الآية 76.

(4) الآية 115.

(5) الآية 63.

(6) ينظر: بحر العلوم، 2/ 70.

(7) ينظر: تفسير القرآن العظيم، 4/ 170.

السِّيَاق: «البالغ إلى الغاية التي لا يبلغ إليها غيره»⁽¹⁾، وقال السعدي عن الخزي العظيم: «الذي لا خزي أشنع ولا أفضح منه»⁽²⁾، وكلها معان تُصدّق على الخزي.

وفي جميع هذه المواضع التي ذُكرت لا يوجد تكرار، وإنما هو تصريف للألفاظ القرآنية، ومن توهم التكرار فليرجع إلى الآيات التي توهم أنّ فيها التكرار، فسيرى اختلافاً في السِّيَاق الواردة فيه، أو في سباقها، أو في لحاقها، وهذا من إعجاز القرآن.

وفي هذا الفصل تمّ استعراض لفظ "العظيم" في القرآن الكريم من خلال منهج التفسير الموضوعي، كاشفاً عن تنوع دلالاته بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، ثم تتبّع إطلاقه على الدّوات، والثواب، والعقاب، وقد بيّن أنّ عظمة الله - تعالى- مطلقة لا تُقارن، بينما عظمة المخلوق محدودة، كما أبرز السِّيَاق القرآني أثراً بيانياً بليغاً في اختلاف دلالة اللفظ حسب موضعه، مما يدلّ على بلاغة القرآن وإعجازه في تصريف الألفاظ، ويؤكد هذا الفصل أهمية التفسير الموضوعي في الكشف عن أبعاد الألفاظ القرآنية وثرائها الدلالي.

(1) فتح القدير، 2/ 429.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 342.

الفصل الثاني

تصارييف لفظ العظيم في النظم القرآني

مدخل النظم والإعجاز القرآني

- المبحث الأول- الأوجه الإعرابية لفظ عظيم في القرآن الكريم.
- المبحث الثاني- تصريف لفظ العظيم بالزيادة والنقصان.
- المبحث الثالث- تصريف لفظ العظيم بالتعريف والتنكير.

مدخل- النظم والإعجاز القرآني:

إنّ المتأمل في آيات القرآن الكريم يجد أنّ آيات التّحدي قائمة منذ نزولها، وإلى يوم الناس هذا، فقد تحدّى الله - تعالى- الأمم كافة، بمن فيهم العرب، أن يأتوا بمثل هذا القرآن فقال: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾⁽¹⁾، فلما ظهر عجزهم تحدّاهم عن الإتيان بعشر سور مثله؛ وليستعينوا بمن شاءوا فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَبْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾⁽²⁾، فعجزوا كذلك، فتحدّاهم عن الإتيان بسورة واحدة فقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾⁽³⁾، وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَبْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾⁽⁴⁾، فلما حصل التّحدي ظهر العجز، وهذا العجز لم يقتصر على من نزل فيهم القرآن؛ بل إنّ التّحدي لا يزال قائماً، والعجز لا يزال ظاهراً، وفي هذا تحقيق لصدق الله - سبحانه- حيث قال في كتابه: ﴿قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾⁽⁵⁾.

ولصدق نبياً محمد -ﷺ- وصدق رسالته حاول العلماء منذ القدم أن يقفوا على أوجه إعجاز القرآن، فأرجعه بعضهم لإخباره عن الغيوب، التي هي فوق طاقة البشر، وردّه آخرون لكون النبي -ﷺ- أمياً لا يكتب ولا يقرأ، ولا يعرف شيئاً من كتب المتقدّمين وأخبارهم، ثم جاءهم بهذا القرآن الذي فيه نبأ الأولين والآخريين، وعلل فريق ثالث إعجاز القرآن بحسن نظمه وقوة تأليفه⁽⁶⁾، وقدموا نظريات في ذلك.

ولعلّ من أبرز النظريات التي قدّمت نظرية النّظم، التي انتصر لها عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز"، فقد قال في هذا الكتاب منوّهاً بشأن النظم: «وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن (النظم) وتفخيم قدره، والتنويه بذكره، وإجماعهم أن لا فضل مع عدمه، ولا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له، ولو بلغ في غرابية معناه ما بلغ، وبئهم الحُكم بأنه الذي

(1) سورة الطور، الآية 34.

(2) سورة هود، الآية 13.

(3) سورة البقرة، الآية 23.

(4) سورة يونس، الآية 38.

(5) سورة الإسراء، الآية 88.

(6) ينظر: إعجاز القرآن، للباقلاني، ص 33- 35.

لا تمام دونه، ولا قوام إلا به، وأنه القطب الذي عليه المدار، والعمود الذي به الاستقلال»⁽¹⁾، وجعل الزمخشري النظم أمَّ الإعجاز، وقانون التحدي، ومراعاته أهم شيء يجب على المفسر أن يلحظه⁽²⁾.

ومرادهم بالنظم: مخالفة نظم القرآن لسائر كلام العرب، منظومه ومنثوره، كما قال الباقلاني: «نظم القرآن على تصرف وجوهه وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، وميادين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد»⁽³⁾.

ويرى عبد القاهر أن النظم «هو تَوْخِي معاني النحو»⁽⁴⁾، ثم بين مراده من هذا التعريف فقال: «اعلم أن ليس (النظم) إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسمت لك، فلا تُخل بشيء منها»⁽⁵⁾، ثم مضى يُقرّر هذا الأصل، ويحتجّ بآيات من القرآن الكريم، ومن كلام العرب، إلى أن قال: «فإذا ثبت الآن أن لا شك ولا مرية في أن ليس (النظم) شيئاً غير تَوْخِي معاني النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم، ثبت من ذلك أن طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن، إذا هو لم يطلبه في معاني النحو وأحكامه، ووجوهه وفروقه، ولم يعلم أنها معدنه ومعانئه⁽⁶⁾، وموضعه ومكانه، وأنه لا مستنبط له سواها، وأن لا وجه لطلبه فيما عداها، غار نفسه بالكاذب من الطمع، ومُسَلِّم لها إلى الخدع، وأنه إن أبى أن يكون فيها، كان قد أبى أن يكون القرآن معجزاً بنظمه»⁽⁷⁾.

والقول بأن وجه إعجاز القرآن هو نظمه لا ينفي أن يكون بليغاً في معانيه، فصيحاً في ألفاظه، فإنّ ألفاظ القرآن ومعانيه بلغت الغاية في البلاغة، والفصاحة، وهما أيضاً من أوجه إعجازه، قال المؤيد بالله⁽⁸⁾ في ردّ قول من قال: إنّ الإعجاز هو في نظم القرآن خاصة:

(1) دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، 1/ 80.

(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 3/ 63.

(3) إعجاز القرآن، ص 35.

(4) دلائل الإعجاز، 1/ 81.

(5) المصدر نفسه.

(6) المعان: هو المكان، ينظر: الفائق في غريب الحديث للزمخشري، 3/ 375، (مادة: معن).

(7) دلائل الإعجاز، 1/ 526.

(8) هو: يحيى بن حمزة بن علي، الملقب بالمؤيد بالله، اشتغل بالعلم، وتفنّن في أنواعه، وتبحّر في العلوم، وفاق أقرانه، وصنّف في جميع الفنون، ومن مصنّفاته: الشامل، ونهاية الوصول إلى علم الأصول، والحاوي، في أصول

«فهؤلاء أيضاً يقال لهم: ما تريدون باختصاصه بالنظم؟ فإن عنيتم به أن نظمه هو المعجز من غير أن يكون بليغاً في معانيه، ولا فصيحاً في ألفاظه، فهو خطأ، فإن الإعجاز شامل له بالإضافة إلى كلا الأمرين جميعاً»⁽¹⁾، وقال ابن عاشور: «فلا جرم كان لنظم القرآن وحسن سبكه إعجاز يفوت قدرة البشر، هو غير الإعجاز الذي لجمله وتراكيبه وفصاحة ألفاظه»⁽²⁾.

ونستطيع بعد هذا النقل أن نقول: إن نظم القرآن هو أسلوبه الذي تميّز به عن أساليب العرب في خطابهم، وهو خارج عن المعهود من كلامهم، مع توخي معاني النحو، والعمل بقوانينه وأصوله.

ومما يتعلق بنظم القرآن: الأوجه الإعرابية، فإن معنى الكلام يتغير بتغير موقعه في الجملة، ولما كان لفظ "العظيم" هو محلّ الدراسة خصّصتُ المبحث الأول من هذا الفصل للأوجه الإعرابية للفظ "العظيم" في القرآن الكريم، ثم إن من مباحث النظم أيضاً الزيادة والنقصان في السياق المتشابه، فأفردتُ المبحث الثاني لتصريف هذه الظاهرة في السياق المتشابه للفظ "العظيم"، وأيضاً فإنّ للتّعريف والتّكثير تعلق بالنظم، فجعلتُ المبحث الثالث لتصريف لفظ "العظيم" بالتعريف والتكثير في القرآن الكريم.

الفقه، توفي عام: 705هـ. ينظر: البدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع، 331 / 2، والأعلام للزركلي، 8 /

143.

(1) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للمؤيد بالله، 223/3.

(2) التحرير والتتوير، 337 / 1.

المبحث الأول- الأوجه الإعرابية للفظ عظيم في القرآن الكريم.

إنّ المتنبّع للفظ "العظيم" وتصريفه في سياقاته المختلفة في كتاب الله يجد أنه جاء على أوجه الإعراب الثلاثة: الرفع، والنصب، والجرّ؛ وذلك التّغير في الأوجه الإعرابية يكون بحسب موقعه في الجملة، ولَمَّا تَنَبَّعَتْ مواضع لفظ "العظيم" في القرآن الكريم وجدتُ أنّ أغلبها وقع فيها نعتاً لمنعوت سبقه، فجعلتُ المطلب الأول من هذا المبحث في تصريف لفظ "العظيم" نعتاً في القرآن الكريم، ولِقَلَّةِ الأوجه الإعرابية الأخرى جعلتُ المطلب الآخر لتصريف لفظ "العظيم" في وظائف إعرابية غير النعت في القرآن الكريم.

المطلب الأول- تصريف لفظ "العظيم" نعتاً في القرآن الكريم.

الأصل في النّعت أن يكون للنكرات، وذلك بُغْيَةً تخصيصها، ولكن قد تُنعت المعارف؛ وذلك لإزالة لبسٍ قد يُتوهم من الكلام، قال السيرافي⁽¹⁾: «معنى النّعت: أنه اختصاص نفس المنعوت، وإخراج له من إبهام وعموم إلى ما هو أخصّ منه، فالنكرات المنعوتة يخرجها النّعت من نوع إلى نوع أخصّ منه، وأما المعارف فيخرجها النّعت من شخص مشترك الاسم عند وقوع اللبس فيه إلى أن يزول اللبس عنه»⁽²⁾، والنّعت من التوابع، فهو يتبع المنعوت في إعرابه، رفعاً، ونصباً، وجرّاً، وفي تعريفه، وتنكيره، والعلة التي جعلت النعت تابعاً في الإعراب لمنعوته ذكرها السيرافي بقوله: «وإنما صار النّعت تابعاً للمنعوت في إعرابه؛ لأنهما كشيء واحد، فصار ما يلحق الاسم يلحق بنعته»⁽³⁾، والنّعت يؤتى به في الكلام لعدّة أغراض، منها: الفرق بين لفظين اشتركا في اسم واحد، وقد يؤتى به للتوكيد، وربما استعملوه للمدح أو الذم⁽⁴⁾، ويستعمل النّعت أيضاً للتّعظيم⁽⁵⁾، وفي هذا المطلب سأنتبع تصاريف لفظ "العظيم" نعتاً في القرآن الكريم، ولكثرة هذه المواضع قسّمته إلى عشرة فروع، بيّانها كالآتي:

(1) هو: الحسن بن عبد الله بن المرزبان، السيرافي، نحوي من أكابر الفضلاء، ومن العلماء الأدباء، ومن الزّهاد، لا نظير له في العربية في عصره، صنّف مصنّفات نافعة في العربية، منها: شرح كتاب سيبويه، والإقناع، وألفات القطع والوصل، توفي عام: 368هـ. ينظر: نزّهة الألباء في طبقات الأدباء، ص 227، وسير أعلام النبلاء، 12/286.

(2) شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي، 2/312-313.

(3) المصدر نفسه.

(4) ينظر: المقدمة الجزولية في النحو، للجزولي، ص 56.

(5) ينظر: اللباب في علل البناء والإعراب، للعكبري، 1/404.

الفرع الأول- تصريف لفظ "العظيم" نعتاً للمبتدأ.

ورد لفظ "العظيم" نعتاً للمبتدأ في مواضع عديدة من القرآن الكريم، وكان من أغراضه تعظيم شأن المبتدأ، أو مدحه، ومن هذه المواضع:

الموضع الأول- قال الله - تبارك وتعالى- في سورة البقرة، في الحديث عن الكفار: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾، لفظ ﴿عَظِيمٌ﴾ في الآية الكريمة مرفوع بالتبعية، فهو نعت للفظ ﴿عَذَابٌ﴾ المرفوع، وإنما رفع عذاب لكونه مبتدأً، وسوّغ الابتداء بالنكرة تقدّم الخبر الجارّ والمجرور عليها⁽²⁾، وتقدّم الخبر جائز في مثل هذا السياق⁽³⁾، والغرض من النعت هو تعظيم العذاب.

الموضع الثاني- قال الله - تبارك وتعالى- في سورة البقرة، والأعراف، وإبراهيم: ﴿وَفِي دُلُوكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾⁽⁴⁾، جاء لفظ ﴿عَظِيمٌ﴾ في الآيات الكريمة نعتاً للفظ ﴿بَلَاءٌ﴾ المرفوع بالابتداء، وسوّغ الابتداء بالنكرة تقدّم الخبر الجارّ والمجرور عليها، والغرض أيضاً تعظيم البلاء الذي حلّ ببني إسرائيل.

الموضع الثالث- قال الله - تبارك وتعالى- في سورة آل عمران: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁵⁾، ﴿عَظِيمٌ﴾ في الآية نعت لـ ﴿عَذَابٌ﴾، الواقع مبتدأً، وهو مرفوع مثله.

الموضع الرابع- قال الله - جلّ جلاله- في سورة المائدة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁶⁾، ﴿عَظِيمٌ﴾ نعت للفظ ﴿أَجْرٌ﴾، الذي هو معطوف على المبتدأ ﴿مَغْفِرَةٌ﴾ وهو مرفوع مثله.

(1) الآية 7.

(2) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس، 1/ 29.

(3) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عزيمة، 277/ 8.

(4) سورة البقرة، من الآية 49، وسورة الأعراف، من الآية 141، وسورة إبراهيم، من الآية 6.

(5) الآية 105.

(6) الآية 9.

الموضع الخامس- قال الله - تعالى- في سورة التوبة عن أهل الجنة: ﴿خُلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾، ﴿عَظِيمٌ﴾ في الآية نعت للفظ ﴿أَجْرٌ﴾، وهو مبتدأ مؤخر، وهو مرفوع مثله.

الموضع السادس- قال الله - تبارك وتعالى- في سورة النحل: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا أَلْسُوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽²⁾، ﴿عَظِيمٌ﴾، نعت للمبتدأ المؤخر، وهو لفظ ﴿عَذَابٌ﴾ وقد رفع مثله.

الموضع السابع- قال الله - سبحانه- في سورة النور: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ آفْرَةٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽³⁾، ﴿عَظِيمٌ﴾، نعت للمبتدأ المؤخر، وهو لفظ ﴿عَذَابٌ﴾ وقد رفع مثله.

الموضع الثامن- قال الله - تبارك اسمه- في سورة النمل عن الهمد أنه قال لسليمان: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁴⁾، ﴿عَظِيمٌ﴾، نعت للمبتدأ المؤخر، وهو لفظ ﴿عَرْشٌ﴾ وقد رفع مثله.

الموضع التاسع- قال الله - عز وجل- في سورة الجاثية: ﴿مَنْ وَرَأَاهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُعْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁵⁾، ﴿عَظِيمٌ﴾، نعت للمبتدأ المؤخر، وهو لفظ ﴿عَذَابٌ﴾ وقد رُفِعَ مثله.

الموضع العاشر- قال الله - تقدست أسماؤه- في سورة التغابن: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾، «وَاللَّهُ»: مبتدأ و﴿عِنْدَهُ﴾: ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم، و﴿أَجْرٌ﴾: مبتدأ مؤخر، و﴿عَظِيمٌ﴾ نعت لأجر، والجملة خبر للفظ الجلالة»⁽²⁾.

(1) الآية 22.
(2) الآية 94.
(3) الآية 11.
(4) الآية 23.
(5) الآية 10.

الفرع الثاني- تصريف لفظ "العظيم" نعتًا للخبر.

نُعت الخبر بالعظيم في غير ما موضع من القرآن الكريم، ومن هذه المواضع التي جاء فيها لفظ "العظيم" نعتًا للخبر ما يأتي:

الموضع الأول- قال الله - سبحانه وتعالى- في سورة النساء: ﴿تَلِكْ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽³⁾، ﴿الْعَظِيمُ﴾، نعت للخبر ﴿الْفَوْزُ﴾، وهو مرفوع على التبعية.

الموضع الثاني- قال الله - عزَّ وجلَّ- في سورة المائدة: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽⁴⁾، ﴿الْعَظِيمُ﴾، نعت للخبر وهو لفظ ﴿الْفَوْزُ﴾، وهو مرفوع على التبعية.

الموضع الثالث- قال الله - جلَّ وعلا- في سورة التوبة: ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ لَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾⁽⁵⁾، ﴿الْعَظِيمُ﴾، نعت للخبر، وهو لفظ ﴿الْخِزْيُ﴾، وهو مرفوع مثله على التبعية.

الموضع الرابع- قال الله - تبارك وتعالى- في سورة النور أيضًا: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁶⁾، ﴿عَظِيمٌ﴾، نعت للخبر، وهو لفظ ﴿بُهْتَانٌ﴾، وقد رُفِعَ مثله.

الموضع الخامس- قال الله - سبحانه- في سورة ص: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁷⁾، ﴿عَظِيمٌ﴾، نعت للخبر، وهو لفظ ﴿نَبَأٌ﴾، وقد رُفِعَ مثله.

(1) الآية 15.

(2) إعراب القرآن وبيانه، لدرويش، 115 / 10.

(3) الآية 13.

(4) الآية 119.

(5) الآية 63.

(6) الآية 16.

(7) الآية 67.

الفرع الثالث- تصريف لفظ "العظيم" نعتًا للفاعل.

نُعت الفاعل بالعظيم في موضعين من كتاب الله - تعالى- وهذان الموضعان هما:

الموضع الأول- قال الله - سبحانه وتعالى- في سورة الأنفال: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ

لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾، ﴿عَظِيمٌ﴾ نعت للفاعل الذي هو ﴿عَذَابٌ﴾، وتبعه في رفعه.

الموضع الآخر- قال الله - جلّ جلاله- في سورة النور: ﴿لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽²⁾، ﴿عَظِيمٌ﴾ نعت للفاعل الذي هو ﴿عَذَابٌ﴾، وتبعه في رفعه.

الفرع الرابع- تصريف لفظ "العظيم" نعتًا للمفعول به.

جاء نعت المفعول به بالعظيم بكثرة في القرآن الكريم، ومن هذه المواضع ما يأتي:

الموضع الأول- قال الله - سبحانه- في سورة النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽³⁾، ﴿عَظِيمًا﴾ في الآية وقع نعتًا للأجر،

و﴿أَجْرًا﴾ مفعول به منصوب بالفعل ﴿يُؤْتِ﴾.

الموضع الثاني- قال الله - تعالى- في سورة النساء أيضًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ

وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾⁽⁴⁾، ﴿عَظِيمًا﴾ في الآية

نعت للمفعول به ﴿إِثْمًا﴾ منصوب مثله.

الموضع الثالث: قال الله - تبارك وتعالى- في سورة النساء: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ

مَا عَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَآتَيْنَهُمْ مَّا لَمْ يَكُنُوا يَرْجُونَ﴾⁽¹⁾،

﴿عَظِيمًا﴾ نعت للمفعول الثاني لآتيناه، منصوب بالتبعية.

(1) الآية 68.

(2) الآية 14.

(3) الآية 40.

(4) الآية 48.

الموضع الرابع- قال الله - تعالى- في سورة النساء أيضاً: ﴿وَبُكِّفِرْهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ
بُهْتِنًا عَظِيمًا﴾⁽²⁾، ﴿عَظِيمًا﴾ في الآية نعت للمفعول به ﴿بُهْتِنًا﴾ منصوب مثله، ونُصِبَ المفعول
به بالمصدر، وهو ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾.

الموضع الخامس- قال الله -جلّ جلاله- في سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ
الْمَنَانِي وَالْفُرْعَانَ الْعَظِيمِ﴾⁽³⁾، نُصِبَ ﴿الْعَظِيمِ﴾ على أنه نعت للقرآن المنصوب، ونصب
﴿وَالْفُرْعَانَ﴾ لأنه معطوف على منصوب، وهو ﴿سَبْعًا﴾، أو نُصِبَ بفعل محذوف يفسره
المذكور، أي: وءاتيناك القرآن⁽⁴⁾، فيكون ﴿الْعَظِيمِ﴾ نعتاً للمفعول به.

الموضع السادس- قال الله - تعالى- في سورة الأحزاب: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽⁵⁾، ﴿عَظِيمًا﴾ في الآية وقع نعتاً للأجر،
و﴿أَجْرًا﴾ مفعول به منصوب بالفعل ﴿أَعَدَّ﴾.

الموضع السابع- قال الله - سبحانه- في سورة الفتح: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ
اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَنَّا
أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽⁶⁾، ﴿عَظِيمًا﴾ في الآية نعت للأجر، و﴿أَجْرًا﴾ مفعول به ثان منصوب بالفعل
﴿فَسَيُؤْتِيهِ﴾.

(1) الآية 54.

(2) الآية 156.

(3) الآية 87.

(4) ينظر: الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، لبهجت عبد الواحد، 6 / 107.

(5) الآية 29.

(6) الآية 10.

الفرع الخامس- تصريف لفظ "العظيم" نعتاً للمفعول المطلق.

نُعت المفعول المطلق بالعظيم في أربعة مواضع من كتاب الله، وهذه المواضع هي:

الموضع الأول- قال الله -جلّ في علاه- في سورة النساء: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهْوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾⁽¹⁾، جاء ﴿عَظِيمًا﴾ نعت للفظ ﴿مَيْلًا﴾ فنُصب بالتبعية.

الموضع الثاني- قال الله - تعالى- في سورة النساء أيضاً: ﴿وَلَنْ أَسْأَلَكُمْ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ لِيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْتَمِسُ لِيَلْتَمِسَ عَلَيْكُمْ فَافُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾⁽²⁾، نعت للفظ ﴿فَوْزًا﴾ وهو مفعول مطلق للفعل ﴿فَافُوزَ﴾، فنصب ﴿عَظِيمًا﴾ بالتبعية.

الموضع الثالث- قال الله - سبحانه- في سورة الإسراء: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾⁽³⁾، ﴿عَظِيمًا﴾ في الآية نعت للفظ ﴿قَوْلًا﴾ منصوب بالتبعية.

الموضع الرابع- قال الله - عزّ وجلّ- في سورة الأحزاب: ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾⁽⁴⁾، ﴿عَظِيمًا﴾ نعت للفظ ﴿فَوْزًا﴾ وهو مفعول مطلق للفعل ﴿فَازَ﴾، فنصب ﴿عَظِيمًا﴾ بالتبعية.

(1) الآية 27.

(2) الآية 73.

(3) الآية 40.

(4) الآية 71.

الفرع السادس- تصريف لفظ "العظيم" نعتًا للمضاف إليه.

نُعت المضاف إليه بالعظيم في عدّة مواضع من القرآن الكريم، ومن هذه المواضع:

الموضع الأول- قال الله - تعالى- في سورة البقرة: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾⁽¹⁾، ﴿الْعَظِيمِ﴾ مجرور بالتبعية للفظ ﴿الْفَضْلِ﴾ المجرور بالإضافة.

الموضع الثاني- قال الله - سبحانه- في سورة آل عمران: ﴿فَاتَّقِلُّبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾⁽²⁾، ﴿عَظِيمٍ﴾ اسم مجرور بالتبعية للفظ ﴿فَضْلٍ﴾ المجرور بالإضافة.

الموضع الثالث- قال الله -جلّ وعلا- في سورة الأنعام: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾⁽³⁾، ﴿عَظِيمٍ﴾ في الآية اسم مجرور بالتبعية للفظ ﴿يَوْمٍ﴾ المجرور بالإضافة.

الموضع الرابع- قال الله - تبارك اسمه- في سورة التوبة أيضًا: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾⁽⁴⁾، ﴿الْعَظِيمِ﴾ في الآية بالجرّ نعت للفظ ﴿الْعَرْشِ﴾، وهو مجرور مثله، وفُرى ﴿الْعَظِيمِ﴾ بالرفع، فيكون نعتًا للفظ ﴿رَبِّ﴾، فيكون مرفوعًا مثله⁽⁵⁾.

الموضع الخامس- قال الله -جلّ في علاه- في سورة القصص عن قارون: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لِيَلْبِتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾⁽⁶⁾، ﴿عَظِيمٍ﴾ نعت للفظ ﴿حَظٍّ﴾ المجرور بالإضافة.

(1) الآية 105.

(2) الآية 174.

(3) الآية 15.

(4) الآية 129.

(5) ينظر: بحر العلوم، 2/ 101.

(6) الآية 79.

الموضع السادس- قال الله -عزّ وجلّ- في سورة الواقعة: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾⁽¹⁾،

﴿الْعَظِيمِ﴾ في كلا الموضعين نعت للرّبّ، ويجوز أن يكون نعتاً للاسم⁽²⁾.

الفرع السابع- تصريف لفظ "العظيم" نعتاً للمجرور بحرف الجر.

الموضع الأول- قال الله - تعالى- في سورة الأعراف: ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ

النَّاسِ وَاسْتَرَهُمُ بُحُورُهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾⁽³⁾، ﴿عَظِيمٍ﴾ في الآية نعت للفظ ﴿بِسِحْرِ﴾ مجرور مثله.

الموضع الثاني- قال الله -جلّ وعلا- في سورة التوبة: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ

مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابِ عَظِيمٍ﴾⁽⁴⁾، ﴿عَظِيمٍ﴾ نعت مجرور للفظ ﴿عَذَابِ﴾.

الموضع الثالث- قال الله -عزّ وجلّ- في سورة الأنبياء: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَجَئِيْنَهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾⁽⁵⁾، لفظ ﴿الْعَظِيمِ﴾ في الآية مجرور؛ لأنه نعت للفظ ﴿الْكَرْبِ﴾، الذي هو مجرور بحرف الجر.

الموضع الرابع- قال الله -جلّ شأنه- في سورة الشعراء: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ

بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ فَمَكَانَ كُلِّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾⁽⁶⁾، ﴿الْعَظِيمِ﴾ نعت لقوله: ﴿كَالطَّوْدِ﴾ مجرور مثله.

الموضع الخامس- قال الله - تقدّست أسماؤه- في سورة الصافات عن إسماعيل -عليه

السلام-: ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾⁽¹⁾، وقع ﴿عَظِيمٍ﴾ نعت لقوله: ﴿بِذَبْحٍ﴾ فجرّ مثله.

(1) الآية 74.

(2) ينظر: البحر المحيط في التفسير، 96/10.

(3) الآية 116.

(4) الآية 101.

(5) الآية 76.

(6) الآية 63.

الموضع السادس- قال الله جلّ وعلا- في سورة الزخرف: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا

الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾⁽²⁾، ﴿عَظِيمٍ﴾ نعت لقوله: ﴿رَجُلٍ﴾، مجرور مثله.

الموضع السابع- قال الله - سبحانه- في سورة الواقعة: ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ

الْعَظِيمِ﴾⁽³⁾، ﴿الْعَظِيمِ﴾ نعت لقوله: ﴿الْحِنثِ﴾، مجرور مثله بالتبعية.

الموضع الثامن- قال الله - تبارك وتعالى- في سورة القلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁽⁴⁾،

﴿عَظِيمٍ﴾ نعت للفظ ﴿خُلُقٍ﴾، مجرور مثله.

الموضع التاسع- قال الله - سبحانه- في سورة الحاقة: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ

الْعَظِيمِ﴾⁽⁵⁾، ﴿الْعَظِيمِ﴾ نعت للفظ الجلالة مجرور مثله.

الموضع العاشر- قال الله -تعالى- في سورة النبأ: ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾⁽⁶⁾، ﴿الْعَظِيمِ﴾ نعت

لفظ ﴿النَّبِيِّ﴾ مجرور مثله.

الموضع الحادي عشر- قال الله -جلّ جلاله- في سورة المطففين: ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ه﴾⁽⁷⁾،

﴿عَظِيمٍ﴾ نعت لقوله: ﴿لِيَوْمٍ﴾ مجرور.

الفرع الثامن- تصريف لفظ "العظيم" نعتاً لخبر كان.

ورد لفظ عظيم نعتاً لخبر كان في قول الله - تعالى- في سورة الفتح: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ

فَوْزًا عَظِيمًا﴾⁽¹⁾، ﴿عَظِيمًا﴾ وقع نعتاً للفظ ﴿فَوْزًا﴾، وهو خبر كان منصوب بها.

(1) الآية 107.

(2) الآية 31.

(3) الآية 46.

(4) الآية 4.

(5) الآية 33.

(6) الآية 2.

(7) الآية 5.

الفرع التاسع- تصريف لفظ "العظيم" نعتاً لخبر إن.

الموضع الأول- قال الله -جلّ جلاله- في سورة الحج: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾⁽²⁾، ﴿عَظِيمٌ﴾ نعت لخبر (إن)، وهو لفظ ﴿شَيْءٌ﴾، وقد رفع مثله بالتبعية.

الموضع الثاني- قال الله -تعالى- في سورة لقمان: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾⁽³⁾، ﴿عَظِيمٌ﴾ في الآية وقع نعتاً لقوله: ﴿لَظُلْمٌ﴾، وهو مرفوع مثله.

الموضع الثالث- قال الله -سبحانه- في سورة الواقعة: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾⁽⁴⁾، ﴿عَظِيمٌ﴾ في الآية نعت لخبر (إن) ﴿لَقَسَمٌ﴾، وهو مرفوع مثله.

الفرع العاشر- تصريف لفظ "العظيم" نعتاً للمعطوف.

الموضع الأول- قال الله -تبارك وتعالى- في سورة المائدة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁵⁾ ﴿عَظِيمٌ﴾ نعت للفظ ﴿وَأَجْرٌ﴾ وهو معطوف على المبتدأ ﴿مَغْفِرَةٌ﴾ مرفوع مثله.

الموضع الآخر- قال الله - سبحانه- في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّكِرِينَ وَالذَّكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽⁶⁾، ﴿عَظِيمًا﴾ نعت للفظ ﴿وَأَجْرًا﴾ وهو معطوف على المفعول به ﴿مَغْفِرَةً﴾ منصوب مثله.

(1) الآية 5.

(2) الآية 1.

(3) الآية 13.

(4) الآية 76.

(5) الآية 9.

(6) الآية 35.

المطلب الآخر- تصريف لفظ "العظيم" في وظائف إعرابية غير النعت في القرآن الكريم.

تصرّفت الأوجه الإعرابية التي جاء عليها لفظ "العظيم" غير نعت في القرآن الكريم، فوق خبراً لمبتدأ، ووقوع خبراً لكان، ووقوع خبراً لإنّ، وفي هذا المطلب سأنتبع هذه المواضع، وذلك بذكر الآية التي ورد فيها لفظ "العظيم"، ثم أذكر إعرابه حسب السياق الوارد فيه وسيراً على منوال المطلب الأول سأقسّم هذا المطلب إلى الفروع الآتية:

الفرع الأول- تصريف لفظ "العظيم" خبراً.

ورد لفظ "العظيم" خبراً في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، وهي كالاتي:

الموضع الأول- قال الله - تبارك اسمه- في سورة البقرة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ⁽¹⁾، في هذه الآية الكريمة خبر ثانٍ للمبتدأ ﴿وَهُوَ﴾، وهو مرفوع، و﴿الْعَلِيُّ﴾ هو الخبر الأول.

الموضع الثاني- قال الله - تعالى- في سورة النور: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ⁽²⁾، في الآية خبر للمبتدأ ﴿وَهُوَ﴾، وهو مرفوع، وعلامة رفعه الضمة.

(1) الآية 255.

(2) الآية 15.

الموضع الثالث- قال الله - تبارك وتعالى- في سورة الشورى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾⁽¹⁾، ﴿الْعَظِيمُ﴾ في هذه الآية الكريمة خبر ثانٍ للمبتدأ ﴿وَهُوَ﴾، وهو مرفوع، و﴿الْعَلِيُّ﴾ هو الخبر الأول.

الفرع الثاني- تصريف لفظ "العظيم" خبرًا لكان.

ورد لفظ "العظيم" خبرًا لكان في موضعين من القرآن الكريم، وهما:

الموضع الأول- قال الله -تبارك اسمه- في سورة النساء: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾⁽²⁾، ﴿عَظِيمًا﴾ خبر ﴿وَكَانَ﴾ منصوب بها.

الموضع الآخر- قال الله -سبحانه- في سورة الأحزاب أيضًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَظْرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسِينٍ لِحَدِيثٍ إِنَّ دُلُوكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مَنْ الْحَقَّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَآءِ حِجَابٍ ذُلُوكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ دُلُوكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾⁽³⁾، ﴿عَظِيمًا﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ منصوب بها، واسمها ضمير مستتر⁽⁴⁾.

الفرع الثالث- تصريف لفظ "العظيم" خبرًا لإن.

(1) الآية 4.

(2) الآية 113.

(3) الآية 53.

(4) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، لمحي الدين درويش، 42 / 8.

وقد ورد في موضع واحد من القرآن الكريم، وهو: قول الله – تبارك وتعالى- في سورة يوسف – عليه السلام-: ﴿فَلَمَّا رَعَا قَمِيصَهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾، رُفِعَ لفظ ﴿عَظِيمٌ﴾ في الآية؛ لأنه خبر ﴿إِنَّ﴾، و﴿كَيْدِكُنَّ﴾ اسمها.

(1) الآية 28.

المبحث الثاني- تصريف لفظ "العظيم" بالزيادة والنقصان.

المراد بالزيادة في هذا المقام هي زيادة الألفاظ، كالكلمة، والحرف، وذلك بأن يثبتا في موضع، ويحذفان من موضع آخر مشابه، فهذا قد وُجد في القرآن، أما قول علماء التفسير إنه لا زائد في القرآن⁽¹⁾، فالمراد به الزائد الذي لا معنى له، فكل حرف، أو كلمة زيدت لفظاً في القرآن لا بدّ أن يكون هناك معنى للزيادة، وكل موضعين تشابها، فزيد حرف أو كلمة في أحدهما وحذف من الآخر، كان لكل موضع معنى يخصه دون الآخر، وبتتبع السياق الوارد فيه لفظ "العظيم"، وجدتُ مواضع زيد فيها حرف وحذف من سياق آخر مشابه له، ووجدتُ مواضع زيدت فيها كلمة، وحذفت من سياق مشابه، ولما كان هذا المبحث مخصّصاً لتصريف لفظ "العظيم" بالزيادة والنقصان فإنّي سأتكلم عن تصريف لفظ "العظيم" بزيادة الواو وحذفها في المطلب الأول، وأخصّص المطلب الآخر للحديث عن تصريف لفظ "العظيم" بزيادة (هو) وحذفها.

المطلب الأول: تصريف لفظ "العظيم" بزيادة الواو وحذفها.

يُعبّر علماء البلاغة عن هذا المطلب بالوصل والفصل، وهو من الأمور التي يجب أن يراعيها كلّ ذي نظم في نظمه، ومواضع الوصل والفصل في القرآن الكريم تُعدّ من دلائل إعجازه، قال عبد القاهر الجرجاني: «وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كلّ باب وفروقه... وينظر في الجمل التي تُسرد، فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقّه الوصل موضع الواو من موضع الفاء»⁽²⁾، وفي موضع آخر نوّه بشأن الوصل والفصل، وجعلهما سرّاً من أسرار البلاغة، وأنه لا يُتقنه إلا قلة من البلغاء فقال: «اعلم أنّ العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخُصّ، وإلا قوم طُبِعوا على البلاغة، وأوتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد، وقد بلغ من قوّة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدّاً للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال: "معرفة الفصل من الوصل"؛ ذلك لغموضه ودقّة مسلكه، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد، إلا كَمُل لسائر معاني البلاغة»⁽³⁾.

(1) ينظر: مختصر في قواعد التفسير، لخالد السبت، ص 12.

(2) دلائل الإعجاز، 1/ 82.

(3) المصدر نفسه، 1/ 222.

وبناء على ذلك فإنني سأتناول في هذا المطلب تصريف زيادة الواو وحذفها في سياقين متشابهين ورد فيهما لفظ "العظيم"، فالأول في قول الله - تعالى: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، فقد جاءت بغير واو في تسعة مواضع من القرآن الكريم، وهذه المواضع هي: موضع في سورة المائدة⁽¹⁾، وموضعان في سورة التوبة⁽²⁾، وموضع في سورة الصف⁽³⁾، وموضع في سورة التغابن⁽⁴⁾، وجاءت بغير واو أيضًا في قول الله - سبحانه: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، في موضع في سورة التوبة⁽⁵⁾، وموضع في سورة يونس⁽⁶⁾، وموضع في سورة الدخان⁽⁷⁾، وموضع في سورة الحديد⁽⁸⁾.

وفي مقابل هذه الآيات زيدت الواو في قول الله - عز وجل: ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ في موضع في سورة النساء⁽⁹⁾، كما زيدت الواو في قوله - سبحانه: ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، في موضعين، موضع في سورة التوبة⁽¹⁰⁾، وموضع في سورة غافر⁽¹¹⁾.

لقد حاول بعض من كَتَبَ في الآيات المتشابهة أن يبيّنوا علّة زيادة الواو في موضع وحذفها من آخر في سياق مشابه له، ومن هؤلاء العلماء الخطيب الإسكافي، فقد تعرّض لذكر زيادة الواو وحذفها فيما نحن بصددده فقال: «لَمْ ذَكَرَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وَفِي سُورَةِ الْحَدِيدِ: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وَفِي غَيْرِهِمَا ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾»⁽¹²⁾، ثم شرع في بيان العلّة التي لأجلها ذُكرت الواو في سورة النساء فقال: «وَأَمَّا إِدْخَالُ الْوَاوِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ الْمَحذُوفِ ﴿أَبَدًا﴾ عَنْهُ فَلِإِدْخَالِ الْوَاوِ فِي قَرِينَةِ الْكَافِرِ ﴿وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، فَأَدْخَلَ الْوَاوَ فِيهِ، أَي: وَذَلِكَ لَهُمُ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ فِي الْمَوَاضِعِ

(1) الآية 119.
(2) الآية 89، والآية 100.
(3) الآية 12.
(4) الآية 9.
(5) الآية 72.
(6) الآية 64.
(7) الآية 57.
(8) الآية 12.
(9) الآية 13.
(10) الآية 11.
(11) الآية 9.
(12) درة التنزيل وغرة التأويل، 1/ 471.

الأخر»⁽¹⁾، ثم ذكر الإسكافي ضابطاً عاماً لمواضع الزيادة والحذف فقال: «إذا قرأت ما قبلها وما بعدها تبين لك ما قلت فاعرفه»⁽²⁾، فالضابط الذي ذكره الإسكافي في زيادة الواو وحذفها هو المُشاكلة، فإذا زيدت الواو قبل الآية أو بعدها زيدت فيها، وإن حُذفت حُذفت كذلك.

ولكن بالرجوع للآيات التي ذكر فيها ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، والنظر في سباقها ولحاقها، لا نجد اطراداً للضابط الذي جعله الإسكافي علة للزيادة والحذف، فمن ذلك قول الله - تعالى- في سورة التوبة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عِدْنٍ وَّرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽³⁾، فقد جاءت الجملة دون واو في هذا الموضع، بينما ذُكرت الواو في الآية التالية لها، وهي قوله - سبحانه-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جُهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وِبئسَ الْمَصِيرُ﴾⁽⁴⁾، وهذا يجعلنا نبحت عن علة أخرى لذكر الواو في موضع وحذفها من آخر مشابه، تكون أدق مما ذكره الإسكافي.

إذا تأمل أحدنا في زيادة الواو وحذفها من المواضع السابقة ظهر له أنّ حذف الواو أكثر من ذكرها، فالأصل هو القطع دون الوصل، وإنما كان الأصل هو القطع دون الوصل؛ لأنّ جملة ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ مؤكدة ومبينة للجمل التي سبقتها، فاستغنت عن الصلّة، فقد ذكر عبد القاهر الجرجاني أنّ من «الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها، وتستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها، وهي كل جملة كانت مؤكدة للتي قبلها ومبينة لها، وكانت إذا حصلت لم تكن شيئاً سواها، كما لا تكون الصفة غير الموصوف، والتأكيد غير المؤكد»⁽⁵⁾، ولكن لما كانت هناك نكتة بلاغية في بعض المواضع التي ختمت بقوله: ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، استدعى ذلك ذكر الواو التي تربط بين الجملتين.

ولنتعرض الآن لجميع المواضع التي زيدت فيها الواو، والتي حُذفت منها، وننظر في كل موضع منها، ونبدأ بالتي حُذفت منها الواو؛ لأنّها الأصل.

(1) درة التنزيل وغرة التأويل، 1/ 476-477.

(2) المصدر نفسه، 1/ 477.

(3) الآية 72.

(4) الآية 73.

(5) دلائل الإعجاز، 1/ 227.

الموضع الأول- قال الله - جلّ جلاله- في سورة المائدة: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽¹⁾، فجملة ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، مؤكدة ومبيّنة للنّعيم الذي حصل لهم، وهو دخول الجنة والخلود فيها، وليس هناك ما يقتضي العطف بحرف العطف.

الموضع الثاني- قال الله - سبحانه- في سورة التوبة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽²⁾ أيضًا جملة ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، في هذه الجملة تأكيد وبيان لجملة ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّٰتٍ﴾، وليس هناك ما يُحترز منه فيحتاج للعطف.

الموضع الثالث- قال الله - تعالى- في سورة التوبة عن رسول الله -ﷺ- والذين آمنوا معه: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خٰلِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽³⁾، يقال فيها ما قيل فيما سبقها فالجملة بيان وتأكيد.

الموضع الرابع- قال الله - تبارك وتعالى- في سورة التوبة أيضًا: ﴿وَالسَّبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽⁴⁾، لمّا كان رضى الله عنهم غير الثواب الذي أعدّه لهم فصل بالعطف فقال: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، ولمّا كان رضى الله والثواب هو نفسه الفوز العظيم قطع فقال: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ تأكيدًا وبيانًا.

الموضع الخامس- قال الله - سبحانه- في سورة يونس عن أولياء الله المتقين: ﴿لَهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽⁵⁾، فالبشرى التي وعدّها أولياء الله في الدنيا والآخرة هي نفسها الفوز العظيم.

(1) الآية 119.

(2) الآية 72.

(3) الآية 89.

(4) الآية 100.

(5) الآية 64.

الموضع السادس- قال الله - جلّ في علاه- في سورة الدّخان بعد أن ذكر ما أعده للمتقين، وذكر لباسهم ونساءهم وأكلهم: ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽¹⁾، فما وُعدّه المتّقون من هذا الجزاء هو نفسه الفوز العظيم، فجاءت جملة ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ بلا رابط؛ لأنّها تأكيد وبيان لهذا الجزاء.

الموضع السابع- قال الله - سبحانه- في سورة الحديد: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكَمُ الْيَوْمِ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خُلِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽²⁾، فسعى النور بين أيديهم وبأيمنهم، وتبشيرهم بالجنة هو نفسه الفوز العظيم، فاستغنت الجملة عن الرابط.

الموضع الثامن- قال الله - تقدّست أسماؤه- في سورة الصف مخاطبًا المؤمنين إن ثبتوا على إيمانهم وجاهدوا في سبيل الله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽³⁾، فمغفرة الذنوب ودخول الجنات هو نفسه الفوز العظيم، فأكدت الجملة فلم تحتج لرابط.

الموضع التاسع- قال الله - تبارك اسمه- في سورة التّغابن: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خُلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽⁴⁾، فتكفير السيئات ودخول الجنات هو نفسه الفوز العظيم، وهذا استدعى ذكر الجملة الثانية بلا رابط.

فالرابط المشترك بين كلّ هذه المواضع هو كون جملة ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، مؤكدة ومبينة للجمال التي سبقتها، فاستغنت عن الرابط.

أما المواضع التي زيدت فيها الواو، فهي كالآتي:

(1) الآية 57.

(2) الآية 12.

(3) الآية 12.

(4) الآية 9.

الموضع الأول- قال الله - سبحانه- في سورة النساء: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽¹⁾، لما سبق ذكر هذه الآية ذكر آيات المواريث، وكيفية تقسيم الإرث، قال هنا: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ قال الطبري في هذا الموضع من تفسيره: «هذه القسمة التي قسم بينكم أيها الناس عليها ربكم مواريث موتاكم، فصول فصل بها لكم بين طاعته ومعصيته، وحدود لكم تنتهون إليها فلا تتعدوها، وفصل منكم أهل طاعته من أهل معصيته فيما أمركم به من قسمة مواريث موتاكم بينكم، وفيما نهاكم عنه منها»⁽²⁾، فلما كانت جملة ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ ليست هي الفوز العظيم احتاج لذكر الرابط، ويجوز أن تكون الواو في قوله: ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ واو الحال⁽³⁾، فهي لبيان حال من أطاع الله ورسوله.

الموضع الثاني- قال الله - تعالى- في سورة التوبة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ الْجَنَّةُ يُفْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽⁴⁾، في هذه الآية ذكر الله - سبحانه- التجارة التي حصلت بينه وبين المجاهدين في سبيله، فذكر المشتري، وهو رب العزة، وذكر البائع، وهم المؤمنون، وذكر الثمن، وهو الجنة، وأكد لهم هذا العقد في أعظم كتبه، ثم أمرهم بالاستبشار بهذا البيع، فهو بيع رابح لا خسارة فيه ألبتة، ثم ختم الآية بقوله: ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، فالفوز العظيم هو دخولهم الجنة والخلود فيها، ولكن لما فصل بين ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، وهو الجنة، وبين الإشارة إليه بقوله: ﴿وَذَلِكَ﴾ بفاصل، وهو ذكر القتال، وأنه في كتبه المنزلة، وأنه لا أحد أوفى بعهده من الله، احتاجت الجملة لرابط، فربطت بالواو.

(1) الآية 13.

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 6/ 489.

(3) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، لمحي الدين درويش، 2/ 178.

(4) الآية 111.

الموضع الثالث- قال الله - تبارك وتعالى- في سورة غافر في دعاء الملائكة للمؤمنين: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽¹⁾، في هذه الآية ذكر من الله - جلّ في علاه- لدعاء الملائكة للتائبين من المؤمنين، ومن دعائهم لهم أن يقبهم الله السيئات، أي: «سوء عاقبة سيئاتهم التي كانوا أتوها قبل توبتهم وإنابتهم، يقولون: لا تؤاخذهم بذلك، فتعذبهم به»⁽²⁾، فإنّ من وُقِيَ السيئات رُحِمَ، ولكنّ ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ لا يتمّ إلا بدخول الجنة؛ ولذلك سبق هذا الدعاء دعاء بدخول الجنة، وهو قوله - سبحانه-: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁽³⁾، فالفوز لا يحصل إلا بالنجاة من النار ودخول الجنة، وقد دعا الملائكة بهذا، ثم لما كانت جملة دعاء الملائكة طلبية، وجملة: ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ خبرية حصل الربط بالواو.

المطلب الآخر- تصريف زيادة لفظ (هو) وحذفها.

يُسمى الضمير الذي يقع بين المبتدأ والخبر، أو ما أصله المبتدأ والخبر فصلاً عند البصريين، وعماداً عند الكوفيين⁽⁴⁾، ويؤتى به ليفصل بين الخبر والنعت⁽⁵⁾، أي: يُفرق بينهما، «وذلك إذا قلت: زيد هو القائم، فلو لم تأت ب (هو) لاحتمل أن يكون القائم صفة لزيد، وأن يكون خيرًا عنه، فلما أتيت ب (هو) تعين أن يكون القائم خيرًا عن زيد»⁽⁶⁾، أما وظيفته البلاغية فهي التوكيد، ذكر أرباب البلاغة أنّ: «من مؤكّدات الجملة أيضًا ضمير الفصل؛ فإنه تأكيد»⁽⁷⁾، وقد يؤتى بضمير الفصل لإرادة الحصر والتخصيص⁽⁸⁾.

ثمّ لما كان هذا المطلب مخصّصاً لتصريف زيادة (هو) وحذفها في السياق المتشابه للفظ "العظيم"، فإنني سأنتبع مواضع زيادة (هو) في قول الله - سبحانه-: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾،

(1) الآية 9.

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 20 / 286.

(3) الآية 8.

(4) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب، للزمخشري، ص 172.

(5) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، 2 / 579.

(6) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، 1 / 372.

(7) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، 1 / 129.

(8) ينظر: النحو الوافي، 1 / 244.

وأذكر سبب الزيادة في هذا السياق، ثم أردفها بذكر مواضع الحذف في قول الله - تعالى: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، وذلك في الفرعين الآتيين:

الفرع الأول- تصريف مواضع زيادة (هو) في قول الله - تعالى: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

زيدت (هو) في مثل هذا السياق في ستة مواضع من القرآن الكريم، وفي هذا الفرع سأستعرض هذه المواضع، وأحاول تأمل ما فيها من دلالات.

الموضع الأول- قال الله - تبارك وتعالى- في سورة التوبة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عِدْنٍ وَّرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽¹⁾، ذكر الله - عزَّ وجلَّ- ضمير الفصل في هذا الموضع ليفيد الحصر، أي: حصر الفوز في دخول الجنة، والخلود فيها، وحصول رضى الله عنهم، قال الرازي: «والمعنى: أن هذا هو الفوز العظيم، لا ما يطلبه المنافقون والكفار من التمتع بطيبات الدنيا»⁽²⁾، وقد ذكر الله قبل هذه الآية حال الخاسرين مع ظنهم أن ما هم فيه فوزاً، فقال: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَآكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾⁽³⁾، فلما ظنوا أن ما هم فيه من الاستمتاع بالأموال والأولاد في الدنيا فوزاً، حصر لهم الفوز فيما يحصل للمؤمنين يوم القيامة.

ثم إن هذا السياق فيه إطناب، والإطناب من مقاصد البلاغ، وهو تأدية المعنى بلفظ زائد لفائدة⁽⁴⁾، فقد أطنب الله في ذكر ما وعد به المؤمنين يوم القيامة، فذكر وعدهم بالجنة، ثم وصفها بأنها تجري من تحتها الأنهار، ثم ذكر خلودهم فيها، ثم ذكر مساكنهم فيها، ثم ذكر حصول رضوانه، فناسب هذا الإطناب أن يذكر ضمير الفصل (هو).

الموضع الثاني- قال الله - جلَّ في علاه- في سورة التوبة أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا

(1) الآية 72.

(2) التفسير الكبير، 16 / 102.

(3) سورة التوبة، الآية 69.

(4) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، 1 / 579.

فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ⁽¹⁾، تنصّر هذه الآية آيات الترغيب في الجهاد، وذلك لما اشتملت عليه من أسلوب بديع يشحذ الذهن، ويُقرّب المعنى، ويُعليّ الهمة، وأيضًا لأسلوبها التوكيدي الذي يحقق حصول الوعد، ففي هذه الآية ذكّر الله - سبحانه - أنه اشترى أنفس المؤمنين وأموالهم، وجعل الثمن على ذلك هو الجنة، ولما كان في هذه الآية ترغيب لبذل أنفس ما يملك المسلم، وهو نفسه، ذكر الله - تعالى - مؤكّدات تؤكد حصول الوعد، وهو الفوز بالجنة، ومن هذه المؤكّدات: ضمير الفصل، وقد ذكر الرازي هذه المؤكّدات فقال: «اعلم أن هذه الآية مشتملة على أنواع من التأكيدات: فأولها: قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾، فيكون المشتري هو الله - المقدّس عن الكذب والخيانة - وذلك من أدلّ الدلائل على تأكيد هذا العهد، والثاني: أنه عبّر عن إيصال هذا الثواب بالبيع والشراء؛ وذلك حقّ مؤكّد، وثالثها: قوله: ﴿وَعَدَا﴾، ووعد الله حقّ، ورابعها: قوله: ﴿عَلَيْهِ﴾، وكلمة (على) للوجوب، وخامسها: قوله: ﴿حَقًّا﴾، وهو التأكيد للتحقيق، وسادسها: قوله: ﴿فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾، وذلك يجري مجرى إسهاد جميع الكتب الإلهية، وجميع الأنبياء والرسل على هذه المبايعة، وسابعها: قوله: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾، وهو غاية في التأكيد، وثامنها: قوله: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾، وهو أيضًا مبالغة في التأكيد، وتاسعها: قوله: ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ﴾، وعاشرها: قوله: ﴿الْعَظِيمُ﴾، فثبت اشتمال هذه الآية على هذه الوجوه العشرة في التأكيد، والتقريب، والتحقيق⁽²⁾، ثم أيضًا حصل إطناب في هذه الآية، بذكر الشراء، وذكر البائع، والمشتري، والثمن، وذكر صبر المؤمنين على القتال والقتل، ثم ذكر توثيق هذا الوعد في أشرف الكتب السماوية، فهذا الإطناب ناسب ذكر ضمير الفصل.

الموضع الثالث - قال الله - تبارك اسمه - في سورة يونس - عليه السلام - عن أولياء الله:
﴿لَهُمْ النَّبِيُّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽³⁾، أراد الله - تعالى - في هذه الآية وما سبقها أن يؤكد نفي الخوف والحزن عن أوليائه، وأن يقصر البشرى عليهم، دون من سواهم، كما أراد أن يؤكد أنّ هذا الفوز هو الفوز العظيم، لا ما يعدّه

(1) الآية 111.

(2) التفسير الكبير، 16 / 152.

(3) الآية 64.

الناس فوزاً، فبالغ – سبحانه- في الإتيان بالمؤكدات، لتأكيد ما وعدهم فإنَّ «المبالغة في الألفاظ إنما تكون تبعاً للبلاغة في المعاني»⁽¹⁾، ولذلك افتتح الله الحديث عنهم بأداة الاستفتاح ﴿الآ﴾، وهي من أدوات التوكيد⁽²⁾، ثم أتى بحرف التوكيد ﴿إِنَّ﴾، ثم خصَّهم بالبشرى، فقدم الخبر ﴿لَهُمْ﴾، على المبتدأ ﴿الْبُشْرَى﴾، وتقديم ما حقه التأخير يفيد الاختصاص⁽³⁾، ثم أكد حصول البشرى بقوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾، ثم أتى بضمير الفصل ﴿هُوَ﴾، الذي يفيد التوكيد، ويفيد قصر الفوز العظيم بما نالوه، دون ما يعده الناس فوزاً، والإطناب في ذكر صفات أولياء الله، وما وعدوا به من البشرى في الدنيا والآخرة يناسبه ذكر ضمير الفصل.

الموضع الرابع- قال الله – تعالى- في سورة غافر، في سياق دعاء الملائكة للمؤمنين: ﴿وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقَى السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽⁴⁾، يخبرنا – تعالى- في سياق هذه الآيات عن دعاء الملائكة للمؤمنين، فيقول: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾⁽⁵⁾، ثم ذكر الله أنّ الملائكة دعوا للمؤمنين بأن يقيهم عذاب النار، وأن يدخلهم الجنة، ثم حصر الفوز وقصره على حصول سؤال الملائكة، فالفوز الحقيقي هو بالنجاة من النار، ودخول الجنة، كما قال – سبحانه- في موضع آخر: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾⁽⁶⁾، قال البقاعي: «وَذَلِكَ﴾ أي: الأمر العظيم جداً ﴿هُوَ﴾ أي: وحده ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾»⁽⁷⁾، وقال الشوكاني عند هذا الموضع من تفسيره: «﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي: الظفر الذي لا ظفر مثله، والنجاة التي لا تساويها نجاة»⁽⁸⁾، ولما حصل الإطناب في دعاء الملائكة للمؤمنين، ناسب أن يذكر ضمير الفصل.

(1) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، 2/ 88.
(2) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، 1/ 130.
(3) ينظر: حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، للتفتازاني، 2/ 198.
(4) الآية 9.
(5) سورة غافر، من الآية 7.
(6) سورة آل عمران، من الآية 185.
(7) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 17/ 16.
(8) فتح القدير، 4/ 553.

الموضع الخامس- قال الله - جل في علاه- في سورة الدخان بعد أن بيّن جزاء المتقين وما أُلوا إليه: ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽¹⁾، لما ذكر الله - سبحانه- في سياق هذه الآية جزاء المتقين، وذكر لباسهم، وأزواجهم، وطعامهم، وأمنهم من كلّ خوف، ووقايتهم عذاب الجحيم، بيّن أنّ كل ما حصل لهم إنما هو بفضل الله عليهم، ثم قصر الفوز على ما نالوه من الثواب، والأمن من العقاب، ولذلك أتى بضمير الفصل؛ ليقصر الفوز على ما نالوه، لا ما يعده الناس فوزاً، قال ابن عاشور عند هذا الموضع من تفسيره: «وأتي بضمير الفصل لتخصيص الفوز بالفضل المشار إليه، وهو قصر لإفادة معنى الكمال، كأنه لا فوز غيره»⁽²⁾، ولما كان هذا الموضع في سياق الإطناب بذكر جزاء المتقين ناسب ذكر ضمير الفصل.

الموضع السادس- قال الله - جلّ وعلا- في سورة الحديد: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بِشْرِكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خُلْدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽³⁾، ذكر الله في هذا الموضع حالة من حالات المؤمنين، وهي حالهم على الصراط⁽⁴⁾، فحصر الله فوز المؤمنين في هذا الموضع في أمرين: أحدهما سعي نورهم بين أيديهم وبأيمنانهم، والآخر تبشيرهم بالجنة، فإذا حصل لهم الأمران تمّ لهم الفوز العظيم، قال أبو السعود⁽⁵⁾: «﴿ذَلِكَ﴾، أي: ما ذكر من النور والبشرى بالجنّات المخلّدة ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الذي لا غاية وراءه»⁽⁶⁾، وقال الشوكاني عند هذا الموضع من تفسيره مُنَوِّهاً بقصر الفوز عليهم: «والإشارة بقوله: ﴿ذَلِكَ﴾ إلى النور والبشرى، وهو مبتدأ، وخبره ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي: لا يقادر قدره، حتى كأنه لا فوز غيره، ولا اعتداد بما سواه»⁽⁷⁾، فجاء بضمير الفصل في هذا الموضع لحصر الفوز للمؤمنين على الصراط، وقد يُراد بضمير الفصل التأكيد، كما قال ابن

(1) الآية 57.

(2) التحرير والتنوير، 320 / 25.

(3) الآية 12.

(4) ينظر: بحر العلوم، 404 / 3.

(5) هو: محمد بن محمد بن مصطفى، أبو السعود أفندي، الإمام، الكبير، برع في عدّة علوم، وفاق أقرانه، له مصنفات كثيرة، منها: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، وتحفة الطلاب، وقصة هاروت وماروت، توفي عام: 982هـ. ينظر: البدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع، 1 / 261، والأعلام للزركلي، 7 / 59.

(6) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 8 / 207.

(7) فتح القدير، 5 / 204.

عاشور عند هذا الموضع من تفسيره: «وضمير الفصل لتقوية الخبر»⁽¹⁾، وفي هذا الموضع من الإطناب ما لا يخفى، فلما أطنب في ذكر ما بُشروا به ناسب الإطناب بذكر ضمير الفصل.

الفرع الآخر- تصريف مواضع حذف (هو) في قول الله - تعالى-: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

حُذِفَ لَفْظُ (هُوَ) فِي مِثْلِ هَذَا السِّيَاقِ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ أَيْضًا مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَقَدْ خَصَّصْتُ هَذَا الْمَطْلَبَ لَذِكْرِ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ، وَمَحَاوَلَةِ بَيَانِ مَا فِيهَا مِنْ مَقَاصِدِ.

الموضع الأول- قال الله - تعالى- في سورة النساء: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽²⁾، هذه الآية

جاءت بعد ذكر آيات المواريث، فهي خطاب من الله - تعالى- لعباده المؤمنين، ولما كان المؤمنون غير مُنكرين لما يُخبر الله به، لم يأت - سبحانه- بما يؤكد كلامه، وإنما ساقه لهم خبرًا مجردًا عن التوكيد، فلم يقل: وإن من يطع الله، ولم يأت بضمير الفصل الذي يدل على توكيد الجملة، وإنما ساقه خبرًا عاريًا عن المؤكّدات، لما يوجب عليه إيمانهم من تصديق أخبار الله ورسوله، ثم لما كان هذا الموضع موجزًا بذكر جزاء من أطاع الله ورسوله ناسب الإيجاز بحذف ضمير الفصل.

الموضع الثاني- قال الله - جلّ وعلا- في سورة المائدة: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ

صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽³⁾، قول الله - سبحانه-: ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ يقع يوم القيامة⁽⁴⁾،

وإذا قاله الله يوم القيامة لم يحتج إلى توكيد، ومن المفسرين من ذهب إلى أن الله - جلّ وعلا- قاله لعيسى - عليه السلام-، وكان هذا القول واقعًا ﴿يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾، وعلى هذا المعنى أيضًا لم يحتج لتوكيد، فعيسى - عليه السلام- موقن وليس بمُنكر، ثم إن الإيجاز في ذكر جزاء الصادقين بدخول الجنة والخلود فيها وحلول رضى الله ناسب الإيجاز بحذف ضمير الفصل.

(1) التحرير والتوير، 381 / 27.

(2) الآية 13.

(3) الآية 119.

(4) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، 224 / 2.

الموضع الثالث- قال الله - تبارك وتعالى- في سورة التوبة مخبراً عن رسوله وعن المؤمنين معه: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (1)، في هذه الآية الكريمة لم يذكر الله ضمير الفصل، فالكلام في وصف حال رسول الله - ﷺ - وحال أصحابه، يخبر الله - تعالى- عن حالهم أولاً، ثم يتبعه بذكر جزائهم، قال في وصف حالهم: ﴿لَكِنَّ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ (2)، ثم أردفه بذكر جزائهم فقال: ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ أَحْسَنُ وَأَوْلَىٰ لَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ ٨٨ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (3)، فالكلام عن الرسول وللرسول، فاستغنت الجملة عن المؤكّدات، ثم إن هذا السياق موجز؛ فقد ذكر الله جزاء رسوله ومن آمن معه إيجازاً، فلم يأت بضمير الفصل لأجل الإيجاز.

الموضع الرابع- قال الله - سبحانه وتعالى- في سورة التوبة أيضاً: ﴿وَالسَّبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (4)، في هذه الآية ذكر - سبحانه- جزاء السابقين من المهاجرين والأنصار ومن اتبعهم بإحسان، فأخبر عنهم بالفعل الذي يفيد التجدد وهو قوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، فلم يأت بضمير الفصل الذي يفيد التوكيد، ولما أتى في موضع آخر بالجملة الاسمية فقال: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ والجملة الاسمية أفضل ناسب الإتيان بضمير الفصل، فلما اختلف السياقان، اختلف معهما التركيب، ولما كان السياق موجزاً من غير إطناب في ذكر جزائهم حذف ضمير الفصل.

الموضع الخامس- قال الله - عز وجل- في سورة الصف في خطاب عباده المؤمنين: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (5)، أمر الله عباده المؤمنين في سياق هذه الآية بأمرين هما الإيمان والجهاد، ثم بيّن لهم الجزاء وهو مغفرة الذنوب، ودخول الجنات، ولم يذكر في هذا السياق رضوانه - تعالى- فلذلك لم

(1) الآية 89.

(2) سورة التوبة، من الآية 88.

(3) سورة التوبة، من الآية 88- 89.

(4) الآية 100.

(5) الآية 12.

يأت بضمير الفصل، ثم لما أوجز الأوامر في أمرين وهما: الإيمان والجهاد، أوجز بحذف ضمير الفصل.

الموضع السادس- قال الله - جلّ وعلا- في سورة التغابن: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽¹⁾، هذه الآية جاءت في خطاب الكفار، حيث جاء في سياقها قوله: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ٧ فَاٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ وَاَلْتَّوْرَ الَّذِيْ اَنْزَلْنَا وَاَللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ﴾⁽²⁾، ولما لم يُفصل في جزاء من آمن، وإنما أوجز فذكر الإيمان بالله فقط، دون بقية الأركان، ناسب أن يوجز بحذف ضمير الفصل.

إنّ ما ذكر في الآيات السابقة ليدلّ دلالة واضحة على أنّ هذا القرآن من عند الله، فهو يُصرف كلّ لفظ في موضعه الذي يناسبه، ويحذف اللفظ حين يكون الحذف هو الأنسب للمقام، ويوجز في مواضع الإيجاز، ويطنب في مواضع الإطناب، ولا يأتي في موضع بلفظ وغيره أنسب منه، ولا يحذف لفظًا وذكره أفصح، ولا يزيد لفظًا والفصاحة حذفه؛ بل هو في غاية الإتقان والإحكام، وتصريف آياته من دلائل إعجازه.

(1) الآية 9.
(2) سورة التغابن، الآيتان 7-8.

المبحث الثالث- التصريف القرآني للفظ "العظيم" بالتعريف والتنكير.

من التصريفات التي وقعت للفظ "عظيم" في القرآن الكريم تعريفه وتنكيره، فقد أتى في مواضع معرفة، فيما جاء في مواضع أخرى نكرة، وباستقراء مواضع ورود لفظ "عظيم" في القرآن الكريم نلاحظ أنّ هناك مواضع لم يُستعمل فيها لفظ "عظيم" إلا نكرة، فيما نجد مواضع أخرى لم يستعمل فيها إلا معرفة، في حين ورد معرفة تارة ونكرة تارة أخرى في مواضع أخرى، وبناء على ذلك قمتُ بتقسيم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب، خصصتُ الأول منها للتصريف القرآني للكلمات التي وُصفت بالعظيم ولم تُرد بهذا الوصف إلا نكرة، فيما تكلمتُ في المطلب الثاني على التصريف القرآني للكلمات التي وُصفت بالعظيم ولم تُرد بهذا الوصف إلا معرفة، في حين تناولتُ في المطلب الثالث التصريف القرآني للكلمات التي وُصفت بالعظيم وجاءت نكرة تارة، ومعرفة تارة أخرى.

المطلب الأول- التصريف القرآني للكلمات التي وُصفت بالعظيم ولم تُرد بهذا الوصف إلا نكرة.

يُعرّف العلماء النكرة بأنّها: «ما لم تُخصَّ الواحد من جنسه، نحو: رجل و غلام»⁽¹⁾، وهناك علامات يعرف بها تنكير الكلمة، فإذا صلحت إحداها للدخول على الكلمة دلّ ذلك على تنكيرها، وهذه العلامات هي: «رُبّ، والألف واللام، والتنوين في أصل الوضع»⁽²⁾، وهناك أغراض تُقصد من تنكير الكلمة، منها: إرادة الوحدة، وإرادة الجنس، والتعظيم، والتهويل، والتكثير، والتقليل، والتخصيص، والتحقير، والتجاهل والاستهزاء⁽³⁾، وقد تصرّف تنكير لفظ "العظيم" في أربعة وستين موضعًا من القرآن الكريم، وفي هذا المطلب سأنتبع هذه المواضع، وأحاول بيان دلالة التنكير في كلّ موضع.

الفرع الأول- تصريف لفظ ﴿بَلَاءٌ﴾ المنعوت بالعظيم.

لم يأت نعت البلاء بالعظيم في القرآن الكريم إلا نكرة، وجاء ذلك في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، فالأول في قول الله - سبحانه- في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاهُ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْتَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾⁽⁴⁾.
والثاني ورد في قول الله - تعالى- في سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ

(1) اللع في العربية، لابن جني، ص 98.

(2) البديع في علم العربية، لابن الأثير، 2/ 2.

(3) ينظر: معاني النحو، للدكتور فاضل السامرائي، 1/ 41.

(4) الآية 49.

يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ آبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١﴾،
 والثالث- جاء في قول الله - جلّ وعلا- في سورة إبراهيم - عليه السلام-: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَلَكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (2)، وفي كل هذه المواضع نُكِرَ البلاء، وتبعه لفظ عظيم ليدلّ على تهويل البلاء الذي حصل لبني إسرائيل.

الفرع الثاني- تصريف لفظ ﴿عَذَابٌ﴾ المنعوت بالعظيم.

لم يرد نعت العذاب بالعظيم في القرآن الكريم إلا نكرة، وقد تَصَرَّفَ في خمسة عشرة موضعاً من القرآن الكريم، وذلك في قول الله - سبحانه- في سورة البقرة: ﴿حَتَّمَا اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (3)، وقال الله - تعالى- في سورة البقرة أيضاً: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (4)، وقال - تبارك اسمه- في سورة آل عمران: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (5)، وقال - تقدّست أسماؤه- في سورة آل عمران أيضاً: ﴿وَلَا يَخْرُجُكَ الَّذِينَ يَسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزْباً فِي الآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (6).

وقال في سورة النساء: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ (7)، وقال - جلّ جلاله- في سورة المائدة بعد أن ذكر جزاء المحارِبين: ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (8)، وقال - جلّ في علاه-

(1) الآية 141.

(2) الآية 6.

(3) الآية 7.

(4) الآية 114.

(5) الآية 105.

(6) الآية 176.

(7) الآية 93.

(8) من الآية 33.

في سورة المائدة أيضاً: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَظْهَرِ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾، وقال الله - عز وجل - في سورة الأنفال: ﴿لَوْلَا كَتَبَ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ
فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽²⁾، وقال في سورة التوبة: ﴿وَمَنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا
تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾⁽³⁾، وقال - سبحانه - في سورة
النحل: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا أَلْسُوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁴⁾، وقال الله - جل في علاه - في سورة النحل أيضاً: ﴿مَنْ كَفَرَ
بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ
مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁵⁾، وقال - تقدست أسماؤه - في سورة النور: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ
مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁶⁾، وقال الله - عز وجل - في سورة النور أيضاً: ﴿لَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁷⁾، وقال في سورة النور
أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ﴾⁽⁸⁾.

وقال الله - سبحانه - في سورة الجاثية: ﴿مَنْ وَرَّاهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُعْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا
شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁹⁾، ففي كل موضع من هذه المواضع
جاء لفظ ﴿عَظِيمٌ﴾ نكرة، وفي ذلك دلالة على تعظيم العذاب وتهويله، فهو عذاب ليس كسائر
العذاب المعهود.

الفرع الثالث- تصريف لفظ ﴿أَجْرٌ﴾ المنعوت بالعظيم.

(1) من الآية 41.

(2) الآية 68.

(3) من الآية 101.

(4) الآية 94.

(5) الآية 106.

(6) من الآية 11.

(7) الآية 14.

(8) الآية 23.

(9) الآية 10.

يُعدّ الأجر العظيم من المواضع التي لم تأت إلا نكرة في القرآن العظيم، فلم يُنعت الأجر بالعظمة إلا إذا جاء نكرة، وقد تصرف في ثمانية عشرة موضعاً من القرآن الكريم، وهي قول الله - سبحانه- في سورة آل عمران: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِمَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾، وقوله - تعالى- في سورة آل عمران أيضاً: ﴿وَإِنْ تُوْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾⁽²⁾، وقال الله - عز وجل- في سورة النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽³⁾، وقال في سورة النساء أيضاً: ﴿وَإِذَا لَاتَيْتُهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽⁴⁾، وقال - جلّ في علاه- في سورة النساء أيضاً: ﴿وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽⁵⁾، وقال الله - تقدّست أسماؤه- في سورة النساء أيضاً: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽⁶⁾، وقال في سورة النساء أيضاً: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽⁷⁾.

وقال الله - تعالى- في سورة النساء أيضاً: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽⁸⁾، وقال - جلّ وعلا- في سورة النساء أيضاً: ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽⁹⁾، وقال الله - تعالى- في سورة المائدة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁰⁾، وقال - سبحانه- في سورة الأنفال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوْلَكُمُ وَأَوْلَدُكُمْ فَتَنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹¹⁾، وقال في سورة التوبة:

-
- (1) الآية 172.
(2) من الآية 179.
(3) الآية 40.
(4) الآية 67.
(5) من الآية 74.
(6) من الآية 95.
(7) الآية 114.
(8) من الآية 146.
(9) من الآية 162.
(10) الآية 9.
(11) الآية 28.

﴿خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾، وقال الله -جلّ جلاله- في سورة الأحزاب: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽²⁾، وقال في سورة الأحزاب أيضًا: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽³⁾، وقال - تعالى- في سورة الفتح: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽⁴⁾، وقال في سورة الفتح أيضًا: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽⁵⁾، وقال الله - تعالى- في سورة الحجرات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁶⁾، وقال - جلّ وعلا- في سورة التغابن: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁷⁾.

ووقع نعت الأجر بالعظيم نكرة ليدلّ على تعظيم الأجر، ويراد به أيضًا التكرير، فهو أجر عظيم وكثير، وهناك من العلماء من لا يفرّق بين التعظيم والتكرير، قال الخطيب القزويني: «والسكاكي⁽⁸⁾ لم يفرّق بين التعظيم والتكرير، ولا بين التّحقير والتّقليل»⁽⁹⁾.

الفرع الرابع- تصريف لفظ ﴿يَوْمٍ﴾ المنعوت بالعظيم.

من المواضع التي لم تجئ في القرآن الكريم إلا نكرة نعت اليوم بالعظيم، وقد تصرّف في عشرة مواضع من القرآن الكريم، وذلك في قول الله - سبحانه- في سورة الأنعام: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾⁽¹⁰⁾، وقوله - تعالى- في سورة الأعراف: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا

(1) الآية 22.

(2) الآية 29.

(3) من الآية 35.

(4) من الآية 10.

(5) من الآية 29.

(6) الآية 3.

(7) الآية 15.

(8) هو يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، أبو يعقوب، كان عالمًا في عدّة فنون، متبحّرًا في علوم البلاغة، من مصنفاته التي تدلّ على تبحّره وسعة علمه كتاب مفتاح العلوم، جمع فيه اثنا عشر علمًا من علوم العربية، توفي عام: 626هـ. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة، 364 / 2.

(9) الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، 37 / 2.

(10) الآية 15.

نوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ⁽¹⁾، وقوله في سورة يونس: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَّايِ نَفْسِيَّ إِنَّ أَنْتَ بَعْدَ مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنَّ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ⁽²⁾، وقال الله تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ- في سورة مريم: ﴿فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ⁽³⁾، وقال في سورة الشعراء على لسان هود - عليه السلام: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ⁽⁴⁾، وقال في سورة الشعراء أيضًا على لسان صالح - عليه السلام: ﴿وَلَا تَمْسُوْهَا بِسُوءٍ فَيَاْخُذْكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ⁽⁵⁾، وقال - عزّ من قائل- في سورة الشعراء أيضًا عن شعيب - عليه السلام: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ⁽⁶⁾، وقال الله - تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ- في سورة الزمر: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنَّ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ⁽⁷⁾، وقال الله في سورة الأحقاف على لسان هود - عليه السلام- أنه قال لقومه: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ⁽⁸⁾، وقال - جلّ جلاله- في سورة المطففين: ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ⁽⁹⁾، ففي هذه المواضع العشر يُراد بالْتَنكِير التّهويل، أي: تهويل اليوم الذي نُعت بالعظيم، فهو يوم ليس كسائر الأيام، وذلك بسبب الهول الحاصل فيه.

الفرع الخامس- تصريف ألفاظ وُصِفَت بالعظمة منكرة فقط، ووردت مرة، أو مرتين في القرآن الكريم.

أولًا- لفظ الميل لم يوصف بالعظيم إلا نكرة، وذلك في موضع واحد، في سورة النساء، وهو قول الله - سبحانه-: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا

-
- (1) الآية 59.
(2) من الآية 15.
(3) الآية 37.
(4) الآية 135.
(5) الآية 156.
(6) الآية 189.
(7) الآية 13.
(8) الآية 21.
(9) الآية 5.

عَظِيمًا⁽¹⁾، نُكِّرَ الميل لإرادة التهويل، والتعظيم، فهو ميل ليس كسائر الميل؛ لأنهم أرادوا من المؤمنين أتباع دينهم، وهو أمر مهول عظيم، قال الطبري: «تتبعون أمر دينهم، وتتركون أمر الله وأمر دينكم»⁽²⁾.

ثانيًا- لفظ البهتان وُصف بالعظيم في موضعين من القرآن الكريم، وكلاهما نكرة، الأول في سورة النساء، وهو قول الله - تعالى-: ﴿وَبِكْفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾⁽³⁾، والآخر في سورة النور، في قول الله - سبحانه-: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁴⁾، ونُكِّرَ البهتان لإرادة تهويله، وتعظيمه.

ثالثًا- وَصَفَ الله الإثم في القرآن بالعظيم، وجاء ذلك في موضع واحد، وقد وقع نكرة، وذلك قول الله - سبحانه-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾⁽⁵⁾، ويُقصد من تنكيره تهويله وتعظيمه.

رابعًا- لفظ الملك وُصِفَ بالعظمة في موضع واحد، ووقع هذا اللفظ نكرة، وذلك في سورة النساء، في قول الله - سبحانه-: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَآتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾⁽⁶⁾، جاء لفظ الملك نكرة لتعظيمه، فهو ملك ليس كسائر الملك؛ بل ملك خُصِّوا به دون سائر العالمين.

خامسًا- لفظ السِّحْر وصفه الله بالعظمة في موضع واحد، وذلك في سورة الأعراف، حيث يقول الله - سبحانه- في محاوراة موسى - عليه السلام- للسحرة: ﴿قَالَ الْقَوَّامُ فَلَمَّا الْقَوَّامُ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرَهُبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾⁽⁷⁾، ونُكِّرَ الله السِّحْر ليدل على تهويله وتعظيمه.

(1) الآية 27.

(2) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 6/ 623.

(3) الآية 156.

(4) الآية 16.

(5) الآية 48.

(6) الآية 54.

(7) الآية 116.

سادساً- لفظ الكيد، أخبر الله عن الكيد بأنه عظيم في موضع واحد منكر، وهو قول الله - جلّ وعلا-: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾، وجاء لفظ الكيد نكرة ليدلّ على تهويله وتعظيمه.

سابعاً- لفظ القول جاء وصفه بالعظيم في موضعين، كلاهما نكرة، فالأول في قول الله - سبحانه- في سورة الإسراء: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾، والآخر في قوله - تعالى- في سورة النور: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنْتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾⁽²⁾، عظم الله في سورة الإسراء افتراء المشركين عليه، وذلك بنسبة الملائكة إليه، فجاء بلفظ القول نكرة تعظيماً وتهويلاً لهذا القول، وعظم قول الإفك الذي رُميت به أمنا عائشة - رضي الله عنها- ثم أكد هذا التعظيم حيث وصفه بأنه قول عظيم.

ثامناً- وصف الله لفظ الشيء بالعظيم في موضع واحد، وجاء به منكرًا، وذلك في قوله - تعالى- في سورة الحج: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾⁽³⁾، نكر الله لفظ الشيء لتهويله وتعظيمه.

تاسعاً- ورد لفظ الحظ موصوفاً بالعظمة في موضعين من القرآن الكريم، وكلاهما وقع نكرة، فالأول منهما في قول الله - سبحانه- في سورة القصص في قصة قارون: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾⁽⁴⁾، والآخر في قوله - تبارك وتعالى- في سورة فصلت: ﴿وَمَا يُقْلَهُ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقْلَهُ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾⁽⁵⁾، وفي تنكير الحظ دلالة على تعظيمه وتكثيره، ويدلّ على ذلك ما نقله الألوسي في تفسيره، عند هذا الموضع، حيث قال: «أي: درجة عظيمة، وقيل: نصيب كثير من الدنيا»⁽⁶⁾.

(1) الآية 28.

(2) الآية 15.

(3) الآية 1.

(4) الآية 79.

(5) الآية 35.

(6) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 327/10.

عاشراً- وصف الله - جَلَّ وعلا- الفعل المُقَدَّر بالعظمة في موضع واحد، ووقع نعتة نكرة، دلالة على تهويل هذا الفعل المُقَدَّر، وذلك في قول الله - تعالى- في سورة الأحزاب: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾⁽¹⁾، والمراد أن أذى رسول الله -ﷺ- ونكاح أزواجه من بعده فعل عظيم، أو أمر عظيم، ونُكِّر لتهويله وتعظيمه، ثم أكد التعظيم بذكر لفظ العظيم.

أحد عشر- وصف الله - تعالى- الظُّلم بِالْعِظْمِ في موضع واحد، ووقع نكرة، وذلك في قوله - سبحانه- في سورة لقمان: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِأَبْنَيْهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾⁽²⁾، وفي تنكير الظلم دلالة على تعظيمه وتهويله، فالشُّرك ظلم عظيم؛ بل هو أعظم الظلم.

اثنا عشر- وصف الله - عز وجل- الرَّجُلَ بِالْعِظْمَةِ في موضع واحد، وجاء به منكرًا، وذلك في قوله - سبحانه- في سورة الزخرف: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾⁽³⁾، نُكِّر الرَّجُلَ في هذا السياق لقصد التخصيص، فهم يعنون رجلاً معينًا، وإن حصل خلاف بين المفسرين في تعيينه، قال الطبري: «يعني بالعظيم: الوليد بن المغيرة القرشي، أو حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي... وقال آخرون: بل عنى به عتبة بن ربيعة من أهل مكة، وابن عبد ياليل من أهل الطائف»⁽⁴⁾.

ثلاثة عشر- وصف الله - جَلَّ وعلا- الدَّبْحَ بِالْعِظْمِ في موضع واحد، ووقع نكرة، وذلك في قوله - تعالى- عن إسماعيل - عليه السلام- في سورة الصافات: ﴿وَفَدَيْتُهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾⁽⁵⁾، وتنكير الدَّبْحِ فيه دلالة على تعظيمه.

أربعة عشر- ذكر الله - تعالى- القَسَمَ موصوفًا بالعظمة، وذلك في موضع واحد منكرًا، وهو قوله - سبحانه- في سورة الواقعة: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾⁽⁶⁾، وتنكير القَسَمِ يدلّ على تعظيمه، فهو قَسَمٌ عَظْمُهُ اللهُ - تعالى- بتنكير القسم، ووصفه بالعظمة.

(1) الآية 53.

(2) الآية 13.

(3) الآية 31.

(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 20 / 580.

(5) الآية 107.

(6) الآية 76.

خمسة عشر- وصف الله - عز وجل- الخُلق بالعظمة في موضع واحد، وهو خُلق رسوله محمد -ﷺ- وجاء به نكرة، جاء ذلك في سورة القلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁽¹⁾، فخلقه -ﷺ- أعظم الخُلق، ولذلك نكره الله، ثم زاده تعظيمًا بوصفه بالعظمة صراحة.

ففي كلّ هذه المواضع التي وُزعت على فروع هذا المطلب لم يُستعمل لفظ "العظيم" إلا نكرة، بيد أنّ هناك مواضع أخرى لم يستعمل فيها لفظ "العظيم" إلا معرفة، وهذا ما يختصّ به المطلب الثاني من هذا المبحث.

المطلب الثاني- التصريف القرآني للكلمات التي وُصفت بالعظيم ولم ترد بهذا الوصف إلا معرفة.

يتناول الباحث في هذا المطلب الكلمات التي وُصفت بالعظيم، ولم يقع وصفها بالعظيم في القرآن إلا معرفة، وهي أقلّ بكثير من النّوع السابق؛ إذ تصرفت في القرآن الكريم في ثلاثة عشر موضعًا فقط، وسيسلك الباحث في بيانها ما سلك في المطلب السابق، وهي كالاتي:

الفرع الأول- تصريف لفظ "العظيم" للدلالة على الذات الإلهية.

سمّى الله نفسه بالعظيم في القرآن الكريم، وأخبر عن نفسه بالعظمة، ولم يقع لفظ "العظيم" في الدلالة على الله - تعالى- إلا معرفة، ووقع ذلك في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، الأول منها في قول الله - سبحانه- في سورة البقرة مخبرًا عن ذاته العلية: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾⁽²⁾، والموضع الثاني جاء في قول الله - عز وجل- في سورة الشورى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾⁽³⁾، والموضع الثالث ورد في سورة الحاقة، في قول الله - تعالى-: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ

(1) الآية 4.
(2) من الآية 255.
(3) الآية 4.

الْعَظِيمِ⁽¹⁾، ويُقصد من وَصَف الله - تعالى- بالعظيم الدلالة على كماله، فهو العظيم الذي كمل في عظمته، فإنَّ من أغراض التعريف بالألف واللام الدلالة على الكمال⁽²⁾.

كما جاء في ثلاثة مواضع أخرى يُحتمل وصف العظمة فيها أن يعود على الربِّ - تعالى- ويحتمل أن يعود على اسم الربِّ، وأيضًا لم تُرد إلا معرفة، وهذه المواضع هي: اثنان في سورة الواقعة، وهما قول الله - تعالى-: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾⁽³⁾، وموضع في سورة الحاقة قال - سبحانه- فيه: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾⁽⁴⁾، وتعريف العظيم في هذه المواضع أيضًا للدلالة على الكمال، فانه كامل في عظمته، وأسماءه أسماء كمال.

الفرع الثاني- تصريف لفظ "العظيم" الموصوف به الكرب.

لم يرد وَصَف الكرب بالعظيم في القرآن الكريم إلا معرفة، ووقع ذلك في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، فالأول في قول الله - سبحانه- في سورة الأنبياء: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾⁽⁵⁾، والثاني في سورة الصافات، في قول الله - تعالى- عن نوح - عليه السلام-: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾⁽⁶⁾، والثالث في سورة الصافات أيضًا، في قول الله - عزَّ وجلَّ- عن موسى وهارون: ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾⁽⁷⁾، فعُرِّف لفظ ﴿الْكَرْبِ﴾، بالألف واللام، وقد يراد بأل الجنس، فيشمل جنس الكرب، فيكون في حق نوح - عليه السلام- تكذيب قومه، واستهزاؤهم به، والغرق بالطوفان، وفي حق

(1) الآية 33.

(2) ينظر: معاني النحو، للدكتور فاضل السامرائي، 1/ 109.

(3) الآية 74، والآية 96.

(4) الآية 52.

(5) الآية 76.

(6) الآية 76.

(7) الآية 115.

موسى وهارون – عليهما السلام- تسلط فرعون، وعذابه لبني إسرائيل، والغرق، وقد يراد بأل العهد الذهني، فيكون المراد بالكرب ما يعلم المخاطبون أنه حلّ بقوم أولئك الرسل⁽¹⁾.

الفرع الثالث- تصريف أفاظ وُصفت بالعظمة مُعرّفة فقط، ووردت مرّة، أو مرتين في القرآن الكريم.

وصف الله – جلّ جلاله- بعض الكلمات بالعظمة، ولم تأت في القرآن الكريم إلا معرفة، وبيان هذه الكلمات كالآتي:

أولاً- الخزي، وصف الله الخزي بالعظيم في موضع واحد، ووقع معرفة، وذلك في قول الله – سبحانه- في سورة التوبة: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خُلْدًا فِيهَا ذَلِكِ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾⁽²⁾، وعُرف لفظ ﴿الْخِزْيُ﴾ ليستغرق جميع أجناس الخزي، ثم زاد في ذمّ هذا الخزي فوصفه بالعظيم.

ثانياً- وصف الله القرآن بالعظمة في موضع واحد مُعرّف، وذلك في قوله – تعالى- في سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمِ﴾⁽³⁾، فالألف واللام في لفظ ﴿الْقُرْآنَ﴾، للعهد، أي القرآن المعهود للمخاطبين.

ثالثاً- جاء لفظ الطود في موضع واحد موصوفاً بالعظم، ودخلت عليه أُل التعريف، وذلك في قوله – تقدّست أسماؤه- في سورة الشعراء: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَاَتْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾⁽⁴⁾، يُراد بتعريف الطود في هذا السياق «الإشارة إلى واحد مما عُرفت حقيقته في الذهن، من دون قصد إلى التعيين»⁽⁵⁾، ثم عظم الطود فوصفه بالعظيم.

(1) ينظر: من بلاغة القرآن، أحمد أحمد البديوي، ص 108.

(2) الآية 63.

(3) الآية 87.

(4) الآية 63.

(5) معاني النحو، 1/ 109.

رابعًا- وصف الله الحنث بالعظيم في موضع واحد، ووقع معرفة، وهو قول الله - تبارك وتعالى:-
﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَىٰ الْحَنِثِ الْعَظِيمِ﴾⁽¹⁾، عرّف لفظ ﴿الْحَنِثِ﴾ لاستغراق جميع أنواع الحنث،
فالألف واللام لبيان الجنس، ليشمل جميع أنواع الحنث، وهو الذنب⁽²⁾.

ففي كلّ هذه المواضع جاء لفظ "العظيم" معرفة؛ لأنه وُصفت به معرفة، وهذه المعرفة
الموصوفة إما أن تدلّ على بيان الجنس، أو على العهد، أو إرادة الكمال، أو الإشارة لواحد عُرفت
حقيقته، وهناك كلمات أخرى في القرآن الكريم تأتي نكرة أحيانًا، ومعرفة أحيانًا أخرى، فينكر
تبعًا لها لفظ "العظيم"، أو يُعرّف بحسب السّياق، وبيان هذا في المطلب الثالث.

**المطلب الثالث- التصريف القرآني للكلمات التي وُصفت بالعظيم وجاءت نكرة تارة، ومعرفة
تارة أخرى.**

يُعنى هذا المطلب بتتبع الكلمات القرآنية التي وصفها الله - تعالى- في كتابه بلفظ
"العظيم" وجاءت في بعض السياقات نكرة، على حين أنها جاءت في سياقات أخرى معرفة، وقد
وقع هذا النوع في ثلاثين موضعًا من القرآن الكريم، وساقّسم هذا المطلب إلى فروع، أذكر في
كل فرع مواضع تصريف اللفظ نكرة، ثم أذكر النكته في تنكيّره، وأتبعه بذكر تصريف اللفظ
معرفة، وأردفه بذكر علة تعريفه في السّياق، وذلك على النحو الآتي:

الفرع الأول- تصريف لفظ الفوز العظيم في القرآن الكريم.

تصرّف لفظ الفوز في ستة عشر موضعًا من القرآن الكريم، منها ثلاثة مواضع نكرة،
وثلاثة عشر موضعًا معرفة، وهي كالاتي:

أولًا- مواضع التنكير في لفظ الفوز العظيم.

قال الله - جلّ جلاله- في سورة النساء، في سياق الحديث عن بعض ضعاف النفوس من
المنافقين: ﴿وَلَنْ أَصْبِحُكُمْ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ لِيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبِثُنِي كُنْتُ مَعَهُمْ
فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾⁽³⁾، وقال في سورة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا

(1) الآية 46.

(2) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 339 / 22.

(3) الآية 73.

سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا⁽¹⁾، وقال في سورة الفتح: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا⁽²⁾، فالتنكير في لفظ الفوز يدل على التعظيم، ويُراد به في الآيتين الأخيرين أنه فوز حقيقي أعده الله لأوليائه، وهو دخول الجنة، والنَّجاة من النار، كما قال - جلّ وعلا-: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ⁽³⁾».

أما في الآية الأولى فالفوز فيها ليس بحقيقي؛ وإنما هو فوز مُتوهم، ظنّه المنافق فوزًا، قال الألوسي عن تمني معية المنافق للمؤمنين: إنه «للحرص على حطام الدنيا كما ينطق به آخره، فإنّ الفوز العظيم الذي عناه هو ذلك»⁽⁴⁾.

ثانيًا- مواضع التعريف في لفظ الفوز العظيم.

قال الله - تعالى- في سورة النساء: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ⁽⁵⁾، وقال في سورة المائدة عن الصادقين: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ⁽⁶⁾، وقال في سورة التوبة في جملة ما أعده للمؤمنين: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ⁽⁷⁾، وقال في سورة التوبة أيضًا في معرض حديثه عن رسوله - ﷺ- والذين آمنوا معه: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ⁽⁸⁾، وقال في سورة التوبة أيضًا في سياق ذكر المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ⁽⁹⁾، وقال في سورة التوبة أيضًا عن المجاهدين من المؤمنين: ﴿فَأَسْتَبْشِرُوا بِيَعْتَمُ بِهٖ

(1) الأيتان 70- 71.

(2) الآية 5.

(3) سورة آل عمران، الآية 185.

(4) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 3/ 78.

(5) من الآية 13.

(6) من الآية 119.

(7) من الآية 72.

(8) من الآية 89.

(9) من الآية 100.

وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ⁽¹⁾ وقال في سورة يونس عن أوليائه المتقين: ﴿لَهُمْ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ⁽²⁾، وقال بعد أن ذكر ثواب عباده المخلصين في سورة الصافات: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ⁽³⁾، وقال في سورة غافر في دعاء الملائكة للمؤمنين: ﴿وَفِيهِمْ أَسْيَاتٌ وَمَنْ تَقَىٰ أَسْيَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ⁽⁴⁾، وقال في سورة الدخان بعد ذكر جزاء المتقين: ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ⁽⁵⁾، وقال في سورة الحديد عن المؤمنين: ﴿بُشْرًا لَّكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خُلِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ⁽⁶⁾، وقال في سورة الصف في معرض الحديث عن التجارة مع الله: ﴿وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ⁽⁷⁾، وقال في سورة التغابن في جزاء من آمن بالله وعمل صالحًا: ﴿يُكَفِّرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خُلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ⁽⁸⁾، ففي كل هذه المواضع جاء لفظ الفوز مُعْرَفًا، وعُرِّفَ لفظ "العظيم" تبعًا لذلك، والتعريف في الفوز يدل على الحصر والقصر، أي: أن هذا الفوز حقًا دون ما يعده الناس فوزًا.

الفرع الثاني- تصريف لفظ الفضل العظيم في القرآن الكريم.

تصرّف الفضل في ثمانية مواضع من القرآن الكريم، وورد في موضعين نكرة، وستة مواضع معرفة، وهي كالاتي:

أولًا- مواضع التنكير في لفظ الفضل العظيم.

- (1) من الآية 111.
- (2) من الآية 64.
- (3) الآية 60.
- (4) الآية 9.
- (5) الآية 57.
- (6) من الآية 12.
- (7) من الآية 12.
- (8) من الآية 9.

قال الله - سبحانه- عن المؤمنين الصادقين: ﴿فَأَقْبَلُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾⁽¹⁾، وقال في سورة النساء ممتناً على رسوله - ﷺ: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾⁽²⁾، ونكر الفضل ليدل على تكثيره وتعظيمه، ففضل الله على رسوله وعلى المؤمنين ليس كفضله على سائر الناس، فهو فضل عظيم.

ثانياً- مواضع التعريف في لفظ الفضل العظيم.

قال الله - تعالى- في سورة البقرة، في معرض حديثه عن أهل الكتاب: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾⁽³⁾، وقال في سورة آل عمران: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾⁽⁴⁾، وقال في سورة الأنفال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾⁽⁵⁾، وقال في سورة الحديد عن الجنة: ﴿أَعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾⁽⁶⁾، وقال في سورة الحديد: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾⁽⁷⁾، وقال في سورة الجمعة: ﴿ذٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾⁽⁸⁾، ففي كل هذه المواضع جاء لفظ الفضل معرفة دلالة على الاستغراق.

الفرع الثالث- تصريف لفظ العرش العظيم والنبأ العظيم في القرآن الكريم.

أولاً- العرش العظيم، وصف الله - سبحانه- العرش بالعظيم في أربعة مواضع من كتابه، أحدها نكرة، وثلاث معارف، فالنكرة في قول الله - سبحانه- في سورة النمل عن ملكة سبأ: ﴿وَأُوتِيَتْ

(1) الآية 174.
(2) من الآية 113.
(3) من الآية 105.
(4) الآية 74.
(5) الآية 29.
(6) من الآية 21.
(7) من الآية 29.
(8) الآية 4.

مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ⁽¹⁾، فنكّر العرش ليدلّ على تعظيمه بالنسبة لعروش بني جنسها من البشر.

وأما المعارف فقد وردت في قول الله - تعالى- في سورة التوبة: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾⁽²⁾، وقال في سورة المؤمنون: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾⁽³⁾، وقال في سورة النمل: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾⁽⁴⁾، فعرف العرش لما كان المذكور عرش الله؛ ليدلّ على كماله، ومن كماله أنه عرش عظيم بالنسبة لجميع المخلوقات.

ثانياً- النبا العظيم، ورد النبا في القرآن الكريم في موضعين، أحدهما نكرة، والآخر معرفة، فالنكرة في قول الله - سبحانه- في سورة ص: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁵⁾، فنكّر النبا ليدلّ على تعظيمه وتهويله، وأما المعرفة فجاء في سورة النبا في قول الله - عزّ وجلّ-: ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾⁽⁶⁾، فالألف واللام في ﴿النَّبِيِّ﴾ للجنس، فيتناول ذلك كلّ نبأ عظيم أنبأهم به -ﷺ-⁽⁷⁾.

فهذا كلّ ما ورد في القرآن الكريم من تصريف لفظ "العظيم"، سواء أوقع نكرة، أم معرفة، وجملة هذه المواضع سبع ومائة موضع، وقد جمعناها في هذا المبحث، وحاولت ذكر ما فيها من دلالات، وقد كشف هذا الفصل بكلّ مباحثه عن تنوّع تصاريف لفظ "العظيم" في النظم القرآني، من حيث الإعراب، والزيادة والنقصان، والتعريف والتنكير، بما يعكس دقّة التعبير القرآني، وغايته البلاغية، فالأوجه الإعرابية أبرزت مواقع اللفظ في البناء التركيبي، وتنوّعه في السياق، بينما أظهرت صيغ الزيادة والنقصان أثر الحذف والإثبات في توجيه المعنى، كما كشف التنكير والتعريف عن دقّة التوظيف الدلالي بحسب المقام والسياق، وتوكّد هذه التصاريف جميعها أنّ اختيار لفظ "العظيم" في القرآن الكريم ليس تكراراً لفظياً؛ بل تصريف مقصود يخدم المقاصد العليا للنصّ، ويبرز جمالية النظم وإعجازه.

(1) من الآية 23.

(2) الآية 129.

(3) الآية 86.

(4) الآية 26.

(5) الآية 67.

(6) الآية 2.

(7) ينظر: التحرير والتنوير، 10/30.

الفصل الثالث

البنية الصرفية والدلالية لمفردات العظمة في القرآن الكريم

- المبحث الأول- تصريف مشتقات لفظ عظم في القرآن الكريم.
- المبحث الثاني- لفظ الكبير بين التصريف والدلالة ومقارنته بلفظ العظيم.
- المبحث الثالث- ألفاظ العظمة في القرآن الكريم بين التراكيب الصريحة والمفردات المؤولة.

يُعدّ الاشتقاق من أبرز خصائص اللّغة العربيّة، والذي منحها ثراءً في المعاني والدلالات اللّغوية، فلولا الاشتقاق لضاعت اللّغة ذرعاً بمستجدّات الحياة، وفي هذا الصّدّد نقل ابن جني فائدة الاشتقاق فقال: «منفعة الاشتقاق لصاحبه أن يسمع الرّجل اللفظة فيشكّ فيها، فإذا رأى الاشتقاق قابلاً لها أنس بها، وزال استيحاشه منها»⁽¹⁾، وأجمع المحقّقون على وقوع الاشتقاق في اللّغة العربيّة، قال ابن فارس: «أجمع أهل اللّغة - إلا من شدّد منهم - أنّ للغة العرب قياساً، وأنّ العرب تَشْتَقُّ بعض الكلام من بعض»⁽²⁾، ونقل السيوطي في المّزهر أنّ «الاشتقاق من أغرب كلام العرب، وهو ثابت عن الله - تعالى- بنقل العدول عن رسول الله - ﷺ-؛ لأنه أوتي جوامع الكلم، وهي جمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة»⁽³⁾، واهتمّ العلماء بهذا الفنّ، وصنّفوا فيه المصنّفات؛ بل أفرد كثير من العلماء الاشتقاق بالتصنيف⁽⁴⁾.

ثمّ إنّ المصطلحات اللّغوية قد تتقارب في معانيها، فيكون للفظ معنى مقارب لمعنى لفظة أخرى، ويكون بينهما فروق لا يدركها كثير من الناس، حتى ليُظنّ ترادفهما، ومما سرى عليه هذا التقارب في المعنى لفظ "العظيم"، فقد وُجِدَت ألفاظ مقاربة لمعنى "العظيم"، وإن لم تكن من مادة (عظم)، ومن هذه الألفاظ: لفظ "الكبير"، فهو مع "العظيم" يدلّ على شيء غير معهود، ولكنّ هذا التقارب في المعنى لا يعني تمام الاتّفاق، ولا يعني الترادف؛ بل هناك فروق لغوية بين هذين المصطلحين.

ومعاني العظمة في القرآن الكريم متباينة، فقد يصفّ الله - جلّ شأنه- بعض الألفاظ بالعظمة صراحة، ويكون لهذا التركيب مجتمعاً دلالة معيّنة، تختلف على دلالة المفردات، في حين تكون العظمة تفهم من بعض الألفاظ، وتكون دلالة العظمة متضمنةً فيها، أشار إليها المفسرون في تفاسيرهم، وبيّنوا أنّ العظمة تفهم من اللفظة، وفي هذا الفصل سأتناول مشتقات لفظ "العظيم" في أوّل مباحثه، وسأفرد المبحث الثاني للفظ "الكبير"، وأبيّن أبرز الفروق بينه وبين لفظ "العظيم"، أما المبحث الثالث فسأخصّصه لألفاظ العظمة في القرآن الكريم، وأنها تدور بين التراكيب الصريحة والمفردات المؤولة.

(1) الخصائص، 1/ 370.

(2) الصحابي في فقه اللغة العربيّة ومساثلها وسنن العرب في كلامها، لابن فارس، ص 35.

(3) المّزهر في علوم اللغة وأنواعها، 1/ 275.

(4) ينظر: البلغة إلى أصول اللّغة، ص 115.

المبحث الأول- مشتقات لفظ "عظيم" في القرآن الكريم.

بالنظر في لفظ "عظيم" وما تصرف عنه من مشتقات نجد أنها من المواد اللغوية التي حظيت بحضور في النصّ القرآني، وذلك لما تحمله من معاني العظمة، والكبر، والجلال، وفي هذا المبحث سأنتبع كلّ ما اشتقّ من لفظ "عظيم" في القرآن الكريم، ولكن قبل الشروع في ذلك لا بدّ لي من الخوض في بعض تفاصيل الاشتقاق، كذكر تعريفه، وأنواعه، والمعتمد عند أهل العلم، وسأخصص المطلب الأول لهذا الغرض، وأما المطلب الآخر فسأجعله لنقل جميع ما ورد في القرآن الكريم من تصريف لفظ "عظيم"، وأذكر معناه الذي يحتمله في سياقه، مستشهداً بكلام أهل العلم والفضل في ذلك.

المطلب الأول- تعريف الاشتقاق وأنواعه.

اشتمل عنوان هذا المطلب على أجزاء، وبناءً على ذلك سأقوم بتقسيمه إلى فرعين، أذكر في كلّ فرع جزءاً من أجزائه، وذلك كالآتي:

الفرع الأول- تعريف الاشتقاق.

سأتناول في هذا الفرع تعريف الاشتقاق لغة، ثم أردفه بذكر معناه اصطلاحاً.

أولاً- الاشتقاق لغة.

ذكر أصحاب المعاجم عدّة معان للاشتقاق، ومنها ما ذكره الجوهري بقوله: «اشتقاق الحرف من الحرف: أخذُه منه»⁽¹⁾.

وقال ابن منظور⁽²⁾: «اشتقاق الكلام: الأخذ فيه يميناً وشمالاً، واشتقاق الحرف من الحرف: أخذه منه، ويقال: شقق الكلام إذا أخرجه أحسن مخرج»⁽³⁾.

وقال السيوطي مُعرِّفاً للاشتقاق: هو «ردّ لفظ إلى آخر، لموافقته في حروفه الأصلية، ومناسبته في المعنى»⁽⁴⁾.

(1) الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية، 4/ 1503، (مادة: شقق).

(2) هو: محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور الإفريقي، كان فاضلاً، أديباً، حسن الإنشاء، ولي قضاء طرابلس، صنّف واختصر كثيراً من كتب الأدب، وأشهر مصنفاته: لسان العرب، الذي جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح، واختصر كتاب الأغاني، والعقد، توفي عام: 711هـ. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة، 1/ 248.

(3) لسان العرب، لابن منظور، 10/ 184، (مادة: شقق).

(4) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، للسيوطي، ص 65، (مادة: شقق).

ونقل صاحب تاج العروس معنى الاشتقاق فقال: «الاشتقاق: الأخذ في الكلام وفي الخصومة يمينًا وشمالًا مع ترك القصد، وهو مجاز، قال: ومنه سُمِّي أخذ الكلمة من الكلمة اشتقاقًا»⁽¹⁾.

وجاء في معجم متن اللغة: «اشتقَّ الشيء من الشيء: أخذه منه، كاشتقاق الحرف من الحرف»⁽²⁾.

وفي المعجم الوسيط: «الاشتقاق في علوم العربية: صوغ كلمة من أخرى، على حسب قوانين الصرف»⁽³⁾.

وإذا أسقط هذا التعريف على مشتقات لفظ "عظيم" تبين أنّ معناها الكلمات التي شاركت لفظ "عظيم" في الجذر اللغوي.

ثانيًا- الاشتقاق اصطلاحًا.

تصرّفت عبارات العلماء في معنى الاشتقاق في الاصطلاح، ومن هذه العبارات ما ذكره الرّماني بقوله: «الاشتقاق فرع من أصل يدور في تصاريفه على الأصل»⁽⁴⁾.

ويرى ابن جني أنّ الاشتقاق أنّ «تأخذ أصلًا من الأصول فنتفرّاه، فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغته ومبانيه، وذلك كتركيب (س ل م)، فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرّفه؛ نحو: سلم، ويسلم، وسالم، وسلمان، وسلمى، والسلامة، والسليم»⁽⁵⁾.

وعرّف عبد القاهر الجرجاني الاشتقاق بأنه «نزع لفظ من آخر بشرط تناسبهما معنىً وتركيبًا، وتغايرهما في الصيغة بحرف أو بحركة، وأن يزيد المشتقُّ على المشتقِّ منه بشيء، كضارب أو مضروب، يوافق (ضربًا) في جميع ذلك»⁽⁶⁾.

والاشتقاق عند ابن الأثير⁽⁷⁾ «أن يُشتقَّ من الكلمة ما تبقى معه حروفها، أو يذهب بعضها، فالباقي أصلي، والذاهب زائد»⁽¹⁾.

(1) تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، 523 / 25، (مادة: شقق).

(2) معجم متن اللغة، أحمد رضا، 351 / 3، (مادة: شقق).

(3) المعجم الوسيط، نخبة من اللغويين، 489 / 1، (مادة: شقق).

(4) رسالة الحدود، للرماني، ص 69.

(5) الخصائص، 136 / 2.

(6) المفتاح في الصرف، لعبد القاهر الجرجاني، ص 62.

(7) هو: المبارك بن محمد بن محمد، مجد الدين أبو السعادات بن الأثير، فقيه شافعي، ولغوي بارع، له مصنفات نافعة، منها: كتاب جامع الأصول، وكتاب النهاية في غريب الحديث، وكتاب في شرح مسند الإمام الشافعي، توفي

ولابن الحاجب أنّ «الاشتقاق هو أخذ لفظ فرعي من لفظ أصلي، موافق له في الحروف الأصول والمعنى الأصلي»⁽²⁾.

وعرّف أبو حيان الأندلسي الاشتقاق بأنه «إنشاء مُركّب من مادة يدل عليها وعلى معناه»⁽³⁾.

وذكر صديق حسن خان⁽⁴⁾ أنّ الاشتقاق هو «أخذ صيغة من أخرى مع اتّفاهما معنى، ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها، ليدلّ بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة؛ لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة»⁽⁵⁾.

ومن المعاصرين عرّفه صبحي الصالح بأنه «توليدٌ لبعض الألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد يحدّد مادتها، ويوحي بمعناها المشترك الأصيل، مثلما يوحي بمعناها الخاص الجديد»⁽⁶⁾.

الفرع الآخر- أنواع الاشتقاق.

ذكر أهل العلم نوعين للاشتقاق، ومن هؤلاء ابن جني، حيث قال في الخصائص: «الاشتقاق عندي على ضربين: كبير وصغير»⁽⁷⁾، ثم ذكر تعريف الصغير، وهو الذي سبق نقله في الفرع السابق، وقال في تعريف الكبير: «أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنًى واحداً، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرّف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رُدَّ بلُطف الصنعة والتأويل إليه»⁽⁸⁾.

عام: 606 هـ. ينظر: طبقات الشافعيين، لابن كثير، ص 777، وطبقات الشافعية الكبرى، 8 / 366، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، 7 / 42.

(1) البديع في علم العربية، 2 / 482.

(2) أمالي ابن الحاجب، عثمان بن عمر ابن الحاجب، 1 / 428.

(3) ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، 1 / 23.

(4) هو: محمد صديق خان بن حسن، القنوجي، من المجدّدين، برع في عدة فنون، وصنّف بالعربية، والهندية، والفارسية، ومن مصنّفاته بالعربية: فتح البيان في مقاصد القرآن، وحصول المأمول من علم الأصول، والبلغة إلى أصول اللّغة، توفي عام: 1307 هـ. ينظر: الأعلام للزركلي، 6 / 167.

(5) البلغة إلى أصول اللّغة، ص 115.

(6) دراسات في فقه اللّغة، لصبحي الصالح، ص 174.

(7) الخصائص، 2 / 135.

(8) المصدر نفسه/ 2 / 136.

وقال ابن عصفور⁽¹⁾ في حديثه عن الاشتقاق: إنه «ينقسم إلى قسمين: اشتقاق أصغر، واشتقاق أكبر»⁽²⁾، ثم قال عن الأكبر مُبطلاً له: «ولم يقل به أحد من النحويين إلا أبا الفتح، وحكى هو عن أبي علي⁽³⁾ أنه كان يأنس به في بعض الأماكن، والصحيح أنّ هذا النحو من الاشتقاق غير مأخوذ به؛ لعدم أطراده، ولما يلحق فيه من التكلّف لمن رامه»⁽⁴⁾ فتصحيحه عدم الأخذ بالاشتقاق الأكبر يدلّ على أنه مُعتمد للأصغر فحسب، وبمثل هذا القول قال أبو حيان⁽⁵⁾.

وذكر السيوطي نوعين للاشتقاق، وهما: الأصغر، ونقل تعريفات له، والأكبر، وقال عنه: «يُحفظ فيه المادة دون الهيئة، فيجعل (ق ول) و (ول ق) و (وق ل) و (ل ق و) وتقالبيها الستة بمعنى الخفة والسرعة»⁽⁶⁾، ثم ألمح إلى ردّ هذا النوع من الاشتقاق، أعني: الأكبر، فقال عنه: «وهذا ممّا ابتدعه الإمام أبو الفتح ابن جني، وكان شيخه أبو علي الفارسي يأنس به يسيراً، وليس مُعتمداً في اللّغة، ولا يصحّ أن يستنبط به اشتقاق في لغة العرب، وإنما جعله أبو الفتح بياناً لقوّة ساعده، وردّه المختلفات إلى قدر مشترك، مع اعترافه وعلمه بأنه ليس هو موضوع تلك الصيغ»⁽⁷⁾.

ومن هذا النّقل نلحظ أنّ المتقدمين لا يُفرّقون بين الاشتقاق الصغير والأصغر، والكبير والأكبر، وإنما هي اصطلاحات، ولا مشاحة في الاصطلاح، ونلحظ أيضاً أنّ المعتمد عند أهل العلم هو الاشتقاق الصغير، دون الكبير، ومما يدلّ على عدم اعتماد أهل اللّغة على الاشتقاق الكبير قول ابن جني نفسه عن هذا النوع: «هذا موضع لم يُسمّه أحد من أصحابنا، غير أنّ أبا علي - رحمه الله - كان يستعين به، ويخلد إليه، مع إعواز الاشتقاق الأصغر؛ لكنه مع هذا لم يسمّه، وإنما كان يعتاده عند الضرورة، ويستروح إليه، ويتعلل به، وإنما هذا التلقيب لنا نحن»⁽⁸⁾،

(1) هو: علي بن مؤمن بن محمد، المعروف بابن عصفور، كان إماماً في العربية، ومن حاملي لوائها بالمغرب، كان كثير المطالعة، جيد التصنيف، من مصنفاته: الممتع في التصريف، ومختصر المحتسب، وثلاثة شروح على الجُمَل، توفي عام: 669هـ. ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللّغة، ص 219، وفوات الوفيات، 3/ 109.

(2) الممتع الكبير في التصريف، لابن عصفور، ص 39.

(3) هو: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو علي الفارسي، كان من أكابر أئمة النحو، وأخذ عنه جماعة أشهرهم أبو الفتح ابن جني، صنّف كتباً كثيرة لم يُسبق إليها، منها: الإيضاح في النحو، وكتاب الحجة في علل القرآن السبع، وكتاب المقصور والممدود، توفي عام: 307هـ. ينظر: نزّهة الألباء في طبقات الأدباء، ص 232، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللّغة، ص 108.

(4) الممتع الكبير في التصريف، لابن عصفور، ص 39.

(5) ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب، 1/ 22.

(6) المزهري في علوم اللّغة وأنواعها، 1/ 275.

(7) المصدر نفسه.

(8) الخصائص، 2/ 135.

وقال أبو حيان في إنكار الاشتقاق الأكبر: «ولم يقل بهذا الاشتقاق الأكبر إلا أبو الفتح، وكان أبو علي يأنس به في بعض المواضع»⁽¹⁾.

ثم قال عن الاشتقاق الأصغر: «وهذا الاشتقاق أثبتته الجمهور، في أن بعض الكلم قد تُشتق من بعض»⁽²⁾، وقال السيوطي بعد أن ذكر تعريف الاشتقاق الأصغر: «وهذا هو الاشتقاق الأصغر المحتج به»⁽³⁾، وقال صبحي الصالح: «والاشتقاق الأصغر أكثر أنواع الاشتقاق وروداً في العربية، وهو محتج به لدى أكثر علماء اللغة»⁽⁴⁾، ومشتقات لفظ "العظيم" هي من النوع الأول، أعني: الاشتقاق الأصغر، فهو معتمد لدى الجمهور.

المطلب الآخر- تصريف لفظ "عظم" في النص القرآني وأبنيته.

تصرف لفظ "عظم" في القرآن الكريم، فجاء على خمسة معانٍ، وهي: يُعظّم، بالتشديد، ويُعظّم، بالتخفيف، وأُعظّم، وعَظّم، والعظام بالتعريف، وعظاماً بالتكثير، وعظامه بالإضافة، وفي هذا المطلب سأذكر مواضع هذه الكلمات، وأبين المراد من الكلمة في سياقها الواردة فيه، مستعيناً بكتب أهل التفسير، مستضيئاً بنورهم، وسأقوم بترتيب هذه المعاني على الفروع كما يأتي.

الفرع الأول- تصريف لفظ "يُعظّم" بالتشديد، و"يُعظّم" بالتخفيف.

الأول- تصريف لفظ "يُعظّم" بالتشديد.

ورد لفظ "يُعظّم" في موضعين من سورة الحج، الأول منهما في قول الله - سبحانه -: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظَّمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾⁽⁵⁾، والموضع الآخر في قوله: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظَّمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾⁽⁶⁾، قال الطبري في معنى الآية الأولى: «يقول: ومن يجتنب ما أمره الله باجتنابه في حال إحرامه، تعظيماً منه لحدود الله أن يواقعها، وحُرْمِهِ أَنْ يَسْتَحِلَّهَا، فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ فِي الْآخِرَةِ»⁽⁷⁾، وقال في الآية الأخرى: «إنَّ الله - تعالى ذَكَرَهُ- أَخْبَرَ أَنَّ تَعْظِيمَ شَعَائِرِهِ، وَهِيَ مَا جَعَلَهُ أَعْلَامًا لَخَلْقِهِ فِيمَا تَعَبَّدُ بِهِ مِنْ مَنَاسِكِ حَجِّهِمْ، مِنَ الْأَمَاكِنِ

(1) ارتشاف الضرب من لسان العرب، 1/ 23.

(2) ارتشاف الضرب من لسان العرب، 1/ 23.

(3) المزهري في علوم اللغة وأنواعها، 1/ 275.

(4) دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح، ص 174.

(5) من الآية 30.

(6) الآية 32.

(7) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 16/ 533.

ولم أقف على من تعرّض لمعنى ﴿أَعْظَمُ﴾ من المفسرين، وإنما اكتفوا من الآيات بذكر معناها الإجمالي، فذكروا في الآية الأولى مسألة أفعال التفضيل، وهل هي على بابها؟ أو خرجت عن بابها؟⁽¹⁾، وفي الآية الثانية تفضيل المؤمنين المنفقين المجاهدين قبل الفتح على المنفقين المجاهدين بعده⁽²⁾، وفي الآية الثالثة تفضيل النفقة في سبيل الله، وتعظيم ثوابها⁽³⁾، وأقول: لعلّ ﴿أَعْظَمُ﴾ في الآيات بمعنى أكبر، فإنّ الله - تعالى- وصف درجات الآخرة بالكِبَر فقال: ﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾⁽⁴⁾، فتفسير العِظَم بالكِبَر من حَمَل بعض القرآن على بعض، وفي الآية الثالثة التي وُصِف فيها الأجر بالعِظَم، جاء نظيرها بوصف الأجر بالكِبَر، في قوله - سبحانه-: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾⁽⁵⁾، فيكون معنى ﴿أَعْظَمُ﴾، في الآيات بمعنى أكبر، والله أعلم.

الفرع الثالث- تصريف لفظ "عَظْم" إفرادًا وجمعًا، وتعريفًا وتكثيرًا.

ورد لفظ "عَظْم" بالإفراد في موضعين من القرآن الكريم، أحدهما نكرة، والآخر معرفة، فالأول في قول الله - تعالى- في سورة الأنعام: ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالنَّعَمِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ آحْوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعِظَمٍ﴾⁽⁶⁾، والآخر في قوله - سبحانه- في سورة مريم: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾⁽⁷⁾.

وورد لفظ العظام بالجمع في اثني عشر موضعًا من القرآن الكريم، جاء في تسعة مواضع نكرة، وفي ثلاثة معرفة، فالنكرة في قول الله - عزّ جلّ- في سورة الإسراء: ﴿وَقَالُوا أَعْدَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْتًا أَعِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾⁽⁸⁾.

(1) ينظر: تفسير السمعاني، 2/ 296.

(2) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، 4/ 474.

(3) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 23/ 399.

(4) سورة الإسراء، من الآية 21.

(5) سورة الحديد، من الآية 7.

(6) من الآية 146.

(7) من الآية 4.

(8) الآية 49.

وقوله في سورة الإسراء أيضاً: ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾⁽¹⁾، وقوله - سبحانه- في سورة المؤمنون: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا﴾⁽²⁾، وفيها أيضاً: ﴿أَيَعِدْكُمْ أَنكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾⁽³⁾، وفيها: ﴿قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾⁽⁴⁾، وقوله في سورة الصافات عن الكفار: ﴿أَعِدَّا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾⁽⁵⁾، وفيها أيضاً: ﴿أَعِدَّا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾⁽⁶⁾، وفي سورة الواقعة قال - سبحانه-: ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَأَنبَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾⁽⁷⁾، وقوله - تعالى- في سورة النازعات عن المكذابين: ﴿أَعِدَّا كُنَّا عِظْمًا نَّخِرَةً﴾⁽⁸⁾.

والمعرفة في قول الله - جلّ وعلا- في سورة البقرة: ﴿وَأَنْظِرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾⁽⁹⁾، وقوله - تعالى- في سورة المؤمنون: ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾⁽¹⁰⁾، وقوله - عزّ وجلّ- في سورة يس: ﴿وَضَرْبَ لَنَا مِثْلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾⁽¹¹⁾.

وجاء في موضع واحد بالجمع والإضافة، وذلك في قوله - سبحانه- في سورة القيامة: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾⁽¹²⁾.

والعظم لفظ تعرف العرب معناه من كلامها، وهو كما قال صاحب المحكم والمحيط الأعظم: «الذي عليه اللحم من قصب الحيوان، والجمع أعظم»⁽¹⁾.

(1) الآية 98.
(2) من الآية 14.
(3) الآية 35.
(4) الآية 82.
(5) الآية 16.
(6) الآية 53.
(7) الآية 47.
(8) الآية 11.
(9) من الآية 259،
(10) من الآية 14.
(11) الآية 78.
(12) الآية 3.

(1) المحكم والمحيط الأعظم، 70 / 2، مادة: عظم).

المبحث الثاني- لفظ "الكبير" وتصريفه والفرق بينه وبين "العظيم".

يُعدّ لفظ "الكبير" من الألفاظ المقاربة للفظ "العظيم" من حيث المعنى؛ بل إنّ من المعاني المحتملة لمعنى "العظيم" أن يكون بمعنى "الكبير"، وذلك لشِدَّة تقارب هذين اللفظين من حيث المعنى، ولفظ "الكبير" من الألفاظ القرآنية التي وردت في عدّة مواضع من القرآن الكريم، وحملت أكثر من معنى، وهذه الظاهرة تُعرف بالتصريف القرآني، فقد صُرّف لفظ "الكبير" كما صُرّف لفظ "العظيم"، وسأذكر في هذا المبحث تصريف لفظ "الكبير"، وأبيّن الفرق بينه وبين "العظيم"، مُقدِّمًا بين يدي المبحث تعريف "الكبير" لغة واصطلاحًا، وهذا في أول مطالبه، وأخصّصُ المطلب الآخر لتصريف لفظ "الكبير" في القرآن الكريم، والفرق بينه وبين "العظيم".

المطلب الأول- تعريف "الكبير" لغة واصطلاحًا.

سأنقل في هذا المطلب أقوال اللغويين في معاني "الكبير" في اللّغة، وأتبعه بذكر معنى اللّفظ عند أهل الاصطلاح، وذلك في الفرعين الآتيين:

الفرع الأول- تعريف "الكبير" لغة.

من المعاني التي ذكرها أهل اللّغة للفظ "الكبير" أنه نقيض الصّغير⁽¹⁾.

وقال الجوهري: «كَبُرَ بِالضَّمِّ يَكْبُرُ، أَي: عَظُمَ، فَهُوَ كَبِيرٌ وَكُبَارٌ، فَإِذَا أَفْرَطَ قِيلَ: كُبَارٌ بِالتَّشْدِيدِ»⁽²⁾.

وذكر ابن فارس أنّ: «الكاف، والباء، والراء: أصل صحيح يدلّ على خلاف الصّغر، يقال: هو كبير، وكُبَارٌ، وكُبَارٌ»⁽³⁾.

وجاء في لسان العرب: «يقال كَبُرَ بالضّم يكبر، أي: عَظُمَ، فَهُوَ كَبِيرٌ... ويقال ورثوا المجد كابرًا عن كابر، أي: عَظِيمًا وكبيرًا عن كبير، وأكبرتُ الشيء، أي: استعظمته»⁽⁴⁾.

وعرّف الفيروز أبادي⁽¹⁾ الكِبْر فقال: «كَبُرَ، ككْرُمَ، كَبُرًا، كعَنْبَ، وَكُبْرًا، بِالضَّمِّ، وَكُبَارَةٌ، بِالْفَتْحِ: نَقِيضُ صَغُرَ، فَهُوَ كَبِيرٌ وَكُبَارٌ، كَرُمَانٌ، وَيُخَفَّفُ... وَاسْتَكْبَرَهُ وَأَكْبَرَهُ: رَأَى كَبِيرًا، وَعَظُمَ عِنْدَهُ... وَكُبُرٌ، كَصَغُرَ: عَظُمَ وَجْسَمٌ، وَالكِبْرُ: مُعْظَمُ الشَّيْءِ وَالشَّرْفُ، وَيُضَمُّ فِيهِمَا»⁽²⁾.

(1) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، 7/ 11، (مادة: كبر).

(2) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 2/ 801، (مادة: كبر).

(3) معجم مقاييس اللغة، 5/ 154، (مادة: كبر).

(4) لسان العرب، 5/ 126، (مادة: كبر).

فالكبير نقيض الصَّغِير، فالشيء يبدأ صغيراً ثم يكبر حتى يصير كبيراً، فالكَبْر شيء زائد على الصَّغْر، وهو بهذا يقرب من "العظيم".

الفرع الآخر- تعريف "الكبير" اصطلاحاً.

يُطلق لفظ "الكبير" في الاصطلاح على عِدَّة معانٍ، منها:

ما ذكره الطبري أنّ "الكبير" يستعمل بمعنى "العظيم"، وذلك عند تفسيره لقول الله - تعالى:- ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾⁽³⁾، قال: «﴿الْكَبِيرُ﴾ يعني: العظيم، الذي كل شيء دونه، ولا شيء أعظم منه»⁽⁴⁾، ولعلّ هذا تقريب منه لمعنى الكبير، وإلاّ فإنّ الترادف نادر أو معدوم في القرآن كما سبق نقله.

ويرى أبو هلال العسكري⁽⁵⁾ أنّ الأصل في لفظ "كبير" أن يطلق على كَبَر الشَّخْص، ولكنه استعمل أيضاً في كَبَر الشَّان، فقال: «وأصل الصِّفة بكبير كَبَر الشَّخْص، ثم استعمل في كَبَر الشَّان، والكبير الشَّان: هو الممتنع من مساواة غيره بتضعيف أو غيره... والكبير الشَّخْص: هو الذي يمكن مساواته للأصغر بالتجزئة، ويمكن مساواة الأصغر له بالتضعيف»⁽⁶⁾.

وقال العسكري أيضاً: إنّ "الكبير" يُستعمل في القرآن على ثمانية أوجه، وهي: الأول: أن يكون بمعنى الشَّدِيد، ومنه قوله - تعالى:- ﴿وَمَنْ يَظْلِم مِّنْكُمْ نُدِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾⁽⁷⁾، بمعنى عذاباً شديداً، والثاني: أن يجيء بمعنى المُسَنِّ، ومنه قوله - سبحانه:- ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾⁽⁸⁾، والثالث: أن يقع بمعنى الزيادة في العلم والفهم، ومنه قول الله - عزَّ وجلَّ:- ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمْ

(1) هو: محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم، الفيروز أبادي، مجد الدين، كان جلّ اهتمامه بعلوم اللُّغة، حتى مهر فيها وفاق الأقران، صنّف عِدَّة مصنّفات، منها: القاموس المحيط في اللُّغة، وتسهيل الوصول إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول، توفي عام: 810 هـ. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللُّغويين والنحاة، 1/ 274.

(2) القاموس المحيط، للفيروز أبادي، ص 468، (مادة: كبر).

(3) سورة الحج، من الآية 62.

(4) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 16/ 622.

(5) هو: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد، أبو هلال العسكري، إمام من أئمة اللُّغة والأدب، له مصنّفات نافعة، منها: كتاب الأوائل، وكتاب الصناعتين، وكتاب الوجوه والنظائر، توفي في حدود الأربعمئة. ينظر: معجم الأدباء، 2/ 918، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللُّغة، ص 117.

(6) الوجوه والنظائر، لأبي هلال العسكري، ص 413.

(7) سورة الفرقان، من الآية 19.

(8) سورة القصص، من الآية 23.

السَّخِرُ⁽¹⁾، والرابع: أن يكون بمعنى: الكثير، ومنه قول الله - جلّ في علاه-: ﴿وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾⁽²⁾، الخامس: أن يُستعمل بمعنى: الذي تقدّم، ومنه اسم الله الكبير، كما ورد في قوله - تعالى-: ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾⁽³⁾، السادس: أن يأتي منه الكبرياء، بمعنى: الغلبة والسُّلطان، ومنه قول الله - تبارك وتعالى-: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁽⁴⁾، السابع: أن يكون بمعنى: الثَّقَل، ومنه قول الله -جلّ وعلا-: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾⁽⁵⁾، الثامن: أن يُقصد بالكبير: الطويل، ومنه قول الله - جلّ في علاه-: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾⁽⁶⁾، بمعنى طويل⁽⁷⁾.

ومن المعاني التي ذكرها مكي بن أبي طالب للكبير: أنه السيّد⁽⁸⁾، ويرى الراغب الأصفهاني أنّ «الكبير والصَّغير من الأسماء المُتضادّة، التي تُقال عند اعتبار بعضها ببعض، فالشيء قد يكون صغيراً في جنب شيء، وكبيراً في جنب غيره، ويُستعملان في الكميّة المتّصلة كالأجسام، وذلك كالكثير والقليل، وفي الكميّة المنفصلة كالعدد»⁽⁹⁾.

ويرى الواحدي أنّ من معاني "الكبير" عند إطلاقه على الله - تعالى- أن يكون «بمعنى العظيم والجليل، ومعناه يعود إلى كِبَر قدره واستحقاقه صفات العلوّ، وهو أكبر من كلّ كبير؛ لأنّ كلّ كبير يصغر بالإضافة إليه»⁽¹⁰⁾.

ومعنى "الكبير" عند النسفي عند إضافته لربّ العزة أنه «الذي كلّ شيء يتصرّف على حُكمه، وهو لا يتصرّف على حُكم أحد، فالحُكم له»⁽¹¹⁾.

وعرّف الزمخشري "الكبير" بأنّه: «العظيم الشأن الذي كلّ شيء دونه، المتعال المستعلي على كلّ شيء بقدرته، أو الذي كِبُر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها»⁽¹⁾.

(1) سورة طه، من الآية 71.
(2) سورة التوبة، من الآية 121.
(3) سورة الرعد، من الآية 9.
(4) سورة الجاثية، من الآية 37.
(5) سورة الأنعام، من الآية 35.
(6) سورة الملك، من الآية 9.
(7) ينظر: الوجوه والنظائر، للعسكري، ص 414-415.
(8) الهداية إلى بلوغ النهاية، 9/5925.
(9) المفردات في غريب القرآن، ص 696، (مادة: كبر).
(10) التفسير البسيط، 12/302.
(11) التيسير في التفسير، لأبي حفص النسفي، 13/94.

أما ابن الجوزي فلم يتكفَّ حدًّا للفظ "الكبير"، فإنه قال: «الكبير: من باب المتضائفات، لا حدَّ له في نفسه؛ وإنما يُعرَّف بالإضافة إلى غيره، ويقال في الجسم: كبير، إذا كان ضخماً، وفي السنن، إذا كان عالياً، وفي النسب إذا كان شريفاً»⁽²⁾، وقال أيضاً في معنى الكبير العائد على الله - جلَّ في علاه-: إنه «بمعنى: العظيم، ومعناه يعود إلى كِبَر قدره، واستحقاقه صفات العلو، فهو أكبر من كلِّ كبير؛ لأنَّ كلَّ كبير يصغر بالإضافة إلى عظمته، ويقال: الكبير الذي كِبُر عن مشابهة المخلوقين»⁽³⁾، وقال الهمذاني⁽⁴⁾: «**الكبيرُ**: العظيم الشأن، الذي كلَّ شيء دونه»⁽⁵⁾.

وذكر القرطبي أنَّ الكبير بمعنى: «ذو الكبرياء، والكبرياء: عبارة عن كمال الذات، أي: له الوجود المطلق أبداً وأزلاً، فهو الأول القديم، والآخر الباقي بعد فناء خلقه»⁽⁶⁾.

وجاء في تفسير ابن كثير أنَّ: «الكبير: الذي هو أكبر من كلِّ شيء، فكلَّ شيء خاضع حقير بالنسبة إليه»⁽⁷⁾، وقريب من هذا القول ما جاء عن البقاعي أنَّ الكبير: «الذي يتضاءل عنده كلُّ ما فيه صفات تقتضي الكِبَر»⁽⁸⁾، وعرَّف أبو السعود الكبير بأنَّه: «الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته»⁽⁹⁾.

والكبير عند صديق حسن خان هو «الذي لا يُوصف ولا تهتدي العقول إلى كُنْه صِفته، ومعرفة حقيقته؛ لأنَّ الحق إذا قال: كبير، فمن ذا الذي يقدر قدره»⁽¹⁰⁾.

وعرَّف ابن عاشور "الكبير" عند إطلاقه على الفساد بأنَّه: «العظيم الجسم، وهو هنا مستعار للشديد القوي من نوعه»⁽¹¹⁾.

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 516/2.
(2) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ص 512.
(3) زاد المسير في علم التفسير، 485/2.
(4) هو: المنتجب بن أبي العز رشيد، أبو يوسف الهمذاني، كان نحويًّا، مُقرِّناً، فاضلاً، صنَّف مصنَّفات مفيدة، منها: شرح المفصل، وشرح الشاطبية، والفريد في إعراب القرآن المجيد، توفي عام: 643هـ. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، 300/2، والأعلام للزركلي، 7/290.
(5) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، 657/3.
(6) الجامع لأحكام القرآن، 91/12.
(7) تفسير القرآن العظيم/ 6/350.
(8) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 289/10.
(9) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 30/8.
(10) فتح البيان في مقاصد القرآن، 296/12.
(11) التحرير والتنوير، 88/10.

وبتأمل هذه التعريفات يظهر جلياً أنّ لفظ "الكبير" لا يُطلق على شيء معهود، وإنما يطلق على شيء خارج عن المعهود بزيادة فيه، إما زيادة في الحجم، أو السنّ، أو العلم، أو الطول، أو غيرها، وبهذا المعنى يُقارب لفظ "العظيم".

المطلب الآخر- تصريف لفظ "الكبير" والفرق بينه وبين "العظيم".

تصرّف لفظ "الكبير" في مواضع من القرآن الكريم، وأُطلق على الذوات وغيرها، وفي هذا المطلب سأذكر تصاريفه التي وردت في القرآن الكريم، وذلك في الفرع الأول، وأجعل الفرع الآخر في الفرق بين لفظ "الكبير" ولفظ "العظيم".

الفرع الأول- تصاريف لفظ "الكبير" في القرآن الكريم.

صرّف الله - تعالى- لفظ "الكبير" في القرآن الكريم في تسعة وثلاثين موضعاً، فأطلق على الذوات تارة، وعلى المعاني تارة أخرى، وبيانها كالاتي:

الأول- إطلاقه على الذوات.

أُطلق لفظ الكبير على جملة من الذوات، وأعظم الذوات التي وُصفت بالكبير هي الذات الإلهية، وقد جاء إطلاق "الكبير" على الله - سبحانه- في ستة مواضع من القرآن الكريم، وهي: قوله - جلّ في علاه- في سورة النساء: ﴿فَإِنْ أَطَعْتُمْ بَنَاتٍ فَإِن رَّغِبْنَ عَنْ عِلِّيَّاتِهِنَّ سَبِيلًا إِنَّا نَأْمُرُ بِمَا يَنْصَحُونَ لِكَيْ لَا يَكْفُرُوا أَشْيَاءَ اللَّهِ إِنَّ كُفْرَهُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ كَبِيرًا﴾⁽¹⁾، وقوله في سورة الرعد: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ﴾⁽²⁾، وقوله في سورة الحج: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾⁽³⁾، وقوله - سبحانه- في سورة لقمان: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾⁽⁴⁾، وقوله - عزّ وجلّ- في سورة سبأ: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾⁽⁵⁾، وقوله - تعالى- في سورة غافر: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾⁽⁶⁾، فُسر "الكبير" عند إطلاقه على ربّ العزة بأنه "العظيم"، الذي لا يدانيه مخلوق⁽¹⁾،

(1) من الآية 34.

(2) الآية 9.

(3) الآية 62.

(4) الآية 30.

(5) من الآية 23.

(6) من الآية 12.

وَفُسِّرَ بَأَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ كَبِيرٍ، فَالْكَبِيرُ يَصْغُرُ إِذَا أُضِيفَ إِلَيْهِ(2)، وَفُسِّرَ بِأَنَّهُ الْكَامِلُ فِي ذَاتِهِ(3)، وَكُلُّهَا مَعَانٍ تَصَدَّقُ عَلَى اللَّهِ - جَلَّ فِي عِلَاهِ-.

وَمِنْ تَصْرِيْفَاتِ لَفْظِ "الْكَبِيرِ" إِطْلَاقُهُ عَلَى كَبِيرِ السِّنِّ، وَكَبِيرِ الْقَدْرِ، وَجَاءَ ذَلِكَ فِي مَوَاضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، الْأَوَّلُ مِنْهُمَا وَرَدَ فِي قَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - فِي سُورَةِ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾(4)، وَالْآخِرُ ذُكِرَ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ فِي قَوْلِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾(5)، ذَكَرَ الْمَاورِدِيُّ أَنَّ لِمَعْنَى الْكَبِيرِ وَجْهَيْنِ: «أَحَدُهُمَا: كَبِيرِ السِّنِّ، الثَّانِي: كَبِيرِ الْقَدْرِ؛ لِأَنَّ كَبِيرَ السِّنِّ مَعْرُوفٌ مِنْ حَالِ الشَّيْخِ»(6).

وَاخْتَلَفَ فِي قَوْلِ اللَّهِ - تَعَالَى - فِي سُورَةِ يُوسُفَ: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾(7)، هَلِ الْمَرَادُ، الْأَكْبَرُ عَقْلًا، وَعِلْمًا، أَوْ الْمَرَادُ الْأَكْبَرُ سِنًّا، قَالَ الْأَخْفَشُ: «فَزَعَمُوا أَنَّهُ أَكْبَرُهُمْ فِي الْعَقْلِ لَا فِي السِّنِّ»(8)، وَقَالَ الطَّبْرِيُّ: «قَالَ بَعْضُهُمْ: عَنَى بِهِ كَبِيرُهُمْ فِي الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ، لَا فِي السِّنِّ»(9)، ثُمَّ رَجَّحَ الطَّبْرِيُّ أَنَّ الْمَرَادُ أَكْبَرُهُمْ سِنًّا فَقَالَ: «وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّحَّةِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: عَنَى بِقَوْلِهِ: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ رَوْبِيلٌ؛ لِإِجْمَاعِ جَمِيعِهِمْ عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَكْبَرُهُمْ سِنًّا، وَلَا تَفْهَمُ الْعَرَبُ فِي الْمَخَاطَبَةِ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: فَلَانَ كَبِيرَ الْقَوْمِ مَطْلَقًا بَغَيْرِ وَصْلٍ إِلَّا أَحَدَ مَعْنَيْنِ، إِمَّا فِي الرِّيَاسَةِ عَلَيْهِمْ وَالسُّودِّ، وَإِمَّا فِي السِّنِّ، فَأَمَّا فِي الْعَقْلِ فَإِنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا ذَلِكَ وَصَلَوْهُ، فَقَالُوا: هُوَ كَبِيرُهُمْ فِي الْعَقْلِ»(10).

وَمِنْ تَصْرِيْفِ لَفْظِ "الْكَبِيرِ" أَنْ يَجِيءَ بِمَعْنَى الْعَظِيمِ، وَالرَّئِيسِ، وَالْمُعَلِّمِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ - تَبَارَكَ اسْمُهُ - فِي سُورَةِ طه: ﴿قَالَ ءَأَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَأْدَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمْ

(1) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 622 / 16.

(2) ينظر: التفسير البسيط، 302 / 12.

(3) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 91 / 12.

(4) من الآية 78.

(5) من الآية 23.

(6) النكت والعيون، 66 / 3.

(7) من الآية 80.

(8) معاني القرآن، للأخفش، 399 / 1.

(9) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 282 / 13.

(10) المصدر نفسه، 284 / 13.

السَّحَرُ⁽¹⁾، وقوله في سورة الشعراء: ﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾، قال الطبري: «أي: لعظيم السُّحَّار الذي علَّمكم»⁽³⁾، وقال أيضاً: «يقول: إن موسى لرئيسكم في السَّحر، وهو الذي علَّمكموه، ولذلك آمنتم به»⁽⁴⁾، ونقل الواحدي عن ابن عباس قال: «يُرِيدُ مُعَلِّمَكُمْ»⁽⁵⁾، وجمع الزمخشري بين العظيم والمُعَلِّم فقال: «لَكَبِيرُكُمْ» لعظيمكم، يريد: أنه أسحرهم وأعلاهم درجة في صناعتهم، أو لمُعَلِّمكم، من قول أهل مكة للمُعَلِّم: أمرني كبير، وقال لي كبير، كذا يريدون مُعَلِّمهم وأستاذهم في القرآن وفي كل شيء»⁽⁶⁾.

ومن مجيء "الكبير" بمعنى "العظيم" قول الله - سبحانه - في جواب إبراهيم - عليه السلام - لقومه، في سورة الأنبياء: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾⁽⁷⁾، فالكبير هنا بمعنى العظيم، أي: الصنم العظيم عندهم⁽⁸⁾.

الآخر - إطلاقه على المعاني.

صرّف الله - تعالى - معاني "الكبير" في إطلاقه على المعاني، ومن ذلك مجيئه مقصوداً به العظيم، كما في قول الله - عزّ وجلّ - في سورة البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾⁽⁹⁾، فسّر الثعلبي الكبير بالعظيم⁽¹⁰⁾، وقال - تعالى - في سورة البقرة أيضاً: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾⁽¹¹⁾، أشار الواحدي إلى أن الكبير يُراد به العظيم⁽¹²⁾، ومن ذلك أيضاً قول الله - سبحانه - في سورة النساء: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾⁽¹³⁾، نقل الطبري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه

(1) من الآية 71.

(2) من الآية 49.

(3) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 114 / 16.

(4) المصدر نفسه، 570 / 17.

(5) التفسير البسيط، 463 / 14.

(6) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، 76 / 3.

(7) الآية 63.

(8) ينظر: بحر العلوم، 431 / 2.

(9) من الآية 217.

(10) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 227 / 1.

(11) من الآية 219.

(12) ينظر: التفسير الوسيط، 323 / 1.

(13) من الآية 2.

بمعنى العظيم⁽¹⁾، وقول الله - تعالى- في سورة الأنفال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَعْلُوهُ تُكَنُّ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادَ كَبِيرٍ﴾⁽²⁾، ذكر الرازي أنّ الفساد الكبير هو الفساد العظيم⁽³⁾، ومن مجيء الكبير بمعنى العظيم قول الله - عزّ وجلّ-: في سورة هود - عليه السلام-: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾⁽⁴⁾، ذكر النَّسفي أنّ الكبير هنا بمعنى العظيم⁽⁵⁾.

وقوله في سورة الفرقان: ﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مَنكُم نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾⁽⁶⁾، فسّر السمعاني الكبير بالعظيم⁽⁷⁾، وفسّره النسفي بالشّدِيد⁽⁸⁾، ولا تنافي بين المعنيين، فعذاب القيامة عظيم، وشديد، وورد وصف الأجر في القرآن بالكبير بمعنى العظيم، في خمسة مواضع، وهي: قوله - تعالى- في سورة هود - عليه السلام-: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾⁽⁹⁾، وقوله في سورة الإسراء: ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾⁽¹⁰⁾، وقوله في سورة فاطر: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾⁽¹¹⁾، وقوله - سبحانه- في سورة الحديد: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾⁽¹²⁾، وقوله في سورة الملك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾⁽¹³⁾، فالأجر الكبير بمعنى العظيم⁽¹⁴⁾.

(1) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 6 / 357.

(2) الآية 73.

(3) ينظر: التفسير الكبير، 15 / 518.

(4) من الآية 3.

(5) ينظر: التيسير في التفسير، 8 / 159.

(6) من الآية 19.

(7) ينظر: تفسير السمعي، 4 / 12.

(8) ينظر: التيسير في التفسير، 8 / 459.

(9) الآية 11.

(10) من الآية 9.

(11) من الآية 7.

(12) من الآية 7.

(13) الآية 12.

(14) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 12 / 341، وبحر العلوم، 2 / 140، وتفسير السمعي، 4 / 347.

ومما أُطلق عليه وصف "الكبير" والمراد به العظيم: الخَطَأُ، وقد ورد في قول الله - سبحانه- في سورة الإسراء عن قتل الأولاد: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾⁽¹⁾، فسّر النسفي الخطأ الكبير بالعظيم⁽²⁾، وكذلك فعل ابن كثير⁽³⁾.

ومن تصريفات لفظ "الكبير" أن يجيء بمعنى الشَّدِيد، ومن ذلك قول الله - سبحانه- في سورة الإسراء: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾⁽⁴⁾، ذهب الطبري إلى أن العلوَّ الكبير بمعنى الاستكبار الشَّدِيد⁽⁵⁾.

وممَّن فسّر الكبير بالشَّدِيد في الآية السمرقندي، إذ قال في معنى قوله - تعالى-: ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾: «أي: لتفهرنَّ قهراً شديداً»⁽⁶⁾، ومما جاء فيه لفظ الكبير بمعنى الشَّدِيد قول الله - تبارك وتعالى- في سورة الإسراء: ﴿وَنُحِيقُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾⁽⁷⁾، فسّر الواحدي الطغيان الكبير بالشَّدِيد⁽⁸⁾، وتبعه ابن عاشور في هذا المعنى، فسّر الكبير بالشَّدِيد القوي⁽⁹⁾، ومن مجيء الكبير بمعنى الشَّدِيد ما ذُكر في قول الله - جلَّ جلاله- في سورة الفرقان: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجُهْدَهُمْ بِيْ جِهَادًا كَبِيرًا﴾⁽¹⁰⁾، فالجهد الكبير عند السمرقندي بمعنى الشَّدِيد⁽¹¹⁾.

ويجيء "الكبير" بمعنى الكثير، كما في قوله - سبحانه- في سورة البقرة عن الدَّيْنِ: ﴿وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلٍ﴾⁽¹²⁾، قال الطبري: «صغير الحق، يعني: قليله، أو كبيره، يعني: أو كثيره»⁽¹³⁾، ومن استعمال الكبير بمعنى الكثير ما جاء في قول الله - تقدَّست

(1) من الآية 31.

(2) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 2/ 255.

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم، 5/ 66.

(4) الآية 4.

(5) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 14/ 454.

(6) بحر العلوم، 2/ 301.

(7) من الآية 60.

(8) ينظر: التفسير البسيط، 16/ 442.

(9) ينظر: التحرير والتوير، 15/ 149.

(10) الآية 52.

(11) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي، 2/ 541.

(12) من الآية 282.

(13) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 5/ 102.

أسماءه- في سورة الفرقان: ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيرًا﴾⁽¹⁾، فسّر السمرقندي العتو الكبير بمعنى الكثير⁽²⁾.

ويأتي الكبير في القرآن الكريم بمعنى الطويل، كما في قول الله - جلّ في علاه- في سورة الملوك عن الكفار: ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾⁽³⁾، قال النسفي: إن الضلال الكبير بمعنى الشقاء الطويل⁽⁴⁾.

الفرع الآخر- الفرق بين لفظ "الكبير" ولفظ "العظيم".

إن الناظر في لفظي "العظيم" و"الكبير" لأول وهلة يكاد يجزم بترادفهما، لا سيما وأن كثيراً من المفسرين فسروا كلاً من اللفظين بمعنى الآخر، ولكن بإمعان النظر والرجوع لكلام المحققين من أهل الفن يتبين أن بين اللفظين فروقاً، وإن كانت غير جلية، فاللفظان متقاربان من حيث المعنى، ومع ذلك فهما ليسا بمترادفين، فإن الترادف أنكره كثير من أئمة العربية، قال ابن فارس: «وقال آخرون: ليس منها اسم ولا صفة إلا ومعناه غير معنى الآخر، قالوا: وكذلك الأفعال، نحو: مضى وذهب وانطلق، وقعد وجلس، وردد ونام وهجع، قالوا: ففي "قعد" معنى ليس في "جلس"، وكذلك القول فيما سواه، وبهذا نقول، وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب»⁽⁵⁾، وقال قوم بوقوع الترادف في العربية على قلة، وندرته، أو انعدامه في القرآن الكريم، قال ابن تيمية: «فإن الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن فإما نادر، وإما معدوم، وقيل أن يُعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه؛ بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن»⁽⁶⁾، فإذا ثبت هذا فإن بين لفظ "العظيم" ولفظ "الكبير" فروقاً دقيقة، ومن هذه الفروق ما يأتي:

ذكر الغزالي أن الفرق بين اللفظين يكون في الاستعمال فقال: «يقال للإنسان إذا طالت مدة وجوده: إنه كبير، أي: كبير السنّ طويل مدة البقاء، ولا يقال: عظيم السنّ، فالكبير يُستعمل فيما لا يُستعمل فيه العظيم»⁽⁷⁾.

(1) من الآية 21.

(2) ينظر: بحر العلوم، 2/ 534.

(3) الآية 9.

(4) ينظر: التيسير في التفسير، 8/ 459.

(5) الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص 59.

(6) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، 13/ 341.

(7) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، ص 109.

وفرق الزمخشري بين العظيم والكبير فقال: «العظيم نقيض الحقير، والكبير نقيض الصغير، فكأنَّ العظيم فوق الكبير، كما أنَّ الحقير دون الصغير، ويُستعملان في الجُنُث والأحداث جميعاً، تقول: رَجُلٌ عظيم وكبير، تريد جثته أو خطره»⁽¹⁾.

وذكر الرازي كلاماً في الفرق بين العظيم والكبير، ويفهم من كلامه أنه لم يَطَّلِع على كلام الزمخشري، قال فيه: «واعلم أنَّي ما رأيت أحداً من المحققين بيِّن الفرق بينهما، إلا أنَّ الفرق حاصل في التحقيق من وجوه: الأول: أنه جاء في الأخبار الإلهية أنه - تعالى- يقول: "الكبرياء ردائي والعظمة إزاري"⁽²⁾، فجعل الكبرياء قائماً مقام الرداء، والعظمة قائمة مقام الإزار، ومعلوم أنَّ الرِّداء أرفع درجة من الإزار، فوجب أن يكون صفة الكبرياء أرفع حالاً من صفة العظمة، والثاني: أنَّ الشريعة فرقت بين الحالين، فإنَّ المعتاد في دين الإسلام أن يقال في تحريم الصلاة: "الله أكبر" ولم يقل أحد "الله أعظم"، ولولا التفاوت لما حصلت هذه التفرقة، الثالث: أنَّ الألفاظ المشتقة من الكبير مذكورة في حقِّ الله - تعالى- كالأكبر والمتكبر، بخلاف العظيم فإنَّ لفظ المُتَعَطَّم غير مذكور في حقِّ الله»⁽³⁾.

ثم ذَكَر أنَّ الله - تعالى- أقام أحدهما مقام الآخر في القرآن الكريم، وذلك في قوله - سبحانه-: ﴿وَلَا يُؤَدُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾⁽⁴⁾، مع قوله - تعالى-: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾⁽⁵⁾، فاستعمل مع ﴿الْعَلِيُّ﴾ لفظ ﴿الْعَظِيمُ﴾ تارة، ولفظ ﴿الْكَبِيرُ﴾ تارة أخرى، وهنا إشكال، حيث أثبت الفرق بين اللفظين، ثم ذكر ما يُشعر بعدم الفرق، فقال في الإجابة عن هذا الإشكال: «يشبه أن يكون الكبير في ذاته كبيراً، سواء استكبره غيره أم لا، وسواء عرف هذه الصفة أحد أو لا، وأما العظمة فهي عبارة عن كونه بحيث يستعظمه غيره، وإذا كان كذلك كانت الصفة الأولى ذاتية، والثانية عرضية، والذاتي أعلى وأشرف من العرضي، فهذا هو الممكن في هذا المقام والعلم عند الله»⁽⁶⁾.

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 53 / 1.

(2) أخرجه أحمد في مسنده، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه- مسند أبي هريرة، برقم: 8894، 14 / 473، وأبو داود في سننه، كتاب: اللباس، باب: ما جاء في الكبر، برقم: 4090، 4 / 59، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم: 2898: «صحيح لغيره».

(3) التفسير الكبير، 1 / 134.

(4) سورة البقرة، من الآية 255.

(5) سورة سبأ، من الآية 23.

(6) التفسير الكبير، 1 / 134.

ومن الفروق بين العظيم والكبير ما ذكره ابن عرفة⁽¹⁾ في قوله: «فإذا كان ضدّ الحقير عظيمًا لزم أن يكون الكبير أعظم من العظيم قطعًا؛ لأنّه إذا انتفى عن العذاب اسم الحقارة ثبت له نقيضه، وهو العظم، وإن كان في نفسه صغيرًا، وإذا انتفى عنه ما فوق الحقارة، وهو الصَّغَر، ثبت له ما فوق ذلك، وهو الكِبَر، وكان أعظم من العظيم، ويؤيد ذلك اختيارهم في تكبير الصلاة عند الإحرام لفظ: الله أكبر، ولم يختاروا الله العظيم، فدلّ على أنّ الكبير أعظم من العظيم»⁽²⁾.

ومع هذا التفريق الذي ذكره العلماء بين اللَّفْظَيْن إلا أنّهما متلازمان⁽³⁾، فالعظيم يستلزم الكبير، والكبير يستلزم العظيم، ومع ذلك فإنّ الله - تعالى - استعمل كلّ لفظ في موضعه، فلم يُجَلِّ أحد اللَّفْظَيْن محلّ الآخر؛ بل لكلّ لفظ موضعه، وهذا من بلاغة القرآن وإعجازه.

(1) هو: محمد بن محمد بن عرفة بن حماد الورغمي، تونسي القطر، مالكي المذهب، مقرئ، أصولي، بياني، منطقي، إمام في علوم القرآن، مجيد في التفسير، والعربية، له تصانيف عديدة، منها: المختصر الكبير، ومختصر الفرائض، والحدود، ينظر: طبقات المفسرين، للداودي، 2/ 239، والأعلام للزركلي، 7/ 44.

(2) تفسير ابن عرفة، 1/ 130.

(3) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني، 1/ 451.

المبحث الثالث- ألفاظ العظمة في القرآن الكريم بين التراكيب الصريحة والمفردات المؤولة.

بإجالة النظر في نصوص القرآن الكريم نلاحظ ألفاظاً قرآنية جاء وصفها بالعظمة تصريحاً، ولم يصفها الله - تعالى- بالعظمة إلا لتفخيم شأنها، والإشادة بها؛ لأنها خرجت عن المعهود من جنسها، وفي هذا المبحث سأنتبع هذه الألفاظ، وأنقل معناها عند المفسرين في المطلب الأول، أما المطلب الآخر فأجعله للمفردات المؤولة بالعظمة، وهي: الألفاظ التي ذكر المفسرون أنّ العظمة كامنة في معناها، وسأنقل كلامهم في هذه الألفاظ.

المطلب الأول- التراكيب القرآنية الصريحة التي وُصفت بلفظ "العظيم".

أطلق الله - سبحانه- في كتابه وصف "العظيم" على طائفة من الألفاظ، وإذا عظم الله شيئاً قَطَعْنَا بَعْظَمَتَهُ؛ لأنّ الله - تعالى- لا يُعْظَمُ إلا ما كان عظيمًا، وعمد المفسرون إلى هذه الألفاظ التي وصفها الله - تعالى- بالعظمة وذكروا معناها حال تركيبها، وبالرجوع إلى نصوص القرآن الكريم يمكن ملاحظة عدد من الألفاظ التي اقترنت بوصف "العظيم"، حيث ورد هذا الوصف متعلقاً بها بنص صريح، ولعلّ من أبرز هذه الألفاظ ما يأتي:

لفظ العذاب فقد أُطلق عليه وصف العظيم صراحة، ووقع ذلك في عدّة مواضع من القرآن الكريم، ومن هذه المواضع: قول الله - تعالى- في سورة البقرة: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾، وقوله في سورة المائدة: ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽²⁾، فالعذاب العظيم عند الطبري هو عذاب جهنم⁽³⁾، وقال الواحدي في معنى العذاب العظيم: «هو المواصلّة بين أجزاء الآلام، بحيث لا يتخلّلها فُرجة»⁽⁴⁾، ويرى الشوكاني أنّ المراد بالعذاب العظيم ما يشمل الدنيوي والأخروي⁽⁵⁾.

(1) من الآية 7.

(2) من الآية 33.

(3) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 2/ 448.

(4) التفسير الوسيط، 1/ 85.

(5) ينظر: فتح القدير، 4/ 128.

لفظ البلاء، فقد وَصَفَ اللهُ - تعالى- البلاء بالعظيم في ثلاثة مواضع، فقال: ﴿وَفِي ذُلِّكُمْ بِلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾، ذكر الطبري أنّ البلاء بمعنى النعمة⁽²⁾، وعنه أيضًا أنّ البلاء بمعنى الابتلاء والاختبار⁽³⁾.

لفظ الفضل، من الألفاظ التي وُصفت بالعظيم، ووقع ذلك في سبعة مواضع من القرآن الكريم، ومنها: قول الله - تعالى- في سورة البقرة: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾⁽⁴⁾، وقوله في سورة آل عمران: ﴿وَاتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾⁽⁵⁾، الفضل العظيم هو العطاء العظيم، والمنّ الجسيم⁽⁶⁾، وقال الثعلبي: إنه بمعنى «المنّ الكبير»⁽⁷⁾.

ووصف الله - تعالى- الأجر بالعظيم صراحة في عدّة مواضع من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله في سورة آل عمران: ﴿وَإِن تُوْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁸⁾، وقوله في سورة التغابن: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁹⁾، والأجر العظيم هو الجنة كما نقل الطبري في تفسيره⁽¹⁰⁾، وفسّر الزّجاج الأجر العظيم برفع الدرجات من الله - تعالى-⁽¹¹⁾، والأجر العظيم هو ثواب الآخرة عند الراغب الأصفهاني⁽¹²⁾، وقال ابن عطية عن الأجر العظيم: إنه «التّخليد في الجنة»⁽¹³⁾.

(1) سورة البقرة، من الآية 49، وسورة الأعراف، من الآية 141، وسورة إبراهيم، من الآية 6.

(2) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 1/ 653.

(3) ينظر: المصدر نفسه، 13/ 600.

(4) من الآية 105.

(5) من الآية 174.

(6) ينظر: بحر العلوم، 3/ 408.

(7) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 26/ 82.

(8) من الآية 179.

(9) من الآية 15.

(10) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 7/ 33.

(11) ينظر: معاني القرآن وإعرايه، للزجاج، 2/ 94.

(12) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني، 3/ 1323.

(13) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 2/ 128.

وجاء وصف الفوز بالعظيم في عدّة مواضع من القرآن الكريم، ومن ذلك ما ورد في سورة النساء، في قول الله - جلّ وعلا-: ﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁽¹⁾، وقال في سورة الأحزاب: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾⁽²⁾، من معاني الفوز العظيم كما ذكر الطبري: الظفر العظيم، والنجاء الجسمي⁽³⁾، والسمرقندي يفسّره بالنجاة الوافرة⁽⁴⁾، وللتعلبي أنه بمعنى السعادة الكبيرة الدائمة⁽⁵⁾.

ومما جاء وصفه بالعظيم صراحة لفظ الميل، وذلك في قول الله - عزّ وجلّ- في سورة النساء: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾⁽⁶⁾، ومن المعاني التي ذكرت للميل العظيم: أنه بمعنى الزنا⁽⁷⁾، ومن معانيه أيضاً: اتّباع دين أهل الباطل، وترك أمر الله ودينه⁽⁸⁾، وفسّر الرّجاج الميل العظيم بالعدول عن الحقّ⁽⁹⁾، وقد يُراد بالميل العظيم الخطأ العظيم⁽¹⁰⁾، وقال السمعاني: «الميل العظيم: هو أن يفعل فعلاً لا يخاف الله فيه، ولا يرقّب الناس، وقيل: الميل العظيم باتّباع الشهوات»⁽¹¹⁾.

ووصف الله - سبحانه- الإثم بالعظم، فقال في سورة النساء: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾⁽¹²⁾، والإثم العظيم هو الذنب العظيم⁽¹³⁾، وللواحد أن المراد من وقع في الشرك بالله فقد اختلق ذنباً غير مغفور⁽¹⁴⁾.

ومن ذلك لفظ الملّك، فقد وصفه الله - تعالى- بالعظيم صراحة في كتابه، وذلك في قوله في سورة النساء: ﴿فَقَدْ عَاقَبْتِنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكَاتِبَ وَالْحَكَمَةَ وَعَاقَبْتِنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾⁽¹⁵⁾، فسّر الملّك

(1) من الآية 13.
(2) من الآية 71.
(3) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 11 / 565.
(4) ينظر: بحر العلوم، 1 / 287.
(5) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 26 / 359.
(6) من الآية 27.
(7) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 6 / 622.
(8) ينظر: المصدر نفسه، 6 / 623.
(9) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، 2 / 44.
(10) ينظر: بحر العلوم، 1 / 297.
(11) تفسير السمعاني، 1 / 418.
(12) من الآية 48.
(13) ينظر: بحر العلوم، 1 / 308.
(14) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص 268.
(15) من الآية 54.

بالنبوة⁽¹⁾، وقال بعض المفسرين: هو تحليل النساء⁽²⁾، وقال آخرون: الملك العظيم هو أنهم أيّدوا بالملائكة⁽³⁾، واختار الطبري أنّ الملك العظيم هو الملك الذي وهبه الله - تعالى - لنبيه سليمان - عليه السلام⁽⁴⁾.

ووصف الله - تعالى - البهتان بالعظيم فقال في سورة النساء: ﴿وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾⁽⁵⁾، فالبهتان العظيم في هذه الآية هو رميهم مريم - عليها السلام - بالزنا⁽⁶⁾، وقال أيضًا في سورة النور: ﴿سُبْحٰنَكَ هٰذَا بُهْتٰنٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁷⁾، يُراد بالبهتان العظيم هنا الكذب⁽⁸⁾.

ومما وُصِفَ بالعظيم صراحة: اليوم، وذلك في مواضع من القرآن الكريم، ومنها: قوله - سبحانه - في سورة الأنعام: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾⁽⁹⁾، وقال في سورة الأعراف: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَفْقَهُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾⁽¹⁰⁾، فسّر الزمخشري اليوم العظيم بيوم القيامة⁽¹¹⁾، وإلى هذا المعنى ذهب أبو حيان أيضًا، وزاد: «وُوصِفَ بِالْعِظْمِ لَطْوَلُهُ، أَوْ لكَثْرَةَ شِدَائِدِهِ، أَوْ لِلْمَجْمُوعِ»⁽¹²⁾، ويرى ابن عاشور أنّ وصف اليوم بالعظمة إنما هو كناية؛ لأنّ عظمة اليوم تستلزم عِظْمَ ما يقع فيه⁽¹³⁾.

ومن الألفاظ التي وُصفت بالعظيم صراحة لفظ السّحر، وذلك في قول الله - عزّ وجلّ - في سورة الأعراف: ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾⁽¹⁴⁾، والمراد بالسّحر العظيم، أي: السّحر التام، أو القول العظيم⁽¹⁵⁾.

(1) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 7 / 158.

(2) ينظر: المصدر نفسه.

(3) ينظر: المصدر نفسه، 7 / 160.

(4) ينظر: المصدر نفسه.

(5) الآية 156.

(6) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 7 / 649.

(7) من الآية 16.

(8) ينظر: تفسير القرآن العزيز، 3 / 225.

(9) الآية 15.

(10) الآية 59.

(11) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 2 / 113.

(12) البحر المحيط في التفسير، 6 / 24.

(13) ينظر: التحرير والتنوير، 7 / 161.

(14) من الآية 116.

(15) ينظر: بحر العلوم، 1 / 539.

وأطلق لفظ العظيم على الخزي، وذلك في قول الله - سبحانه- في سورة التوبة: ﴿ذَلِكَ
 الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾⁽¹⁾، فُسر ﴿الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ بالهوان والذل⁽²⁾، وفُسر أيضًا بالعذاب الشديد⁽³⁾،
 وفُسر بالفضيحة العظيمة والنكال العظيم⁽⁴⁾، وفُسر بمعنى الإهلاك الدائم⁽⁵⁾.

ووصف الله العرش العظيم في أربعة مواضع، ومن ذلك قوله في سورة التوبة: ﴿فَإِنْ
 تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾⁽⁶⁾، والعرش العظيم هو
 السرير العظيم⁽⁷⁾، وفُسر العرش العظيم بأنه المحيط بكل شيء⁽⁸⁾.

وأطلق الله لفظ العظيم على الكيد، وذلك في قوله - سبحانه- في سورة يوسف - عليه
 السلام: ﴿إِنَّ كَيْدُكَ عَظِيمٌ﴾⁽⁹⁾، والكيد العظيم هو الصنيع العظيم⁽¹⁰⁾.

ومن الألفاظ التي وُصفت بالعظمة أيضًا لفظ القرآن، وجاء ذلك في قوله - سبحانه- في
 سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾⁽¹¹⁾، وحصل خلاف في المراد
 بالقرآن العظيم، فمن قائل: هو سائر القرآن⁽¹²⁾، ومن قائل إن القرآن العظيم يُراد به سورة
 الفاتحة، فهي السبع المثاني، وهي القرآن العظيم⁽¹³⁾.

ووصف الله - عزّ وجلّ- القول بالعظم، فقال في سورة الإسراء: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ
 وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾⁽¹⁴⁾، والقول العظيم هو القول المنكر القبيح،

(1) من الآية 63.
 (2) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 11 / 541.
 (3) ينظر: بحر العلوم، 2 / 70.
 (4) ينظر: تفسير السمعي، 2 / 323.
 (5) ينظر: لباب التفسير، للكرماني، ص 609.
 (6) الآية 129.
 (7) ينظر: بحر العلوم، 2 / 101.
 (8) ينظر: محاسن التأويل، 5 / 534.
 (9) من الآية 28.
 (10) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 13 / 113.
 (11) الآية 87.
 (12) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 14 / 126.
 (13) ينظر المصدر نفسه، 17 / 139.
 (14) الآية 40.

وذلك قولهم: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ⁽¹⁾، تعالى الله عن قولهم، فقد كذبوا وافتروا بنسبة الولد لله، ثم باختيارهم الذكور، وجعل الإناث لله، ولا شك أن هذا قول عظيم.

ولفظ الكرب من الألفاظ التي وُصفت بالعظمة صراحة، وذلك في قوله – عز وجل – في سورة الأنبياء عن نوح – عليه السلام: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾⁽²⁾، وقال عنه أيضًا في سورة الصافات: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾⁽³⁾، وقال عن موسى وهارون – عليهما السلام – في سورة الصافات أيضًا: ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾⁽⁴⁾، قال الطبري عن الكرب الذي نجى الله منه نوح: «يقول: من الأذى والمكروه الذي كان فيه من الكافرين، ومن كرب الطوفان والغرق الذي هلك به قوم نوح»⁽⁵⁾، وقال عن الكرب الذي نجى منه موسى وهارون: «ونجيناها وقومها من الغم والمكروه العظيم الذي كانوا فيه من عبادة آل فرعون، ومما أهلكنا به فرعون وقومه من الغرق»⁽⁶⁾، وفسر ابن أبي زمنين⁽⁷⁾ الكرب الذي نجى الله منه موسى وهارون بالظلم العظيم⁽⁸⁾.

ووصف الله – جل شأنه – الشيء بالعظم في سورة الحج، فقال: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁹⁾، ويُراد بالشيء العظيم: الذي لا يُوصف لعظمته⁽¹⁰⁾، وفسر الشيء العظيم بالأمر العظيم⁽¹¹⁾، ومن معاني الشيء العظيم: الهائل الفضيع⁽¹²⁾، وقال ابن كثير في معنى الشيء العظيم: «أي: أمر كبير، وخطب جليل، وطارق مفتح، وحادث هائل، وكائن عجيب»⁽¹³⁾.

(1) ينظر: بحر العلوم، 2 / 312.

(2) من الآية 76.

(3) الآية 76.

(4) الآية 115.

(5) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 19 / 560.

(6) المصدر نفسه، 19 / 609.

(7) هو: محمد بن عبد الله بن عيسى، المعروف بابن أبي زمنين، كان من فقهاء المالكية، راسخًا في العلم، متقنًا في الأدب والشعر، له مصنفات منها: مختصر المدونة، ومختصر تفسير ابن سلام، وكتاب أصول السنة، توفي عام: 399 هـ. ينظر: طبقات المفسرين، للسيوطي، ص 104، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية، 1 / 150.

(8) ينظر: تفسير القرآن العزيز، 4 / 68.

(9) من الآية 1.

(10) ينظر: التفسير الوسيط، 3 / 257.

(11) ينظر: تفسير السمعي، 3 / 416.

(12) ينظر: لباب التفسير، ص 1544.

(13) تفسير القرآن العظيم، 5 / 393.

ووصف الله سبحانه- الطّود بالعظيم، وذلك في قوله في سورة الشعراء: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ

كَالطُّودِ الْعَظِيمِ﴾⁽¹⁾، والطّود العظيم معناه الجبل الضّخم⁽²⁾، أو الجبل الكبير⁽³⁾.

والحظّ من الألفاظ التي وصفت بالعظيم صراحة، وذلك في قول الله - تعالى- في سورة القصص عن قول قوم قارون عنه: ﴿إِنَّهُ لُدُو حَظٌّ عَظِيمٌ﴾⁽⁴⁾، وقال في سورة فصلت: ﴿وَمَا يُقَالُهَا إِلَّا دُو حَظٌّ عَظِيمٌ﴾⁽⁵⁾، جاء عند الطبري أنّ الحظّ العظيم هو الجنة⁽⁶⁾، وقال ابن عطية عن الحظّ العظيم: «يحتمل أن يريد من العقل والفضل»⁽⁷⁾، وعند العز بن عبد السلام⁽⁸⁾ أنّ الحظّ العظيم هو الجّد العظيم، أو هو النصيب الوافر⁽⁹⁾، وذكر أبو السعود أنّ الحظّ العظيم قد يُراد به الثواب⁽¹⁰⁾، وتفسير الحظّ العظيم بالجنة يمكن أن يُقال في الآية الثانية، أما في الآية الأولى فلا؛ لأنّ قارون ليس من أهل الجنة، فيحمل الحظّ العظيم في وصف قارون على العقل، أو النصيب، أو الثواب الدنيوي.

وأطلق الله - سبحانه- لفظ العظيم على الظلم، وذلك في سورة لقمان فقال: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ

لَظَلَمٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹¹⁾، فالظلم العظيم هو الخطأ العظيم⁽¹²⁾، ويحتمل أن يكون بمعنى الذنب العظيم الذي لا يُغفر⁽¹³⁾.

ووصف الله - جلّ شأنه- الدّبح بالعظيم، وذلك في قوله في سورة الصافات: ﴿وَفَدَيْتَهُ

بِدَبْحٍ عَظِيمٍ﴾⁽¹⁾، والمراد بالدّبح العظيم الكبش⁽²⁾، أو الوعل⁽³⁾.

- (1) من الآية 63.
- (2) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 56/20.
- (3) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 1/229.
- (4) من الآية 79.
- (5) من الآية 35.
- (6) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 20/434.
- (7) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 5/16.
- (8) هو: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم، من فقهاء الشافعية، ألقب بسلطان العلماء، له مصنفات قيّمة، منها: قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، والإمام في أدلة الأحكام، وكتاب في التفسير، توفي عام: 660هـ. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، 8/209، وطبقات المفسرين، للداودي، 1/315، والأعلام للزركلي، 4/21.
- (9) ينظر: تفسير العز بن عبد السلام، 3/132.
- (10) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 8/14.
- (11) من الآية 13.
- (12) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 18/549.
- (13) ينظر: بحر العلوم، 3/24.

ومما وُصِفَ بالعظيم صراحة لفظ النبأ، وذلك في قول الله - سبحانه- في سورة ص: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁴⁾، وقوله في سورة النبأ: ﴿عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ﴾⁽⁵⁾، نقل الطبري في معنى النبأ أنه: أريد به القرآن⁽⁶⁾، أو أريد به البعث⁽⁷⁾، أو أنه بمعنى يوم القيامة⁽⁸⁾، وزاد الزجاج في معنى النبأ العظيم أنه أمر النبي -ﷺ-⁽⁹⁾، ومن المعاني التي زادها ابن عطية: أن يكون بمعنى الشرع الذي جاء به محمد -ﷺ-⁽¹⁰⁾، وذكر الرازي معنى زائداً عن هذه المعاني فقال: يمكن أن يكون المراد بالنبأ العظيم القول بأن الإله واحد⁽¹¹⁾.

ووصف الله - تعالى- في كتابه رجلاً بالعظم فقال في سورة الزخرف: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾⁽¹²⁾، فهم يقصدون بالرجل العظيم رجلاً بعينه، واختلف المفسرون في تعيينه كما قال الطبري، فقيل: الوليد بن المغيرة القرشي، وقيل: حبيب بن عمرو الثقفي⁽¹³⁾، وقيل: عروة الثقفي⁽¹⁴⁾، وقيل غير ذلك.

ومما وصف بالعظيم صراحة لفظ الحنث، وذلك في قول الله - تبارك وتعالى- في سورة الواقعة: ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَىٰ الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾⁽¹⁵⁾، فسّر الطبري الحنث العظيم بالشرك⁽¹⁶⁾، ونقل السمرقندي أنّ الحنث العظيم هو اليمين الغموس⁽¹⁷⁾.

وأطلق الله - سبحانه- وصف العظيم على القسم، فقال في سورة الواقعة: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّا تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾، والمراد بالقسم العظيم ما جاء في الآية السابقة، وهي قوله - تعالى-: ﴿فَلَا

(1) الآية 107.

(2) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 598 / 19.

(3) ينظر: المصدر نفسه، 603 / 19، والوعل: هو التيس الجبلي، ينظر: معاني القرآن وإعرابه، 4 / 312.

(4) الآية 67.

(5) الآية 2.

(6) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 5 / 24.

(7) ينظر: المصدر نفسه، 6 / 24.

(8) ينظر: المصدر نفسه.

(9) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، 5 / 271.

(10) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 5 / 423.

(11) ينظر: التفسير الكبير، 26 / 407.

(12) الآية 31.

(13) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 20 / 580.

(14) ينظر: المصدر نفسه، 20 / 582.

(15) الآية 46.

(16) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 22 / 339.

(17) ينظر: بحر العلوم، 3 / 395.

أَقْسِمُ بِمَوْعِ النَّجُومِ⁽²⁾، قال الطبري: «وإنّ هذا القسم الذي أقسمتُ لقسم لو تعلمون ما هو، وما قدره، قسم عظيم»⁽³⁾، وقال الواحدي: «والمعنى: وأنّ القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم، لو تعلمون عظمه لانتفعتم بذلك»⁽⁴⁾.

ووصف الله - تعالى - خُلق النبي - ﷺ - بالعظيم فقال في سورة القلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁽⁵⁾، ذكر الطبري أنّ الخُلق العظيم هو الإسلام⁽⁶⁾، وذكر الماوردي أنّ الخُلق العظيم يحتمل ثلاثة معانٍ، وهي: أدب القرآن، ودين الإسلام، والطبع الكريم⁽⁷⁾، ومن المعاني التي ذكرها القرطبي سوى هذه المعاني أنه بمعنى رِفْقه بأُمَّته وإكرامه إياهم، وأيضًا هو ما كان يَأتمر به من أمر الله، وينتهي عنه ممّا نهى الله عنه⁽⁸⁾، وزاد ابن عرفة على معاني الخُلق العظيم معنى آخر، وهو أنه لا هِمّة لك إلا الله⁽⁹⁾.

المطلب الآخر- المفردات التي أولها المفسرون بدلالة العظمة.

وردت في نصوص القرآن الكريم مفردات لغوية دلّت على صفة العظمة من جهة معناها الذي ذكره أهل التفسير، على أنّ هذه المفردات ليست من مادة "عظم"، وإنما ذكر المفسرون أنّ العظمة فيها من جهة المعنى، وتتبع المفردات التي تدلّ على صفة العظمة بمعناها لا بلفظها ليس بدعًا من القول، فهذا الثعالبي⁽¹⁰⁾ يعقد فصلًا مقارِبًا لهذا المطلب جعل عنوانه: «فيما أطلق الأئمة في تفسيره لفظة العظيم»⁽¹¹⁾، وفي هذا المطلب سأنتبّع جملة من المفردات القرآنية التي أولت بالعظمة، على أنني لا ألتزم أن يُؤوّل جميع المفسرين المفردة بالعظمة حتى أذكرها؛ بل ولو ذكر إمام معتبر أنها تؤوّل بالعظمة فإنني أوردتها، ثم أذكر من الذي فسرها بالعظمة من أئمة التفسير، وذلك كما يأتي:

(1) الآية 76.

(2) الآية 75.

(3) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 22 / 362.

(4) ينظر: التفسير البسيط، 21 / 258.

(5) الآية 4.

(6) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 23 / 149.

(7) ينظر: النكت والعيون، 6 / 61.

(8) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 18 / 227.

(9) ينظر: تفسير ابن عرفة، 4 / 268.

(10) هو: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، من الأدباء، الفضلاء، الفصحاء، البلغاء، صنّف مصنفات حسان، منها: كتاب بيتيمة الدهر، وسحر البلاغة، وكتاب فقه اللغة، توفي عام: 429هـ. ينظر: نزّهة

الألباء في طبقات الأدباء، ص 266.

(11) فقه اللغة، للثعالبي، ص 41.

لفظ "التسبيح" في القرآن يدلّ على التعظيم، قال الزّجاج: «التّسبيح في اللّغة تعظيم الله وتنزيهه عن السوء»⁽¹⁾ وقد ورد التسبيح في مواضع من القرآن الكريم، ومنها: قول الله - سبحانه- في سورة البقرة عن الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾⁽²⁾، قال الطبري في معناها: «يعني: إنّنا نُعظّمُك بالحمد لك والشكر»⁽³⁾، ومنها: قوله - تعالى- عن الملائكة أيضًا في سورة الأنبياء: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾⁽⁴⁾، قال البيضاوي: «ينزهونه ويعظّمونه دائماً»⁽⁵⁾.

وألفاظ "الاستكبار، والتكبر، والكبرياء" تدلّ على التعظيم، ومن ذلك ما جاء في قول الله - جلّ وعلا- في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ﴾⁽⁶⁾، قال عبد القاهر الجرجاني في معنى ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾: «امتنع وتعظّم في نفسه»⁽⁷⁾، وقال النسفي: «الاستكبار: الاستعظام، والإكبار: الإعظام، والتكبر: التعظيم، والتكبير: التعظيم، والكبرياء: العظمة، والكبير: العظيم، والكُبار - بضم الكاف وتشديد الباء وتخفيفها- التعظيم»⁽⁸⁾، وقال في معنى ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾: «أي: واستعظم نفسه، وقيل: استعظم أمر الله بذلك إياه، وهو كالاستنكار»⁽⁹⁾.

ومن الألفاظ المؤولة بالعظمة: لفظ "مِصْرٌ" وقد جاء في قول الله - سبحانه- في سورة البقرة: ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ﴾⁽¹⁰⁾، فسّر أبو السعود المِصْرَ بالبلد العظيم⁽¹¹⁾.

ومن الألفاظ التي ذكر المفسرون أنّ العظمة كامنة في معناها: لفظ "الطّور"، وتصرّف في مواضع من القرآن الكريم، ومنها: قوله - تعالى- في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾⁽¹⁾، فالمراد بالطور الجبل العظيم كما ذكر البقاعي⁽²⁾.

(1) معاني القرآن وإعرابه، 22 / 5.

(2) من الآية 30.

(3) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 1 / 502.

(4) الآية 20.

(5) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 4 / 48.

(6) من الآية 34.

(7) درج الدرر في تفسير الآي والسور، 1 / 145.

(8) التيسير في التفسير، 2 / 93.

(9) المصدر نفسه، 2 / 94.

(10) من الآية 61.

(11) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 1 / 107.

ولفظ "الكلمة" في القرآن قد تأتي بمعنى الأمر العظيم، ومن ذلك قول الله - عزّ وجلّ- في سورة البقرة: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾⁽³⁾، ففسّر النسفي الكلمات بالأمر العظيمة الشاقة، كالأمر بذبح ابنه، والهجرة، والإلقاء في النار وغيرها⁽⁴⁾.

ومن الألفاظ التي أولت بالعظمة: لفظ "العزیز"، وقد ذُكر في مواضع من القرآن الكريم، ومنها: قوله - سبحانه- في سورة البقرة: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾⁽⁵⁾، قال البقاعي عن معنى العزیز: «أي: العظيم النفع، الذي يَغلب كلَّ شيء، ولا يغلبه شيء، ويعسر الوصول إليه»⁽⁶⁾.

ومن الألفاظ التي فيها معنى العظمة: لفظ "الملا"، وقد ورد في مواضع من القرآن الكريم، ومنها قوله - عزّ وجلّ- في سورة البقرة: ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِئِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾⁽⁷⁾، فالملا يُطلق على الجمع العظيم الشريف⁽⁸⁾.

و"الوابل" في القرآن الكريم من الألفاظ التي أولت بالعظمة، وقد ورد في مثل قوله - تعالى- في سورة البقرة: ﴿فَأَصَابَهُ وَاِبِلٌ﴾⁽⁹⁾، بمعنى المطر العظيم⁽¹⁰⁾.

ومما أوله المفسرون بالعظمة: لفظ "الوهّاب"، وورد في مواضع، منها: قول الله - سبحانه- في سورة آل عمران: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾⁽¹¹⁾، فسّر البقاعي لفظ الوهّاب بعظيم المواهب⁽¹²⁾.

(1) من الآية 63.

(2) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 2/ 52.

(3) من الآية 124.

(4) ينظر: التيسير في التفسير، 4/ 47.

(5) من الآية 209.

(6) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 2/ 20.

(7) من الآية 246.

(8) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 16/ 196.

(9) من الآية 264.

(10) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، 1/ 347.

(11) من الآية 8.

(12) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 16/ 384.

وممّا أُوِّلَ بالعظيم: لفظ "الوجيه"، وجاء في مثل قول الله - تعالى- في سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يُمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيْحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾⁽¹⁾، والوجيه عند العرب: العظيم القدر⁽²⁾.

ومن الألفاظ التي أوِّلت بالعظمة: لفظ "القطار"، وقد جاء في مواضع، منها: قول الله - سبحانه- في سورة آل عمران: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّدُ إِلَيْكَ﴾⁽³⁾، فالمراد بالقطار: المال العظيم⁽⁴⁾.

ولفظ "الحوب" من الألفاظ التي حملت معنى العظمة، وقد جاء في قول الله - تعالى- في سورة النساء: ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾⁽⁵⁾، قال الزَّجَّاج: الحوب: هو الإثم العظيم⁽⁶⁾، وكذا قال الزمخشري: الحوب: الذنب العظيم⁽⁷⁾.

ومن الألفاظ التي في طيِّها معنى العظمة: لفظ "الجبار"، وقد تصرّف في غير موضع من القرآن الكريم، ومن ذلك ما جاء في قول الله - سبحانه- في سورة المائدة: ﴿قَالُوا يُمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾⁽⁸⁾، ذكر الواحدي أنّ الرّجل الطويل العظيم القوي يقال له: جبار⁽⁹⁾، وقال الكرمانى: «الجبار: مَنْ يَجْبُرُ عَلَى مَا يَرِيدُ، وَيَعْظُمُ عَنْ أَنْ يِنَالَ»⁽¹⁰⁾.

ومن الألفاظ التي ذكر المفسرون أنها تتضمّن العظمة: لفظ "النبأ"، وتصرّف في غير موضع من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله - عزّ وجلّ- في سورة المائدة: ﴿وَآتَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾⁽¹¹⁾، قال الكرمانى عن النبأ: إنه الخبر العظيم⁽¹⁾، ولاين عاشور أنّ النبأ هو الإخبار عن أمر عظيم⁽²⁾.

(1) من الآية 45.
(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 14 / 252.
(3) من الآية 75.
(4) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، 2 / 31.
(5) من الآية 2.
(6) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، 2 / 8.
(7) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 1 / 466.
(8) من الآية 22.
(9) ينظر: التفسير البسيط، 7 / 324.
(10) لباب التفاسير، ص 152.
(11) من الآية 27.

و"الملكوت" من الألفاظ التي أولت بالعظمة، وجاء في مواضع منها: قول الله - سبحانه- في سورة الأنعام: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾⁽³⁾، نقل الواحدي عن أهل اللّغة أنّ الملكوت هو عِظَمَ الْمُلْكِ⁽⁴⁾، وقال الكرمانى: إنّ معناه الْمُلْكُ الْعَظِيمُ⁽⁵⁾.

ولفظ "القدر" قد يأتي في القرآن بمعنى العظمة، ومن ذلك ما جاء في سورة الأنعام، في قول الله - تعالى-: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾⁽⁶⁾، قال الطبري في معناها: «وما أجلّوا الله حق إجلاله، ولا عظّموه حق تعظيمه»⁽⁷⁾.

ومن الألفاظ التي تحمل معنى العظمة: لفظ "الثعبان"، وقد جاء في نحو قول الله - سبحانه- في سورة الأعراف: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾⁽⁸⁾، والثعبان هو «العظيم من الحيّات»⁽⁹⁾، وذكروا أنه أعظم الحيّات⁽¹⁰⁾.

ومن المفردات التي في طيّها معنى العظمة: كلمة "المدائن"، وجاءت في مواضع، منها قوله - تعالى- في سورة الأعراف: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حٰشِرِينَ﴾⁽¹¹⁾، قال ابن عاشور: المدائن جمع مدينة، وهي البلد العظيم⁽¹²⁾.

ومن الألفاظ التي أولت بالعظمة: لفظ "الغار"، الوارد في قول الله - سبحانه- في سورة التوبة: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصٰحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعْنَا﴾⁽¹³⁾، قال الواحدي: إنّ الغار هو نقب عظيم في الجبل⁽¹⁴⁾.

(1) ينظر: لباب التفاسير، 1835.

(2) ينظر: التحرير والتنوير، 7 / 203.

(3) من الآية 75.

(4) ينظر: التفسير البسيط، 16 / 47.

(5) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل، 2 / 782.

(6) من الآية 91.

(7) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 9 / 393.

(8) الآية 107.

(9) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، 4 / 109.

(10) ينظر: التفسير البسيط، 9 / 264.

(11) الآية 111.

(12) ينظر: التحرير والتنوير، 19 / 129.

(13) من الآية 40.

(14) ينظر: التفسير البسيط، 10 / 437.

ومن الألفاظ التي تحمل معنى العظمة: لفظ "الْحَطْب"، وقد ورد في مواضع من القرآن الكريم، ومنها: قوله - تعالى- في سورة يوسف: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رُودْتُنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ﴾⁽¹⁾، فسّر الأصفهاني الخطب بالأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب⁽²⁾.

ولفظ "البَثِّ" أيضًا من الألفاظ التي تحمل معنى العظمة، وقد جاء في قول الله - جلّ وعلا- في سورة يوسف: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾⁽³⁾، قال الشوكاني: «وأما على تفسير البثِّ بالحُزن العظيم، فكأنه قال: إنما أشكو حزني العظيم وما دونه من الحزن إلى الله، لا إلى غيره من الناس»⁽⁴⁾.

وأوّل لفظ "المُحَرَّم" بمعنى العظمة، وقد ورد في قول الله - عزّ وجلّ- في سورة إبراهيم: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾⁽⁵⁾، نقل الكرمانلي في معنى المُحَرَّم أنه العظيم الحرمة⁽⁶⁾، وكذلك نقل الزمخشري أنّ من أسباب تسميته مُحَرَّمًا كونه مُحترَمًا عظيم الحرمة⁽⁷⁾.

ولفظ "اللفيف" من الألفاظ التي تحمل معنى العظمة، وقد جاء في قول الله - سبحانه- في سورة الإسراء: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾⁽⁸⁾، قال الواحدي إنّ معنى اللَّفِيف: «الجمع العظيم من أخلاط شتى، فمنهم الشريف والدني، والمطيع والعاصي، والقوي والضعيف»⁽⁹⁾.

ومن المفردات التي أوّلت بالعظمة: كلمة "الإمر"، بكسر الهمزة، ووردت في قول الله - عزّ وجلّ- في سورة الكهف: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِمْرًا﴾⁽¹⁰⁾، قال ابن عاشور: «والإمر- بكسر الهمزة:- هو العظيم المُفطع»⁽¹⁾.

(1) من الآية 51.

(2) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني، 1/ 487.

(3) من الآية 86.

(4) فتح القدير، 3/ 59.

(5) من الآية 37.

(6) ينظر: لباب التفاسير، ص 961.

(7) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، 2/ 558.

(8) من الآية 104.

(9) ينظر: التفسير البسيط، 13/ 501.

(10) من الآية 71.

ومن الألفاظ التي ضُمَّنت معنى العظمة: لفظ "الفردوس"، وجاء في مثل قوله – تعالى- في سورة الكهف: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ (2)، ذكر البقاعي أن أصل الفردوس: البستان العظيم الواسع (3).

ومن الألفاظ التي في ضمنها العظمة: لفظ "السري"، وقد جاء في قول الله – تعالى- في سورة مريم: ﴿قَدْ جَعَلْنَا لَكَ رَبًّا حَتَّىٰ تَبْطِئَ بِرَأْيِ رَبِّكَ فَتَنصَلُّ﴾ (4)، والسري من الرجال هو السيد العظيم الخصال، وتأويل الآية: قد جعل ربك تحتك رجلاً عظيماً له شأن (5).

ومن الألفاظ التي تتضمن معنى العظمة: لفظ "الفرى"، وقد ورد في قول الله – عز وجل- في سورة مريم: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ (6)، ومعنى الفرى: العظيم (7)، ومرادهم من قولهم أنها جاءت بأمر عظيم منكر، حيث جاءت به من غير أب (8).

ومن الألفاظ التي فيها معاني العظمة في القرآن الكريم: لفظ "الإد"، وجاء في قول الله – جلّ وعلا- في سورة مريم: ﴿لَقَدْ جِئْتُم شَيْئًا إِدًّا﴾ (9)، قال الطبري: إن معنى الإدّ القول العظيم (10)، وقال الزجاج في المراد بالإدّ: إنه الشيء العظيم من الكفر (11).

ومما يحمل معنى العظمة في القرآن الكريم: لفظ "ما غشيم"، وقد ورد في قول الله – سبحانه- في سورة طه: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِّنْ أَلِيمٍ مَا غَشِيَهُمْ﴾ (12)، قال مكي بن أبي طالب (13): «أي: ما

(1) التحرير والتنوير، 375 / 15.

(2) الآية 107.

(3) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 110 / 13.

(4) من الآية 24.

(5) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 11 / 4.

(6) من الآية 27.

(7) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 522 / 15.

(8) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص 679.

(9) الآية 89.

(10) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 635 / 15.

(11) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، 346 / 3.

(12) من الآية 78.

(13) هو: مكي بن أبي طالب، القيسي، المغربي، كان متبحراً في علوم القرآن والعربية، قوي الفهم، حسن الخلق، كثير التأليف في علوم القرآن، من مصنفاته: التبصرة في القراءات، وتفسيره الجليل، ومشكل إعراب القرآن، توفي عام: 437هـ. ينظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي، ص 220، وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، 309 / 2.

غرّقهم، وفيه معنى العظيم، ولذلك كنى عن الغرق بغشيهم»⁽¹⁾، وقال السخاوي⁽²⁾: «أي: أمر عظيم لا يقدر قدره»⁽³⁾.

ومما يحمل معنى العظمة من المفردات: كلمة "البُذْن"، الواردة في قول الله - تعالى- في سورة الحج: ﴿وَالْبُذْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعِيرِ اللَّهِ﴾⁽⁴⁾، قال الطبري عنها: إنها الإبل العظام الأجسام⁽⁵⁾، وقال البغوي في قوله - عزّ وجلّ-: ﴿وَالْبُذْنَ﴾: «جمع بدنة، سُمّيت بدنة لعظمتها وضخامتها، يريد: الإبل العظام الصحاح الأجسام»⁽⁶⁾.

ومما أوله المفسرون بالعظمة: لفظ "اللُّجِّي"، وقد ورد في قول الله - سبحانه- في سورة النور: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾⁽⁷⁾، نقل الواحدي أنّ اللُّجِّي هو العظيم اللُّجَّة، والمراد كثرة مائه⁽⁸⁾، وعن الزمخشري أنه منسوب إلى اللُّج، وهو معظم ماء البحر⁽⁹⁾، وقال السمين الحلبي: «اللُّجِّي هو البحر العظيم الذي لا يدرك قعره لتراكم مياهه»⁽¹⁰⁾.

ومن الألفاظ التي أولها المفسرون بالعظمة: لفظ "الجوابي"، وقد جاء في قول الله جلّ وعلا- في سورة سبأ: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾⁽¹¹⁾، قال القرطبي: «وواحد الجوابي جابية، وهي: القدر العظيم، والحوض العظيم الكبير الذي يُجبي فيه الشيء، أي: يُجمع»⁽¹²⁾.

(1) الهداية إلى بلوغ النهاية، 7 / 4677.

(2) هو: علي بن محمد بن عبد الصمد، علم الدّين السّخاوي، شيخ القراء بدمشق، كان فقيهاً، إماماً في النحو، والقراءات، والتفسير، صنّف مصنّفات كثيرة، منها: شرح الشاطبية، وشرح الرائية، وتفسير القرآن الكريم، توفي عام: 643هـ. ينظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ص 340، وطبقات الشافعية الكبرى، 8 / 297.

(3) تفسير القرآن العظيم، 1 / 539.

(4) من الآية 36.

(5) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 16 / 553.

(6) معالم التنزيل في تفسير القرآن، 5 / 386.

(7) من الآية 40.

(8) ينظر: التفسير البسيط، 16 / 309.

(9) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 3 / 244.

(10) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، 4 / 11، (مادة: لجاج).

(11) من الآية 13.

(12) الجامع لأحكام القرآن، 14 / 275.

ومن الألفاظ التي تحمل في طيها معنى العظمة: لفظ "الجبل"، وورد في قول الله - سبحانه- في سورة يس: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾⁽¹⁾، فسّر الرازي الجبل بالجمع العظيم⁽²⁾، وذكر ابن جزي أن الجبل هو الأمة العظيمة⁽³⁾.

ومن الألفاظ التي حوت معنى العظمة: لفظ "العين"، بكسر العين، وجاء ذلك في مواضع من القرآن الكريم، ومنها: قوله - عز وجل- في سورة الصافات: ﴿وَعِنْدَهُمْ قُصِرَتِ الْأُفُوفُ الْعِيبُ﴾⁽⁴⁾، فسّرت العين بعظيمة العين، مع حُسن وسعة⁽⁵⁾، وللتعلبي أن العين جمع عيناء، وهي عظيمة العينين⁽⁶⁾.

ومما يحمل معنى العظمة: لفظ "الأحقاف"، وورد في قول الله - تعالى- في سورة الأحقاف: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ أَخَا عَادٍ إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾⁽⁷⁾، قال الكرمانى عن الأحقاف: إنها: «جمع حَقْف، وهو ما استنطال واعوجَّ من الرَّمْل العظيم»⁽⁸⁾.

ومن الألفاظ المتضمنة للعظمة: لفظ "الشعوب"، وقد جاء في قول الله - جلّ وعلا- في سورة الحجرات: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾⁽⁹⁾، فسّر البيضاوي الشعب بالجمع العظيم المنتسب إلى أصل واحد⁽¹⁰⁾، وقال ابن جزي: إنَّ الشعب أعظم من القبيلة⁽¹¹⁾.

ومن الألفاظ التي أولت بالعظيم في القرآن الكريم: لفظ "المجيد"، وقد جاء في مثل قول الله - عز وجل- في سورة ق: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْوَعْدَىٰ إِنَّ لِلْمُجِيدِ﴾⁽¹²⁾، ذكر الماوردي أن من معاني المجيد، أن يكون بمعنى: العظيم⁽¹³⁾.

(1) من الآية 62.

(2) ينظر التفسير الكبير، 301 / 26.

(3) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، 185 / 2.

(4) الآية 48.

(5) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 578 / 21.

(6) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 545 / 23.

(7) من الآية 21.

(8) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل، 1096 / 2.

(9) من الآية 13.

(10) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، 137 / 5.

(11) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، 298 / 2.

(12) الآية 1.

(13) ينظر: النكت والعيون، 340 / 5.

ومما ذكر المفسرون تضمنه لمعنى العظمة: لفظ "الدُّنُوب"، بفتح الذا، وورد ذلك في قول الله - سبحانه- في سورة الذاريات: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾⁽¹⁾، فسّر الزمخشري الدُّنُوب بالدلو العظيمة⁽²⁾، وهذا تمثيل ذكره الله - تعالى- والمعنى: «فإن الذين ظلموا رسول الله - ﷺ- بالكذب من أهل مكة لهم نصيب من عذاب الله، مثل نصيب أصحابهم ونظرانهم من القرون»⁽³⁾.

ومما جاء من الألفاظ مؤولاً بالعظمة في القرآن الكريم: لفظ "أدهى"، جاء في قول الله - تقدست أسماؤه في سورة القمر: ﴿وَالسَّاعَةَ أَدهَى وَأَمْرًا﴾⁽⁴⁾، قال مكي بن أبي طالب: «وأدهى من الداهية، والداهية: الأمر العظيم الذي لا ينفع فيه دواء»⁽⁵⁾.

ومما أوله المفسرون بالعظمة لفظ "الثقلين"، وقد جاء في قول الله - عز وجل- في سورة الرحمن: ﴿سَنَقْرَعُ لَكُمْ أَيَّةَ الثَّقَلَانِ﴾⁽⁶⁾، فالثقلان تثنية الثقل، وهو العظيم الشريف⁽⁷⁾.

ومن الألفاظ التي أولت بالعظمة: لفظ "الأكواب"، وقد تصرف في مواضع، من مثل قول الله جلّ وعلا- في سورة الواقعة: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾⁽⁸⁾، ذكر الشوكاني أنّ الأكواب جمع كوب، وهو الكوز العظيم الذي لا أذن له⁽⁹⁾.

ومن الألفاظ التي أولت بالعظمة: لفظ "الخاطئة"، وقد وردت في قول الله - سبحانه- في سورة الحاقة: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمِنْ قَبْلِهِ وَالْمُؤْتَفِكَةُ بِالْخَاطِئَةِ﴾⁽¹⁰⁾، ومعنى الخاطئة: الخطأ العظيم⁽¹¹⁾، والخطأ العظيم الذي جاؤوا به هو الكفر⁽¹²⁾.

(1) من الآية 59.

(2) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 4/ 407.

(3) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 4/ 407.

(4) من الآية 46.

(5) الهداية إلى بلوغ النهاية، 11/ 7204.

(6) الآية 31.

(7) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، 10/ 170.

(8) الآية 18.

(9) ينظر: فتح القدير، 5/ 422.

(10) الآية 9.

(11) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، 5/ 215.

(12) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص 1127.

ومما أول بالعظمة: لفظ "الجَدِّ"، وقد أتى في قول الله - تعالى- في سورة الجن: ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا﴾⁽¹⁾، قال الثعلبي: إنَّ الجدَّ يأتي في اللُّغة بمعنى العظمة⁽²⁾.

ومن الألفاظ التي تحمل معنى العظمة: لفظ "الفاقرة"، وجاءت في قول الله - تبارك وتعالى- في سورة القيامة: ﴿تَنْظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾⁽³⁾، فسّر الواحدي الفاقرة بالداهية العظيمة⁽⁴⁾، وقال عنها القرطبي: إنها الداهية والأمر العظيم⁽⁵⁾.

ومما أول بالعظمة: لفظ "السَّاق"، وقد تصرّف في مثل قول الله - سبحانه- في سورة القيامة: ﴿وَأَلْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾⁽⁶⁾، قال ابن كثير في معنى الآية: «الأمر العظيم بالأمر العظيم»⁽⁷⁾، يشير إلى اجتماع الأمر العظيم بالأمر العظيم على الميِّت.

ومن الألفاظ التي تحمل معنى العظمة: لفظ "القَصْر"، وذكر في قول الله - تعالى- في سورة المرسلات: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّرٍ كَالْقَصْرِ﴾⁽⁸⁾، ذكر البغوي أنَّ القصر هو البناء العظيم⁽⁹⁾.

ومما تضمّن العظمة من الألفاظ: لفظ "جُمَالَةٌ"، وجاء ذكره في قول الله - جلّ وعلا- في سورة المرسلات: ﴿كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ﴾⁽¹⁰⁾، قال القرطبي: «جُمَالَتٌ بضم الجيم موحّداً⁽¹¹⁾، وهي الشيء العظيم، المجموع بعضه إلى بعض»⁽¹²⁾.

ومن الألفاظ التي أولت بالعظمة: لفظ "الأخدود"، وورد في قول الله - سبحانه- في سورة البروج: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾⁽¹⁾، فسّر الماوردي الأخدود بأنه: «الشَّقُّ العظيم في الأرض»⁽¹⁾.

(1) من الآية 3.
(2) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، 50 / 10.
(3) الآية 25.
(4) ينظر: التفسير الوسيط، 395 / 4.
(5) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 110 / 19.
(6) الآية 29.
(7) ينظر: تفسير القرآن العظيم، 282 / 8.
(8) الآية 32.
(9) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، 197 / 5.
(10) الآية 33.
(11) ذكر القرطبي أنها قراءة يعقوب، وابن أبي إسحاق، وعيسى، والجحدري. ينظر: الجامع لأحكام القرآن، 19 / 165.
(12) الجامع لأحكام القرآن، 165 / 19.

ومما حوى معنى العظمة: لفظ "الصمد"، وجاء عند قول الله - تعالى- في سورة الإخلاص: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾⁽³⁾، قال محمد الأمين الشنقيطي: «من المعروف في كلام العرب، إطلاق الصمد على السيد العظيم»⁽⁴⁾.

ومن خلال هذا الفصل تبين أنّ لفظ "عظم" وما تفرّع عنه من مشتقات تُعدّ من الألفاظ الغنية بالدلالات والمعاني في النصّ القرآني؛ إذ حَضَرَتْ في سياقات متعددة، حملت في طياتها مفاهيم التّعظيم والتّقدير والإجلال، وقد أبرزت الدراسة أنّ تصريف هذا اللفظ جاء متنوّعاً في البنية الصرفية، والدلالة السياقية، مما يعكس بلاغة القرآن وثرأه اللغوي.

كما اتّضح أنّ لفظ "العظيم" ليس مرادفاً للفظ "الكبير" وإن تقاربا في المعنى؛ بل ثمة فروق دقيقة في الاستعمال القرآني، تؤكّد دقة التعبير القرآني، وتناسب الألفاظ مع السياقات، وأظهِرَ التّحليل أنّ لفظ "العظيم" يبرز في المواطن التي تتعلق بالهبة والمقام، بينما لفظ "الكبير" يظهر أكثر في سياقات العدد، أو الحجم، أو الشأن، مما يدل على دقة الأسلوب القرآني.

وفي المبحث الثالث تبين أنّ الألفاظ التي وُصِفَتْ بالعظمة في القرآن الكريم جاءت إمّا بنصّ صريح كما وُصفَ البلاء، والفضل، والعرش، أو بتأويل دلالي، كما في بعض التراكيب التي حملت في طياتها دلالة العظمة بحسب تفسير العلماء، وهذا التنوع يُبرز جانباً من إعجاز القرآن البلاغي والدلالي، حيث يتجلّى التناسب بين اللفظة وسياقها.

(1) الآية 4.

(2) النكت والعيون، 6 / 241.

(3) الآية 2.

(4) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 2 / 221.

خاتمة الأطروحة

الحمد لله في الختام والانتهاء، كما حمدت الله في الابتداء، والصلاة والسلام على أشرف الرسل والأنبياء، ثم بعد هذه الرحلة العلمية مع تصاريف لفظ "العظيم" في القرآن الكريم، أصل إلى الخاتمة، وقد ضمّنتها أبرز النتائج التي توصلت إليها، ثم أتبعتها بذكر شيء من التوصيات التي قد تفيد الباحثين في مجال القرآن الكريم وعلومه، وذلك على النحو الآتي:

أولاً- أبرز النتائج:

1. إحلل مصطلح "تصريف القول" محلّ "التكرار"، و"الترداد"، و"الإعادة"، ونحوها.

إنّ الإسهام النظري الأساسي للأطروحة يتجلى في نصرّة المذهب القائل بإحلال مصطلح "تصريف القول" محلّ مصطلح "التكرار"، و"الترداد"، و"الإعادة"، لدراسة الآيات والمصطلحات التي تبدو متشابهة في القرآن الكريم؛ إذ تؤكد الدراسة أنّ ما يبدو تكراراً هو في حقيقته تنويع مقصود ومُحكّم في الألفاظ والبنية والسياق.

2. تكشف الأطروحة عن إطلاقات لفظ "العظيم" في القرآن الكريم.

بيّنت الأطروحة أنّ لفظ "العظيم" تصرّف في القرآن الكريم، فبينما يطلق على الذات الإلهية في مواطن، يلاحظ إطلاقه على الذوات غير الإلهية، وعلى الثواب، وعلى العقاب، وفي ذات الوقت كشفت الأطروحة أنّ هذه الإطلاقات ليست من التكرار عديم الفائدة.

3. تفاوت درجات العظمة في القرآن الكريم.

بيّنت الأطروحة أنّ العظمة في القرآن الكريم ليست بدرجة واحدة؛ بل هي متفاوتة، فالذات الإلهية لها العظمة المطلقة، أما بقية الذوات والمعاني فإنّ العظمة فيها تكون نسبية، فتتبيّن العظمة فيها بنسبتها إلى غيرها.

4. الكشف الدلالي عن العظمة في القرآن الكريم، وأنها تدور بين التصريح والتلميح.

أثبتت الأطروحة أنّ مفهوم "العظمة" في القرآن الكريم يُبنى من خلال شكلين متكاملتين، وهما: التصريح باستخدام لفظ "العظيم"، والدلالة الضمنية عبر عدّة مفردات أولها المفسرون على أنها تحمل معنى العظمة.

5. قامت الأطروحة بتصنيف منهجي لكلّ موضع وُصف فيه لفظ معيّن صراحةً بأنه "عظيم".

فشمّلت الدراسة الذات الإلهية، والذوات غير الإلهية (مثل العرش، والطود، والذبح)، ومفاهيم الثواب (مثل الأجر، والفوز، والفضل)، ومفاهيم العقاب (مثل العذاب، والكره، والخزي)، ويُستخدم المصطلح للدلالة على الجلال، والضخامة، والشدة، حيث يتحدّد معناه الدقيق بحسب السياق الوارد فيه.

6. قدّمت الأطروحة كشفًا غير مسبوق وذلك بجمع تسعة وأربعين مصطلحًا قرآنيًا، لا تُشتقّ من لفظ (عظم)، ولكن المفسرين، قديمًا وحديثًا، فسروها على أنها تدل على معنى العظمة.

ومن هذه الكلمات: "التسييح" (أي: التعظيم)، و"الملكوت" (أي: الملك العظيم)، و"الطور" (أي: الجبل العظيم)، و"الوايل" (أي: المطر العظيم)، وحتى التراكيب مثل: "ما غشيهم" (أي: ما غمرهم من أمر عظيم لا يمكن وصفه).

7. إنّ هذا الكشف عن معنى العظمة من غير مادتها يتجاوز حدود المعجم اللفظي التقليدي.

فمن خلال تجميع هذه القائمة المكونة من تسعة وأربعين مصطلحًا، ترسم الأطروحة فعليًا تشابك مفاهيم العظمة في منظور القرآن للعالم. فهي تكشف أنّ "العظمة" ليست مفهومًا جامدًا؛ بل وحدة متكاملة تتألف من عدة معانٍ.

8. إثبات المقاصد البلاغية في التصاريف النحوية.

تبرهن الأطروحة على أنّ التنويعات النحوية في استخدام لفظ "العظيم" مثل: حالته الإعرابية، وتعريفه وتنكيره، وسياقه التركيبي (الوصل والفصل)، ليست عشوائية أو مجرد خيارات أسلوبية؛ بل هي أدوات بلاغية دقيقة تضبط المعنى وتخدم أغراضاً محددة في كل آية.

9. استخدم لفظ "العظيم" في وظائف نحوية متعددة، والأغلبية فيها للنعت؛ ولكن وظيفته تتغير لتصف المبتدأ، أو الفاعل، أو المفعول به، أو الخبر، بما يتوافق مع مقصد الآية.

فعلى سبيل المثال، وصف العقاب بالعِظم، في نحو: "عذابٌ عظيمٌ" (بالرفع نعتاً للمبتدأ) فالمقصد هو ذكر طبيعة العقاب نفسه، بينما وصف المفعول بالعِظم، نحو قوله: "إنّما عظيماً" (بالنصب نعتاً للمفعول به) يركز على فداحة الذنب المرتكب.

10. يُعدّ التنويع بين استعمال "العظيم" (المعرّف) و"عظيم" (النكرة) من جماليات البلاغة.

فالصيغة المعرّفة، مثل "الفوز العظيم"، تستخدم للدلالة على الحصر والقصر، أي: حصر الفوز العظيم بما ذُكر، أما الصيغة المنكّرة، مثل "عذاب عظيم"، فتستخدم للتهويل والتفخيم، للإيحاء بعقاب هائل لا يمكن إدراكه أو تحديده بالكامل.

11. التّويع الدلالي بين الوصل والفصل، وضمير الفصل.

تُقدّم الأطروحة تحليلاً دقيقاً لجملة "الفوز العظيم"، موضحة كيف أنّ إدراج أو حذف حرف العطف الواو، وضمير الفصل "هو" يغير من دلالة التأكيد بشكل كلي.

12. إبراز الفروق الدقيقة بين ما يُظنّ مترادفاً، مثل لفظي: "العظيم" و"الكبير".

تُظهر الأطروحة عبر هذا المبحث أنّ الاستعمال القرآني دقيق للغاية، وأنّ الكلمات التي تبدو مترادفة، مثل "العظيم" و"الكبير"، بينها فروق دقيقة لا تظهر لكل أحد، ولأجل ذلك، لا يمكن إحلال أحدها محل الآخر في القرآن الكريم.

ثالثاً- التوصيات والمقترحات:

بناءً على النتائج التي توصلت إليها هذه الأطروحة، وما فتحته من آفاق بحثية جديدة، يوصي الباحث بما يأتي:

1. توسيع نطاق تطبيق منهجية "تصريف القول" فقد أثبتت هذه الدراسة فعالية منهج "تصريف القول" في كشف الأسرار الدلالية والبلاغية للفظ "العظيم"، وعليه توصي الدراسة بتطبيق هذه المنهجية على مصطلحات قرآنية أخرى؛ وذلك لإقامة علم متكامل للفروق الدلالية الدقيقة في الاستعمال القرآني.

2. إعداد معاجم مفاهيمية للقرآن الكريم: لقد كشفت الدراسة عن وجود حقل دلالي واسع للعظمة يتألف من تسع وأربعين مفردة مؤولة بالعظمة، وبناء على ذلك توصي الدراسة بإطلاق مشاريع بحثية تهدف إلى بناء "معاجم مفاهيمية" للقرآن الكريم، لا ترتب المواد حسب جذورها اللغوية فحسب؛ بل حسب المفاهيم والدلالات، فنستقصي جميع الألفاظ الصريحة والضمنية التي تُسهم في تشكيل هذه المعاجم.

3. تطوير تطبيقات تربوية وتعليمية لنتائج الدراسات البلاغية: يجب ألا تبقى هذه النتائج حبيسة الأروقة الأكاديمية، والمكتبات، فتوصي الدراسة بضرورة العمل على تحويل هذه المعارف الدقيقة إلى مواد تعليمية وتدريبية مبتكرة لطلاب الدراسات الإسلامية واللغة العربية في المؤسسات التعليمية، والدراسات العليا؛ إذ يمكن تصميم مقررات دراسية، أو ورش عمل متخصصة في "بلاغة التصريف القرآني"، و"علم الفروق اللغوية في القرآن"، تستخدم هذه الأطروحة وغيرها من الدراسات المماثلة كأطروحة الأستاذ الدكتور عبد الله النقراط: "بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم" كنماذج تطبيقية لتدريب جيل جديد من الباحثين القادرين على تذوق جماليات النص القرآني وإدراك عمق إعجازه.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله مباركاً نافعاً للباحثين، وأن يُعظم لمشرفي الأستاذ الدكتور عبد الله النقراط الأجر والثوبة، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

- فهرس الآيات
- فهرس الأعلام
- فهرس الأبيات الشعرية
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

أولاً- فهرس الآيات

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
البقرة		
103 ، 117 ، 145	7	﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾
113	23	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾
194	30	﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾
20 ، 22 ، 23 ، 24 ، 25 ، 26	31	﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾
194	34	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾
42	38	﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾
108 ، 144	49	﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ﴾
194	61	﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ﴾
194	93	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾
88	103	﴿لِمَثُوبَةٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرًا﴾
105 ، 131 ، 170 ، 197	105	﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾
103 ، 145	114	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾
109	122	﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾
خطأ! 195 ، الإشارة المرجعية غير معرفة.	124	﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾
57	126	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾
60	164	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
46	179	﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
195	209	﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾
179	217	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾
179	219	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾
32، 33، 34	228	﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾
195	246	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾
82	253	﴿تِلْكَ أَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾
80، 127	255	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾
194، 164	255	﴿وَلَا يُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾
171	259	﴿وَأَنْظِرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا﴾
45	266	﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾
181	282	﴿وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلٍ﴾

آل عمران

99	72-74	﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكَتَابِ﴾
56	29	﴿قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ﴾
196	45	﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾
99، 159	74	﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾
58	84	﴿وَمَا أَوْتِيَ مُوسَى وَعِيسَى﴾
104، 117، 145	105	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾
88، 147	172	﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
100 ، 123 ، 159 198	174	﴿فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾
104 ، 145	176	﴿وَلَا يَخْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾
89	179	﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾
147 ، 186	179	﴿وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾
139 ، 157	185	﴿فَمَنْ رُخِّعَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾

النساء

209 ، 191	2	﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾
، 140 ، 126 ، 100 ، 150 ، 144 ، 141 199 ، 168	13	﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾
131	14	﴿وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾
59	15	﴿وَالَّذِي يَأْتِيَنَّ الْأَفْحِشَةَ﴾
59	16	﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ﴾
199 ، 160 ، 130	27	﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾
177	34	﴿فَإِنْ أَطَعْتُمْ فَلَا تَتَّبِعُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾
89 ، 120 ، 147	40	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾
199 ، 161 ، 128	48	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
120 ، 150	54	﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾
187	54	﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَآتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾
90 ، 147	67	﴿وَإِذَا لَأْتَيْتَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾
94	73	﴿يَلْتَبِتِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾
122 ، 156	73	﴿وَلَمَّا أَصَبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لِيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْتَبِتِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾
89	74	﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾
147	74	﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾
105 ، 145	93	﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ مُؤْمِنًا مَّتَعَدًّا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خُلْدًا فِيهَا﴾
158 ، 95	95	﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾
170 ، 137 ، 106	113	﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾
90 ، 147	114	﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ﴾
104	145	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾
158 ، 96	146	﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾
121 ، 150 ، 188	156	﴿وَبِكْفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
158 ، 96	162	﴿لَكِنِ الرَّسُخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾

المائدة

91 ، 117 ، 126 ، 147	9	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾
196	22	﴿قَالُوا يُمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾
196	27	﴿وَآتَىٰ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آبَائِهِمْ عَادِمًا بِالْحَقِّ﴾
197 ، 156 ، 111	33	﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا﴾
156 ، 112	41	﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْرِغُونَ فِي الْكُفْرِ﴾
58	59	﴿وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا﴾
95 ، 119 ، 133 ، 141 ، 168	119	﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾

الأنعام

175	35	﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾
2 ، 4 ، 51 ، 59 ، 61	46	﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾
61 ، 65	65	﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾
197	75	﴿وَكَذَلِكَ نُرِيّ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
197	91	﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾
ج ، 65 ، 61ب	105	﴿وَكَذَلِكَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
44	124	﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾
170	146	﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمَ عَلَيْنَهُمْ شُحُومَهُمَا﴾

الأعراف

2، 4، 48	58	﴿كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُشْكُرُونَ﴾
62	58	﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾
148، 188	59	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّبِعُونَ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾
197	111	﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾
57	113	﴿قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾
124، 150 201	116	﴿قَالَ الْفُلُؤُا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَبُوا بِهِمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾
109	138	﴿وَجُورَنَا بِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْتَكِفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾
109، 144	141	﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكَ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ﴾

الأنفال

39	7-8	﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۗ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾
91، 147	28	﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَاؤُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾
101، 159	29	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
40 ، 128 ، 112 156	68	﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾
180	73	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَصْمَةِ أَوْلِيَاءِ بَعْضٍ﴾

التوبة

142	88-89	﴿وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُقْلِحُونَ ٨٨ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾
169	20	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾
91 ، 118 ، 148	22	﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾
197	40	﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُقْلِحُونَ ٨٨ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾
، 127 ، 117 ، 81 201 ، 166	63	﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا﴾
137	69	﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾
، 142 ، 141 ، 101 168 ، 152 ، 146	72	﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾
142	88	﴿لَكِنِ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾
95 ، 133 ، 142 ، 157	89	﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾
، 152 ، 142 ، 101 169	100	﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنِ الْمُهَجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾
156 ، 133 ، 112	101	﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ﴾

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
95، 135، 137 169	111	﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾
175	121	﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾
90، 89، 81 201، 171، 132	129	﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾

يونس

149	15	﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَّايَ نَفْسِي﴾
113	38	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾
96، 133، 138 169	64	﴿لَهُمُ الْبَشَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

هود

180	3	﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾
93، 180	11	﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
113	13	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾
56	24	﴿مِثْلَ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾
44	36	﴿لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾

يوسف

، 138، 161، 83 201	28	﴿فَلَمَّا رَعَا قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنْ كَيْدِكُنَّ عَظِيمٌ﴾
198	51	﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رُودْتُمْ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
178	78	﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا﴾
178	80	﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾
198	86	﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحْزَنِي إِلَى اللَّهِ﴾

الرعد

177	9	﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ﴾
-----	---	---

إبراهيم

27، 26	4	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾
155، 124، 116، 198	6	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾
57	35	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾
198	37	﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾

الحجر

78، 121، 155، 189	87	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾
-------------------	----	--

النحل

106، 118، 146	94	﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾
107، 146	106	﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾

الإسراء

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
191	4	﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾
180	9	﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾
170	21	﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾
181	31	﴿إِن قَتَلْتُمْ كَانِ خَطَا كَبِيرًا﴾
122 ، 151 ، 189	40	﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتًا أَنْتُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾
71 ، 66	41	﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾
170	49	﴿وَقَالُوا أَعِدْنَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفَاتًا أَعِنَّا لِمَجْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾
55	58	﴿وَإِنْ مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾
181	60	﴿وَنُحِيفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾
35	78	﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِ الشَّمْسِ﴾
99 ، 100	87	﴿إِن فَضَّلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾
113	88	﴿قُل لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾
62	89	﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾
171	98	﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾
198	104	﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
--------	-----------	----------

الكهف

89، 93	2	﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾
63	54	﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾
198	71	﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا إِمْرًا﴾
199	107	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾

مريم

170	4	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾
199	24	﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾
199	27	﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾
149	37	﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾
199	89	﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾

طه

26	32	﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾
65	44	﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ لَعْنَةً يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾
190، 186	71	﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَادِنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾
199	78	﴿فَغَشِيَهُمْ مِنْ آلِيمٍ مَا غَشِيَهُمْ﴾
72، 71، 67، 44	113	﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾

نص الآية	رقم الآية	الصفحة
----------	-----------	--------

الأنبياء

﴿يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾	20	194
﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾	63	179
﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلٍ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾	76	110، 124، 154 202

الحج

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾	1	80، 135، 162، 203
﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾	30	168
﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾	32	168
﴿وَالْبَدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعْرِ اللَّهِ﴾	36	200
﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾	62	177

المؤمنون

﴿قَالُوا أَعَدَّا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعِنَّا لَمَبْعُوثُونَ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَعِآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ﴾	82-83	85
﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾	14	171
﴿أَيَعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ﴾	35	171
﴿قَالُوا أَعَدَّا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾	82	171

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
75 ، 84 ، 160	86	﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾

النور

156 ، 125 ، 113	11	﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾
107 ، 120 ، 146	14	﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾
127 ، 151	15	﴿إِذْ تَقُولُ بِهِ بِالَّذِينَ عَدَابْتَ عَلَيْهِمْ مَا لِي بَعْضُنَا لَمَّا وَجَّهْنَا إِلَى الْقِبْلَةِ الْكَافِرِينَ﴾
، 161 ، 127 ، 83 200	16	﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾
157 ، 114 ، 82	23	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾
185	23	﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾
200	40	﴿أَوْ كَظَلَمْتَ فِي بَحْرِ لَجِّي﴾
17	45	﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾

الفرقان

105	68-69	﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾
174 ، 180	19	﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مَنكُم نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾
182	21	﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيرًا﴾
71 ، 68	50	﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾
181	52	﴿فَلَا تَطِعِ الْكُفْرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
--------	-----------	----------

الشعراء

197	32	﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾
57	41	﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ﴾
179	49	﴿قَالَ ءَأَمْنَتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ﴾
86 ، 124 ، 155	63	﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَاتَفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾
191	63	﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾
149	156	﴿وَلَا تَمْسُوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾
149	189	﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾

النمل

75 ، 79	23	﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾
171 ، 126 ، 90	23	﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾
85	24	﴿وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾
79 ، 85 ، 160	26	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾

القصص

61	8	﴿فَأَلْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾
43	13	﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ﴾
174	23	﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
178	23	﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾
102 ، 123 ، 151	79	﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونٌ﴾
203 ، 79	79	﴿إِنَّهُ لَدُوٌّ حَظٌّ عَظِيمٌ﴾

العنكبوت

62 ، 50 ، 7	14	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾
-------------	----	--

لقمان

204 ، 163 ، 135	13	﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِأَبِيهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾
189 ، 185	30	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾

السجدة

104 ، 106	21	﴿وَلَنذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَلْوَنِ الَّذِي دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾
-----------	----	--

الأحزاب

156	70-71	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۗ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾
92 ، 121 ، 148	29	﴿وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾
158 ، 135 ، 97	35	﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
128	53	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤَدِّنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرِينَ إِنَّهُ﴾
152	53	﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾
32	56	﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾
199 ، 131 ، 102	71	﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

سبأ

200	13	﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمْتِيلِ وَجِفَانٍ كَأَلْجَوَابِ﴾
177 ، 183	23	﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾

فاطر

180	7	﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾
100	32	﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾

يس

201	62	﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾
171	78	﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَةَ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾

الصفافات

171	16	﴿أَعِدَّا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا ءَأَنَا لَمَبْعُوثُونَ﴾
-----	----	---

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
201	48	﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ مِّنَ الطَّرْفِ عَيْنٍ﴾
171	53	﴿أَعْدَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعْنَا لَمَدِينُونَ﴾
96 ، 158	60	﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾
110 ، 154 ، 190	76	﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾
75 ، 76 ، 78 ، 87 ، 124 ، 152 ، 191	107	﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾
110 ، 154 ، 190	115	﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾

ص

1 ، 3	29	﴿كَتَبْنَا نُورًا لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ﴿كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِّدَّبَرُوا أَعْيُنَهُمْ وَلِيَتَذَكَّرَ
195	35	﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾
79 ، 119 ، 160 192	67	﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾

الزمر

123 ، 148 ، 149 ، 188	13	﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾
--------------------------	----	---

غافر

97 ، 139	7	﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ﴾ ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾
136	8	﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ
، 144 ، 140 ، 102 169 ، 148 ، 145	9	﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ
177	12	﴿رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿فَأَلْحَمْنَا بِهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾

نص الآية	رقم الآية	الصفحة
----------	-----------	--------

فصلت

﴿وَمَا يُقَلِّبُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقَلِّبُهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ﴾	35	203 ، 162 ، 108
--	----	-----------------

الشورى

﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	3	82
﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾	4	، 87 ، 82 ، 78 164 ، 137
﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾	22	100

الزخرف

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْبِينَ عَظِيمٍ﴾	31	76 ، 78 ، 86 125 ، 152 ، 192
--	----	---------------------------------

الدخان

﴿فَضَلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾	57	97 ، 134 ، 140 ، 158
--	----	-------------------------

الجاثية

﴿وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾	5	64
﴿مَنْ وَرَأَاهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُعْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا﴾	10	، 126 ، 114 ، 80 157
﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	37	175

الأحقاف

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
214، 160	21	﴿وَإِذْ نَادَىٰ أَخَاهُ عَادٌ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَابِ﴾
72، 68، 9، 7	27	﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

الفتح

97، 125، 157	5	﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾
158، 129، 98	10	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾
158، 98	29	﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾

الحجرات

93، 148	3	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾
201	13	﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾

ق

201	1	﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾
-----	---	-----------------------------

الذاريات

202	59	﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾
-----	----	---

الطور

113	34	﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾
-----	----	---

النجم

17	23	﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾
----	----	---

القمر

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
202	46	﴿وَالسَّاعَةَ أَذْهَىٰ وَأَمْرٌ﴾

الرحمن

11	1-4	﴿الرَّحْمَنُ ۙ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۚ ۲ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۙ ۳ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾
56	26-27	﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۙ ۲۶ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾
202	31	﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّهَ الثَّقَلَانِ﴾
38	77	﴿فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

الواقعة

202	18	﴿بِأَنْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾
57	27	﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾
125 ، 156 ، 192	46	﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحَنثِ الْعَظِيمِ﴾
171	47	﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعْنَا لَمَبْعُوثُونَ﴾
193	75	﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾
126 ، 152 ، 192	76	﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾

الحديد

192 ، 181 ، 99	7	﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾
169	10	﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٌ﴾
103 ، 140 ، 142 ، 143 ، 146 ، 149 ، 150 ، 169	12	﴿بِشْرِكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خُلْدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
170 ، 107	21	﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾
170 ، 107	29	﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

الصف

،152 ،143 ،104 169	12	﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾
-----------------------	----	---

الجمعة

170 ، 108	4	﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾
-----------	---	---

التغابن

143	7-8	﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾
،141 ،140 ،104 ،144 ،143 ،142 ،152 ،150 ،146 169	9	﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾
،159 ،126 ،99 198	15	﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾

الطلاق

169	5	﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾
-----	---	---

التحريم

132	9	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾
-----	---	---

الملك

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
193 ، 186	9	﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾
93 ، 180	12	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾

القلم

77 ، 79 ، 125 ، 153 ، 193	4	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾
------------------------------	---	-------------------------------------

الحاقة

202	9	﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكْتُ بِالْخَطِئَةِ﴾
83 ، 125 ، 153	33	﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾
75 ، 82 ، 124 ، 154	52	﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾

الجن

203	3	﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾
-----	---	--------------------------------------

المزمل

169	20	﴿وَمَا تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾
-----	----	--

القيامة

171	3	﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾
203	25	﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾
203	29	﴿وَأَلْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾

المرسلات

203	32	﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾
203	33	﴿كَأَنَّهُ جُمِلَتِ صُفْرٌ﴾

نص الآية	رقم الآية	الصفحة
----------	-----------	--------

النبا

﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾	2	76 ، 79 ، 125 160 ، 192
------------------------------	---	----------------------------

النازعات

﴿أَعِذَا كُنَّا عِظْمًا نُخْرَةً﴾	11	171
-----------------------------------	----	-----

التكوير

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾	17	32 ، 34 ، 35
----------------------------	----	--------------

الانفطار

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ۗ ۱٧ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾	17-18	40
--	-------	----

المطففين

﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾	5	125
--------------------	---	-----

البروج

﴿قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ﴾	4	203
﴿إِنَّ الدِّينَ عَمَلٌ وَأَمْنٌ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾	11	94 ، 97

الطارق

﴿فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ أَهْلَهُمْ رُؤِيدًا﴾	17	45
--	----	----

العلق

﴿أَقْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾	1-5	17
---	-----	----

الكافرون

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾	1	38
﴿وَلَا أَنْتُمْ عِبْدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾	5	44

الصفحة	رقم الآية	نص الآية
--------	-----------	----------

الإخلاص

216	2	﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾
-----	---	---------------------

ثانيًا- فهرس الأعلام

الصفحة	العَم
43	ابن الأثير
27	ابن تيمية
16	الأزهري
35	الأسمدي
18	الإسنوي
78	أبو الأسود الدؤلي
49	ابن أبي الأصبع
29	الأرموي
88	الألوسي
43	الباقلاني
18	التفتازاني
205	الثعالبي
38	الثعلبي
45	الخطيب الإسكافي
46	الراغب الأصبهاني
19	الرجراجي
45	ابن الزبير الغرناطي
39	الزجاج
32	السرخسي
33	السيوطي
29	الشوكاني

20	الطبري
184	الفيروز آبادي
186	المنتجب الهمذاني
33	ابن أمير حاج
19	الكفوي
39	البقاعي
37	الأبهري
25	البيضاوي
18	تاج الدين السبكي
37	ثعلب
22	الجاحظ
78	جرير بن عطية
18	ابن جزي
23	الجصاص
42	النَّحَّاس
49	ابن جماعة
61	القاسمي
27	ابن جني
86	ابن الجوزي
16	الجوهري
35	ابن الحاجب
23	ابن حزم
19	أبو الحسن الأشعري
20	الحسن البصري

53	الرّماني
60	أبو حيان الأندلسي
61	الشربيني
50	القرويني
50	الخفاجي
33	الفراهيدي
37	داود بن علي
63	ابن رجب الحنبلي
18	الزركشي
49	زكريا الأنصاري
15	الزمخشري
201	ابن أبي زمنين
31	أبو زيد الدبوسي
211	السخاوي
176	أبو السعادات بن الأثير
150	أبو السعود
20	سعيد بن جبير
159	السكاكي
60	السمين الحلبي
31	أبو سهل الهروي
34	سيبويه
16	ابن سيده
123	السيرافي
32	الأمدي

57	الشاطبي
17	الشريف الجرجاني
16	الصاحب بن عباد
176	صديق حسن خان
40	ابن عاشور
77	طرفة بن العبد
17	الطوفي
85	السعدي
202	العز بن عبد السلام
79	عبد القاهر الجرجاني
25	عبد الله الشنقيطي
22	عبد الله بن المقفع
194	ابن عرفة
177	ابن عصفور
39	ابن عطية الأندلسي
18	علاء الدين البخارى
177	أبو علي الفارسي
77	عمرو بن قميئة
28	الغزالي
77	ذو الرمة
17	ابن فارس
14	الرازي
19	ابن فورك
20	قتادة بن دعامة

42	ابن قتيبة الدينوري
24	ابن قدامة المقدسي
15	القرافي
54	القرطبي
77	قيس بن الخطيم
39	ابن كثير
45	الكرماني
93	السمرقندي
70	الماوردي
20	مجاهد
26	محمد الأمين الشنقيطي
34	محمد بن علي بن الطيب
40	محمد رشيد رضا
46	السمعاني
211	مكي بن أبي طالب
174	ابن منظور
122	المؤيد بالله
86	النسفي
50	ابن النقيب
27	أبو هاشم الجبائي
184	أبو هلال العسكري
46	الواحدي
34	أبو الوفاء ابن عقيل

ثالثاً- فهرس الأبيات الشعرية

الصفحة	القافية	القائل	صدر البيت
77	الباء	طرفة بن العبد	قد يبعث الأمر العظيم صغيره
77	الذال	عمرو بن قميئة	عظيم رماد القدر لا متعبس
25	العين	عبد الله الشنقيطي	واللغة الرب لها قد وضعا
78	الميم	جرير	سما أولاد برة بنت مر
78	الميم	أبو الأسود الدؤلي	لا تنه عن خلق وتأتي مثله
77	الياء	قيس بن الخطيم	وإذا تكون عظيمة في عامر
77	الياء	ذو الرمة	فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة
78	الياء	جرير	وخالي من خزيمة يا ابن تيم

رابعاً- فهرس مصادر الأطروحة ومراجعتها

- القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.
- 1- الإبهاج في شرح المنهاج، تقي الدين علي بن عبد الكافي، وولده تاج الدين عبدالوهاب ابن علي السبكيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1404هـ.
 - 2- الإتيقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ.
 - 3- أحكام القرآن، أحمد بن علي الجصاص، تح: محمد صادق القمحوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1405هـ.
 - 4- الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
 - 5- الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الأمدي، علق عليه: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط2، 1402هـ.
 - 6- إخبار العلماء بأخبار الحكماء، جمال الدين علي بن يوسف بن إبراهيم الفقفي، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1426هـ.
 - 7- الأدب الصغير والأدب الكبير، عبد الله بن المقفع، دار صادر، بيروت، (د. ط).
 - 8- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1418هـ.
 - 9- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، تح: الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، ط1، 1419هـ.
 - 10- أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه مثالبه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، محمود بن حمزة، أبو القاسم الكرمانلي، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيحة، (د. ط)، (د. ت).
 - 11- إسفار الفصيح، أبو سهل محمد بن علي الهروي، تح: أحمد بن سعيد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط1، 1420هـ.
 - 12- الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع، حسن ابن الحاج عمر بن عبد الله السيناوي، مطبعة النهضة، تونس، ط1، 1928م.
 - 13- أصول السرخسي، أبو بكر محمد بن أحمد السرخسي، تح: أبو الوفا الأفغاني، لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر آباد، الهند، 1395هـ.

- 14- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، 1415هـ.
- 15- إعجاز القرآن للباقلاني، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط5، 1997م.
- 16- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط8، 1425هـ.
- 17- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص (دار اليمامة، دمشق - بيروت)، و(دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، ط4، 1415هـ.
- 18- إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ.
- 19- الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، بهجت عبد الواحد صالح، دار الفكر، عمان، ط2، 1418هـ.
- 20- الأعلام، خير الدين الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.
- 21- أمالي ابن الحاجب، عثمان بن عمر، دراسة وتحقيق: فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار، الأردن، ودار الجيل، بيروت، 1409هـ.
- 22- إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين، علي بن يوسف القفطي، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1406هـ.
- 23- الانتصار للقرآن، محمد بن الطيب أبو بكر الباقلاني، تح: د. محمد عصام القضاة، دار الفتح، عمَّان، ودار ابن حزم، بيروت، ط1، 1422هـ.
- 24- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات، عبد الرحمن بن محمد الأنباري، المكتبة العصرية، ط1، 1424هـ.
- 25- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.
- 26- الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن القزويني، المعروف بخطيب دمشق، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط3، (د. ت).

- 27- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجم المصري، ط2، (د. ت).
- 28- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي، (د. ط)، (د. ت).
- 29- البحر المحيط في أصول الفقه، أبو عبد الله بدر الدين الزركشي، دار الكتبي، ط1، 1414هـ.
- 30- البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، (د. ط).
- 31- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- 32- البديع في علم العربية، مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير، تحقيق ودراسة: فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1420هـ.
- 33- بذل النظر في الأصول، العلاء محمد بن عبد الحميد الأسمندي، تح: د. محمد زكي عبد البر، مكتبة التراث، القاهرة، ط1، 1412هـ.
- 34- البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، تح: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1410هـ، (د. ط).
- 35- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1376هـ.
- 36- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر الفيروزآبادي، تح: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- 37- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، (د. ط)، (د. ت).
- 38- بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، عبد الله محمد النقراط، دار قتيبة، ط1، 1423هـ.
- 39- البلغة إلى أصول اللّغة، محمد صديق خان، تح: سهاد حمدان أحمد السامرائي، رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية للبنات، جامعة تكريت، 1425هـ، (د. ط).
- 40- البلغة في تراجم أئمة النحو واللّغة، مجد الدين أبو طاهر الفيروزآبادي، دار سعد الدين، ط1، 1421هـ.

- 41- بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، محمود بن عبد الرحمن أبو الثناء، تح: محمد مظهر بقاء، دار المدني، السعودية، ط1، 1406هـ.
- 42- البيان والتبيين، عمرو بن بحر، الشهير بالجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ.
- 43- تاج التراجم، أبو الفداء زين الدين قاسم بن قُطْلُوبُغا السوداني، تح: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، ط1، 1413هـ.
- 44- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الزّبيدي، تح: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، (د. ط)، (د. ت).
- 45- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، محمد صديق خان، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 1428هـ.
- 46- تأملات في سورة الإسراء، حسن محمد باجودة، دار الاعتصام، مكة المكرمة، ط1، 1398هـ.
- 47- تأويل مشكل القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- 48- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر، تح: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان، ط1، 1403هـ.
- 49- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد ابن أبي الإصبع العدوانى، تح: د. حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، (د. ط)، (د. ت).
- 50- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، دار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
- 51- تذكرة الحُفّاط، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ.
- 52- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد، ابن جزي الكلبي، تح: د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1416هـ.
- 53- تشنيف المسامع بجمع الجوامع، بدر الدين الزركشي، دراسة وتحقيق: د. سيد عبد العزيز، د. عبد الله ربيع، مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث، ط1، 1418هـ.

- 54- تصريف القول في القصص القرآني دراسة بلاغية تحليلية لقصة موسى عليه السلام، امحمد محمد صافي المستغانمي، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 2018م.
- 55- تفسير ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة، تح: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008م.
- 56- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- 57- التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، أصل تحقيقه: (15) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430هـ.
- 58- تفسير الراغب، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تح: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، ط1، 1420هـ.
- 59- تفسير السمعاني، أبو المظفر السمعاني، تح: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط1، 1418هـ.
- 60- تفسير الفاتحة، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، تح: سامي بن محمد بن جاد الله، دار المحدث، ط1، 1427هـ.
- 61- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
- 62- تفسير القرآن العزيز، محمد بن عبد الله المعروف بابن أبي زَمَنِين، تح: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، مصر، ط1، 1423هـ.
- 63- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2، 1420هـ.
- 64- تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم، تح: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط3، 1419هـ.
- 65- تفسير القرآن، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، تح: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1416هـ.

- 66- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- 67- التفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسن الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
- 68- تفسير الماوردي= النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد، الشهير بالماوردي، تح: السيد ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- 69- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365هـ.
- 70- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1411هـ.
- 71- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار النفائس، عمان، الأردن، ط3، 1433هـ.
- 72- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي، تح: يوسف علي بدوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419هـ.
- 73- تقريب الوصول إلى علم الأصول، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، تح: محمد حسن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ.
- 74- التقرير والتحرير على كتاب التحرير، ابن أمير حاج، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، ط1، 1316هـ.
- 75- تقويم الأدلة في أصول الفقه، عبيد الله بن عمر الدبوسي، تح: خليل محيي الدين الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ.
- 76- التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، سعد الدين التفتازاني، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر، مصر، 1377هـ.
- 77- التمهيد في أصول الفقه، محفوظ بن أحمد الكلوذاني، دراسة وتحقيق: د. مفيد محمد أبو عمشة، د. محمد بن علي بن إبراهيم، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ط1، 1406هـ.
- 78- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
- 79- التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن المناوي، تح: د عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1410هـ.

- 80- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ.
- 81- التيسير في التفسير، نجم الدين عمر بن محمد النسفي، ماهر أديب حبوش، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، أسطنبول، ط1، 1440هـ.
- 82- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، مصر، ط1، 1422هـ.
- 83- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد القرطبي، تح: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ.
- 84- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، محمد بن فتوح، الدار المصرية، القاهرة، 1966م.
- 85- جواهر القرآن، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تح: د. محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط2، 1406هـ.
- 86- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، محمد بن محمد ابن أبي الوفاء، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط1، 1332هـ.
- 87- الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد، يوسف بن الحسن، المعروف بابن المبرد، حققه وقدم له وعلق عليه: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1407هـ.
- 88- حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، محمد بن عرفة الدسوقي، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- 89- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسماة: عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوي، شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، دار صادر، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- 90- خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين أبو بكر بن علي الحموي، تح: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2004م، (د. ط).
- 91- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تح: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، (د. ت).
- 92- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د. ط)، (د. ت).

- 93- الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- 94- دراسات في فقه اللغة، صبحي إبراهيم الصالح، دار العلم للملايين، ط1، 1379هـ.
- 95- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، تصدير: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- 96- درة التنزيل وغرة التأويل، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي، دراسة وتحقيق وتعليق: د. محمد مصطفى أيدين، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها، معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، ط1، 1422هـ.
- 97- درج الدر في تفسير الآي والسور، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، تح: وليد بن أحمد بن صالح الحسين، وإياد عبد اللطيف القيسي، مجلة الحكمة، بريطانيا، ط1، 1429هـ.
- 98- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي، الشهير بابن حجر العسقلاني، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، ط2، 1392هـ.
- 99- دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط3، 1413هـ.
- 100- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي، ابن فرحون، تحقيق وتعليق: د. محمد الأحمد أبو النور، دار التراث، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- 101- ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعه: أبو سعيد الحسن السكري، تح: محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط2، 1418هـ.
- 102- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، نعمان محمد أمين، دار المعارف، القاهرة، ط3، (د. ت).
- 103- ديوان ذي الرمة: غيلان بن عقبة العدوي، شرح: أبي نصر أحمد الباهلي، مؤسسة الإيمان، جدة، ط1، 1402هـ.
- 104- ديوان طرفة بن العبد، طرفة بن العبد بن سفيان، تح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1423هـ.
- 105- ديوان عمرو بن قميئة، عني بتحقيقه وشرحه: د. خليل إبراهيم العطية، دار صادر، بيروت، ط2، 1994م.

- 106- ديوان قيس بن الخطيم، تح: د. ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، 1967م.
- 107- الذيل على طبقات الحنابلة، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، تح: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1425هـ.
- 108- رسالة الحدود، علي بن عيسى، أبو الحسن الرماني، تح: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان، (د. ط)، (د. ت).
- 109- رسائل الجاحظ، عمرو بن بحر، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1384هـ، (د. ط).
- 110- رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، تاج الدين السبكي، تح: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1419هـ.
- 111- رفع النقاب عن تنقيح الشهاب، أبو علي حسين بن علي الرجراجي، تح: أحمد بن محمد السراج، وعبد الرحمن بن عبد الله الجبرين، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1425هـ.
- 112- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
- 113- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي، مؤسسة الريان، ط2، 1423هـ.
- 114- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422هـ.
- 115- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي، (د. ط)، (د. ت).
- 116- الزيادة والإحسان في علوم القرآن، محمد بن أحمد بن سعيد، تح: محمد صفاء حقي، وفهد علي العندس، وإبراهيم محمد المحمود، ومصالح عبد الكريم السامدي، وخالد عبد الكريم اللاحم، مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة الإمارات، ط1، 1427هـ.
- 117- سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد الخفاجي، دار الكتب العلمية، ط1، 1402هـ.

- 118- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ،
شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة،
1285هـ، (د. ط).
- 119- سير أعلام النبلاء، شمس الدين، محمد بن أحمد الذهبي، تح: مجموعة محققين،
إشراف: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ.
- 120- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر مخلوف، علق
عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ.
- 121- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد ابن العماد، تح: محمود
الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1406هـ.
- 122- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي،
تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد
جودة السحار وشركاه، ط20، 1400هـ.
- 123- شرح تنقيح الفصول، شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تح: طه عبد الرؤوف
سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط1، 1393هـ.
- 124- شرح شافية ابن الحاجب، محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، تح: محمد نور
الحسن، محمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية،
بيروت، ط1، 1395هـ.
- 125- شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي، تح: أحمد حسن مهدي، وعلي سيد علي،
دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008م.
- 126- شرح مختصر الروضة، نجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي، تح: عبد الله
بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1407هـ.
- 127- الشعر والشعراء، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة،
1423هـ، (د. ط).
- 128- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري، تح: د.
حسين بن عبد الله العمري، ومظهر بن علي الإرياني، د. يوسف محمد عبد الله، دار
الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1420هـ.
- 129- الصاحب في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس
بن زكرياء، ط1، 1418هـ.

- 130- الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ.
- 131- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط1، 1374هـ.
- 132- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- 133- الطبقات السننية في تراجم الحنفية، المولى تقي الدين بن عبد القادر التميمي، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، دار الرفاعي، الرياض، ط1، (1403-1410هـ).
- 134- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، تح: د. محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر، ط2، 1413هـ.
- 135- طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد، ابن قاضي شهبة، تح: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1407هـ.
- 136- طبقات الشافعيين، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تح: د. أحمد عمر هاشم، د. محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، 1413هـ، (د. ط).
- 137- طبقات الفقهاء الشافعية، عثمان بن عبد الرحمن، المعروف بابن الصلاح، تح: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1992م
- 138- طبقات الفقهاء، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، هذبهُ: محمد بن مكرم ابن منظور، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1970هـ.
- 139- طبقات المفسرين العشرين، جلال الدين السيوطي، تح: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1396هـ.
- 140- طبقات المفسرين للداوودي، محمد بن علي، شمس الدين الداوودي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- 141- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأذنه وي، تح: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ط1، 1417هـ.
- 142- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، (د. ط)، (د. ت).
- 143- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة، الملقب بالمؤيد بالله، المكتبة العنصرية، بيروت، ط1، 1423هـ.

- 144- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي، بهاء الدين السبكي، تح: د. عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1423هـ.
- 145- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف، المعروف بالسامين الحلبي، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ.
- 146- غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد، مكتبة ابن تيمية، 1351هـ، (د. ط.).
- 147- غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة، برهان الدين الكرمانلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، (د. ط.)، (د. ت.).
- 148- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، تح: الشيخ زكرياء عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ.
- 149- الفائق في أصول الفقه، صفي الدين محمد بن عبد الرحيم الأرموي، تح: محمود نصار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1426هـ.
- 150- الفائق في غريب الحديث والأثر، محمود بن عمرو، الزمخشري، تح: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، ط2، (د. ت.).
- 151- فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق خان، عني بطبعه وقدّم له وراجعته: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1412هـ، (د. ط.).
- 152- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، أبو يحيى زكريا الأنصاري، تح: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط1، 1403هـ.
- 153- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ.
- 154- فقه اللغة وسرّ العربية، عبد الملك بن محمد أبو منصور الثعالبي، تح: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط1، 1422هـ.
- 155- الفهرست، محمد بن إسحاق النديم، اعتنى بها وعلّق عليها: الشيخ إبراهيم رمضان، دار الفتوى، بيروت، ودار المعرفة، بيروت، ط2، 1417هـ.
- 156- فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، (1973-1974م).
- 157- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي، عني بتصحيحه وتعليق بعض الزوائد عليه: محمد بدر الدين، مطبعة السعادة، بجوار محافظة مصر، ط1، 1324هـ.

- 158- قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، الحسين بن محمد الدامغاني، تح: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1400هـ.
- 159- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر الفيروزآبادي، تح: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1426هـ.
- 160- كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ.
- 161- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د. ط)، (د. ت).
- 162- الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المنتجب الهمذاني، حَقَّق نصوصه وخرجه وعلق عليه: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان، المدينة المنورة، ط1، 1427هـ.
- 163- الكتاب، عمرو بن عثمان، المعروف بسيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ.
- 164- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، ضبطه وصححه ورتبه، مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث، القاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.
- 165- كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري، شركة الصحافة العثمانية، إسطنبول، ط1، 1308هـ.
- 166- كشف المعاني في المتشابه من المثاني، محمد بن إبراهيم بن جماعة، تح: الدكتور عبد الجواد خلف، دار الوفاء، المنصورة، ط1، 1410هـ.
- 167- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد الثعلبي، أبو إسحاق، تح: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1422هـ.
- 168- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الكفوي، تح: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1432هـ.
- 169- لباب التفاسير، أبو القاسم محمود بن حمزة الكرمانی، التحقيق: أربع رسائل دكتورة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، 1404-1429هـ، (د. ط).
- 170- اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تح: عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ط1، 1416هـ.

- 171- اللّباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل، تح: الشيخ أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ.
- 172- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
- 173- اللّمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، تح: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، (د. ط)، (د. ت).
- 174- مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، ط4، 1426هـ.
- 175- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- 176- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحلّيم ابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1425هـ، (د. ط).
- 177- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.
- 178- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب، ابن عطية، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.
- 179- المحصول، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، تح: الدكتور طه جابر العلواني، مؤسسة الرسالة، ط3، 1418هـ.
- 180- محك النظر في المنطق، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- 181- المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده، تح: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ.
- 182- المحيط في اللّغة، صاحب إسماعيل بن عباد، تح: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1414هـ.
- 183- مختصر في قواعد التفسير، خالد بن عثمان السبت، دار ابن القيم، ودار ابن عفان، ط1، 1426هـ.
- 184- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تح: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1417هـ.

- 185- مذكرة في أصول الفقه على روضة الناظر، محمد الأمين الشنقيطي، دار عطاءات العلم، الرياض، ودار ابن حزم، بيروت، ط5، 1441هـ.
- 186- المزهري في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.
- 187- المستنصفي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تح: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ.
- 188- مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل، تح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1416هـ.
- 189- المشترك اللفظي في الحقل القرآني، عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1417هـ.
- 190- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ.
- 191- معاني القرآن للأخفش، أبو الحسن المجاشعي، تح: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1411هـ.
- 192- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ.
- 193- معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، الأردن، ط1، 1420هـ.
- 194- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ.
- 195- المعتمد في أصول الفقه، محمد بن علي الطيب، تح: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ.
- 196- المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي، (د. ط)، (د. ت).
- 197- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت بن عبد الله الحموي، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1414هـ.
- 198- معجم الشعراء، أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1402هـ.
- 199- معجم الفروق اللغوية، الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري، نور الدين بن نعمة الله الجزائري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ط1، 1412هـ.
- 200- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

- 201- المعجم الوسيط، نخبة من اللّغويين، مجمع اللّغة العربية بالقاهرة، ط2، 1392هـ.
- 202- معجم متن اللّغة، أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1380هـ، (د. ت).
- 203- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ.
- 204- المفتاح في الصرف، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تح: د. علي توفيق الحمّد، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، عمان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1407هـ.
- 205- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان الداودي، الدار الشامية، دمشق، ط1، 1413هـ.
- 206- المُفصّل في صنعة الإعراب، محمود بن عمرو الزمخشري، تح: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993م.
- 207- مقاييس اللّغة، أحمد بن فارس بن زكرياء، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ.
- 208- المُقتضب، محمد بن يزيد، المعروف بالمبرد، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- 209- المقدمة الجزولية في النحو، عيسى بن عبد العزيز الجزولي، تح: شعبان عبد الوهاب محمد، مطبعة أم القرى، (د. ط)، (د. ت).
- 210- مقدمة تفسير ابن النقيب، محمد بن سليمان بن الحسن، ابن النقيب الحنفي، تح: زكريا سعيد علي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1415هـ.
- 211- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تح: بسام عبد الوهاب الجابي، قبرص، ط1، 1407هـ.
- 212- ملاك التأويل القاطع بنوي الإلحاد والتعطيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، تح: عبد الغني محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- 213- الممتع الكبير في التصريف، علي بن مؤمن، المعروف بابن عصفور، مكتبة لبنان، ط1، 1996م.
- 214- من بلاغة القرآن، أحمد أحمد البدوي، نهضة مصر، القاهرة، ط1، 2005م.
- 215- من تصريف القول في القرآن الكريم: تنوع دلالات الترغيب والترهيب، د. عبد الله محمد النقرات، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ط1، 1422هـ.

216- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، 1373هـ.

-217

218- الموافقات، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تح: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ.

219- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط15، (د.ت).

220- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تح: محمد عبد الكريم كاظم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1404هـ.

221- نزهة الألباء في طبقات الأدياء، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط3، 1405هـ.

222- نشر البنود على مراقي السعود، عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي، مطبعة فضالة، المغرب، (د.ط)، (د.ت).

223- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط1، 1389هـ.

224- نفائس الأصول في شرح المحصول، شهاب الدين القرافي، دراسة وتحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، 1416هـ.

225- النكت في إعجاز القرآن، علي بن عيسى، أبو الحسن الرماني، تح: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط3، 1976م.

226- نهاية السؤل شرح منهاج الأصول، عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ.

227- نهاية الوصول في دراية الأصول، صفي الدين محمد بن عبد الرحيم الأرموي، تح: د. صالح بن سليمان اليوسف، د. سعد بن سالم السويح، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط1، 1416هـ.

228- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا بن أحمد التنبكتي، عناية وتقديم: د. عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ط2، 2000م.

229- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب، مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا

- والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط1، 1429هـ.
- 230- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا الباباني، وكالة المعارف بإسطنبول، ط1، 1951م.
- 231- الواضح في أصول الفقه، أبو الوفاء علي بن عقيل، تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ.
- 232- الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، تح: أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ.
- 233- الوجوه والنظائر، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1428هـ.
- 234- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تح: صفوان عدنان داوودي، الدار الشامية، دمشق، ط1، 1415هـ.
- 235- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، والدكتور أحمد محمد صيرة، والدكتور أحمد عبد الغني الجمل، والدكتور عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
- 236- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1994م.

خامساً- فهرس الموضوعات

الفصل التمهيدي الوضع والمشارك اللفظي ومسمياته في علوم القرآن.....13

- 11المبحث الأول- قضية الوضع في اللغة:
- 12المطلب الأول- تعريف الوضع لغة واصطلاحاً:
- 12الفرع الأول- الوضع لغة:
- 13الفرع الآخر- الوضع اصطلاحاً:
- 15المطلب الآخر- مذاهب العلماء في وضع اللغة:
- 15الفرع الأول- مذهب القائلين بتوقيف اللغة:
- 22الفرع الثاني- مذهب القائلين باصطلاح اللغة:
- 24الفرع الثالث- مذهب القائلين بالتوقف:
- 26المبحث الثاني- المشارك اللفظي بين المجيزين والمانعين:
- 26المطلب الأول- تعريف المشارك لغة واصطلاحاً:
- 26الفرع الأول- المشارك لغة:
- 27الفرع الآخر- المشارك اصطلاحاً:
- 29المطلب الثاني- المجيزون لوقوع المشارك في اللغة:
- 32المطلب الثالث- المانعون من وقوع المشارك في اللغة:
- 34المطلب الرابع- موقف المفسرين من المشارك:
- 37المبحث الثالث- مسميات المشارك في علوم القرآن الكريم:
- 37المطلب الأول- مصطلحات التكرار والإعادة والترداد:
- 37الفرع الأول- مصطلح التكرار:
- 41الفرع الثاني- الإعادة:
- 43الفرع الثالث- الترداد:
- 47المطلب الآخر- مصطلح التصريف وحكمه وأدلته:
- 47الفرع الأول- مصطلح التصريف:
- 60الفرع الثاني- أدلة مصطلح التصريف:

64	الفرع الثالث- الحِكم من تصريف الآيات:
69	الفصل الأول تأصيل لفظ العظيم في القرآن الكريم.
71	المبحث الأول- تعريف العظيم لغة واصطلاحًا:
71	المطلب الأول- تعريف العظيم لغة:
74	المطلب الآخر- تعريف العظيم اصطلاحًا:
80	المبحث الثاني- إطلاق لفظ "العظيم" على الذوات في القرآن الكريم:
80	المطلب الأول- إطلاق لفظ "العظيم" على الذات الإلهية:
83	المطلب الآخر- إطلاق لفظ العظيم على الذوات غير الذات الإلهية:
84	الفرع الأول- إطلاق لفظ العظيم على العرش:
86	الفرع الآخر- إطلاق لفظ العظيم على غير العرش من الذوات:
88	المبحث الثالث- إطلاق لفظ العظيم على الثواب في القرآن الكريم.
88	المطلب الأول- إطلاقه على الأجر:
93	المطلب الثاني- إطلاقه على الفوز:
98	المطلب الثالث- إطلاقه على الفضل والحظ:
99	الفرع الأول- إطلاقه على الفضل:
101	الفرع الآخر- إطلاقه على الحظ:
103	المبحث الرابع- إطلاق لفظ العظيم على العقاب في القرآن الكريم.
103	المطلب الأول- إطلاق لفظ "العظيم" على العذاب:
108	المطلب الآخر- إطلاقه على البلاء والكرب والخزي:
108	الفرع الأول- إطلاق لفظ العظيم على البلاء:
109	الفرع الآخر- إطلاق لفظ "العظيم" على الكرب والخزي:
	الفصل الثاني تصريف لفظ العظيم في النظم
	القرآني.....119
113	مدخل- النظم والإعجاز القرآني:
116	المبحث الأول- الأوجه الإعرابية للفظ عظيم في القرآن الكريم.
116	المطلب الأول- تصريف لفظ "العظيم" نعتًا في القرآن الكريم.

- 117 الفرع الأول- تصريف لفظ "العظيم" نعماً للمبتدأ
- 119 الفرع الثاني- تصريف لفظ "العظيم" نعماً للخبر
- 120 الفرع الثالث- تصريف لفظ "العظيم" نعماً للفاعل
- 120 الفرع الرابع- تصريف لفظ "العظيم" نعماً للمفعول به
- 122 الفرع الخامس- تصريف لفظ "العظيم" نعماً للمفعول المطلق
- 123 الفرع السادس- تصريف لفظ "العظيم" نعماً للمضاف إليه
- 124 الفرع السابع- تصريف لفظ "العظيم" نعماً للمجرور بحرف الجر
- 125 الفرع الثامن- تصريف لفظ "العظيم" نعماً لخبر كان
- 126 الفرع التاسع- تصريف لفظ "العظيم" نعماً لخبر إن
- 126 الفرع العاشر- تصريف لفظ "العظيم" نعماً للمعطوف
- 127 المطلوب الآخر- تصريف لفظ "العظيم" في وظائف إعرابية غير النعت
- 127 الفرع الأول- تصريف لفظ "العظيم" خبراً
- 128 الفرع الثاني- تصريف لفظ "العظيم" خبراً لكان
- 128 الفرع الثالث- تصريف لفظ "العظيم" خبراً لإن
- 130 المبحث الثاني- تصريف لفظ "العظيم" بالزيادة والنقصان
- 130 المطلوب الأول: تصريف لفظ "العظيم" بزيادة الواو وحذفها
- 136 المطلوب الآخر- تصريف زيادة لفظ (هو) وحذفها
- 137 الفرع الأول- تصريف مواضع زيادة (هو) في قوله-: (ذَلِكَ هُوَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ)
- 141 الفرع الآخر- تصريف مواضع حذف (هو) في قوله-: (ذَلِكَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ)..
- 144 المبحث الثالث- التصريف القرآني للفظ "العظيم" بالتعريف والتنكير
- 144 المطلوب الأول- تصريف الكلمات التي وُصفت بالعظيم ولم تُرد إلا نكرة
- 144 الفرع الأول- تصريف لفظ (بَلَاءٌ) المنعوت بالعظيم
- 145 الفرع الثاني- تصريف لفظ (عَدَابٌ) المنعوت بالعظيم
- 146 الفرع الثالث- تصريف لفظ (أَجْرٌ) المنعوت بالعظيم
- 148 الفرع الرابع- تصريف لفظ (يَوْمٌ) المنعوت بالعظيم
- 149 الفرع الخامس- تصريف ألقاب وُصفت بالعظمة منكرة مرة أو مرتين
- 153 المطلوب الثاني- تصريف الكلمات التي وُصفت بالعظيم ولم تُرد إلا معرفة
- 153 الفرع الأول- تصريف لفظ "العظيم" للدلالة على الذات الإلهية

- الفرع الثاني- تصريف لفظ "العظيم" الموصوف به الكرب. 154
- الفرع الثالث- تصريف ألفاظ وُصفت بالعظمة مُعرّفة ووردت مرّة أو مرّتين 155
- المطلب الثالث- تصريف الكلمات التي وُصفت بالعظيم نكرة تارة ومعرفة تارة 156
- الفرع الأول- تصريف لفظ الفوز العظيم في القرآن الكريم..... 156
- الفرع الثاني- تصريف لفظ الفضل العظيم في القرآن الكريم..... 158
- الفرع الثالث- تصريف لفظ العرش العظيم والنبأ العظيم في القرآن الكريم. 159
- الفصل الثالث البنية الصرفية والدلالية لمفردات العظمة في القرآن الكريم..... 173
- المبحث الأول- مشتقات لفظ "عظيم" في القرآن الكريم..... 164
- المطلب الأول- تعريف الاشتقاق وأنواعه. 164
- الفرع الأول- تعريف الاشتقاق. 164
- الفرع الآخر- أنواع الاشتقاق..... 166
- المطلب الآخر- تصريف لفظ "عظم" في النّصّ القرآني وأبنيته..... 168
- الفرع الأول- تصريف لفظ "يُعظّم" بالنشديد، و"يُعظّم" بالتخفيف..... 168
- الفرع الثاني- تصريف لفظ "أعظم"..... 169
- الفرع الثالث- تصريف لفظ "عَظُم" إفرادًا وجمعًا، وتعريفًا وتكثيرًا..... 170
- المبحث الثاني- لفظ "الكبير" تصريفه والفرق بينه وبين "العظيم"..... 173
- المطلب الأول- تعريف "الكبير" لغة واصطلاحًا..... 173
- الفرع الأول- تعريف "الكبير" لغة..... 173
- الفرع الآخر- تعريف "الكبير" اصطلاحًا..... 174
- المطلب الآخر- تصريف لفظ "الكبير" والفرق بينه وبين "العظيم"..... 177
- الفرع الأول- تصاريف لفظ "الكبير" في القرآن الكريم..... 177
- الفرع الآخر- الفرق بين لفظ "الكبير" ولفظ "العظيم"..... 182
- المبحث الثالث- ألفاظ العظمة في بين التراكيب الصريحة والمفردات المؤولة..... 185
- المطلب الأول- التراكيب القرآنية الصريحة التي وُصفت بلفظ "العظيم"..... 185
- المطلب الآخر- المفردات التي أولها المفسرون بدلالة العظمة..... 193



State of Libya

University of Al-Zawiya – Faculty of Sharia

Department of Tafsir and Hadith

PhD Dissertation

Entitled:

“The Morphological and Contextual Variations of the Term ‘Al-‘Azīm’ in the Holy
Qur’an”

Submitted in partial fulfillment of the requirements

for the Doctorate Degree in the Qur’anic Sciences

Prepared by:

Mohammed Saleh Salem Al-Muqrahi

Supervised by:

Prof. Dr. Abdullah Mohammed Al-Naqrat

Academic Year: 1447H – 2025M